البيان
لنداءات الله عَزَّ وَجَلَّ
في القرآن

تأليف:

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الجحوري الزُّعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فمن أنفس العلوم علم القرآن وتفسيره وبيانه؛ فهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ووحيه ونوره، وهو الشفاء والنور، والكتاب المبين والحكيم، والفرقان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومهما قال الإنسان في بيان هذا الكلام فتجد أنه مقصر، ومن أراد التوسع محسر، فهو الكتاب المبارك، قال تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأنعام:١٥٥]، أي: وَهَذا القُرْآنُ كتابٌ أنزلناهُ فيه بركةٌ وخير كثيرٌ لِمن آمَنَ به فهو المبارك الذي بورك فيه، والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وقيل الكثرة في كل خير.

- وبركته في تلاوته، وتدبره، وحفظه، والاستشفاء والاستدلال به.
- وبركته في أخباره وأحكامه.

- ومن بركته أنه الشافع المشفع.
- ومنها مضاعفة أجر قرأته.
- ومنها أن قرأته سبب لانشراح الصدور، وزوال الهموم والغموم.
- ومنها قرب الملائكة من قارئه.
- ومنها أنه من أسباب رضى الرحمن، ومطردة للشيطان.
- ومنها أنه دائم المنفعة، يبشر بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية.
- ومنها أن فيه السلامة من الفتن.

* وفي فضائل القرآن للقاسم بن سلام (٤٩): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مأْدُبَةُ اللهِ تَعَالَى، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا حَبَلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ؛ فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿ الم ﴾[البقرة:١]، وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشْرٌ، وَلَامٌ عَشْرٌ، وَمِيمٌ عَشْرٌ». اهـ. والصحيح فيه الوقف.

* قال ابن كثير رحمه الله في «فضائل القرآن»(٤٨): فيحتمل، والله أعلم أن يكون -إبراهيم الهجري- وَهِمَ في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود رضي الله عنه ، ولكن له شاهد من وجه أخر، والله أعلم. اهـ.

وقد حفظ الله عَزَّ وَجَلَّ القرآن من عبث العابثين وتحريف المحرفين وتأويل المبطلين تحقيقا لوعده: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

﴾[فصلت:٤٢]، وقد رأيت بركة في تدريس ما يحتاج الناس إليه في هذا الباب لكثرة سماعهم وتلاوتهم له، وقد منَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عليَّ وله الحمد والمنة والفضل بتفسير المفصل منه في رمضان من عامي (١٤٤٠ و ١٤٤١ هـ) في مسجد الصحابة بمدينة الغيضة، وقد عزمت هذا العام (١٤٤٢هـ) بعون الملك العلام على تدريس نداءات الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن الكريم، ولو أردنا جمع جميع النداءات لكان أوسع، لكن ذكرنا ذلك وما في بابه من الدعوة إلى التوحيد والخير.

*** ونداء الله عَزَّ وَجَلَّ على نوعين:**

الأول: نداء الله عَزَّ وَجَلَّ لغير العقلاء من مخلوقاته، وجاء في ثلاثة مواطن وهي على الترتيب:

١- قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[هود:٤٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[الأنبياء:٦٩].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سبأ:١١].

الثاني: نداء العقلاء وهو الأكثر، وتفصيله على النحو التالي:

١- قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، جاء في تسعة عشر موطنًا، تسع منها في سور مدنية، اثنتان في سورة البقرة، وثلاث في النساء، وواحدة في الأعراف، وأربع في يونس، وأربع في الحج، وواحدة في لقمان، وثلاث في فاطر، وواحدة في الحجرات.

٢- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، جاءت في تسعة وثمانين موطنًا، وهي على النحو التالي: إحدى عشر في سورة البقرة، وسبعة في آل عمران، وتسعة في

النساء، وستة عشر في المائدة، وستة في الأنفال، وستة في براءة، وواحد في الحج، وثلاثة في النور، وسبعة في الأحزاب، واثنان في محمد، وخمسة في الحجرات، وواحد في الحديد، وثلاثة في المجادلة، وواحد في الحشر، وثلاثة في الممتحنة، وثلاثة في الصف، وواحد في الجمعة، وواحد في المنافقون، وواحد في التغابن، واثنان في التحريم.

٣- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، جاءت في ثلاثة عشر موطنًا.

٤- وَقال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾، جاءت في خمسة مواطنٍ، أربعة منها في الأعراف.

٥- وَقال تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، جاءت في أربعة مواطنٍ.

٦- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ ﴾، في موطنين.

٧- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، في موطنٍ واحدٍ متعلقٍ بيومِ القيامةِ.

٨- وَقال تعالى:﴿ يَا يَحْيَى ﴾، جاء في موطنٍ واحدٍ.

٩- وَقال تعالى:﴿ يَا عِيسَى ﴾، جاء في ثلاثة مواطنٍ.

١٠- وَقال تعالى:﴿ يَا مُوسَى ﴾، جاء في أحدى عشر موطنًا.

١١- وَقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾، جاء في أربعة مواطنٍ.

١٢- وَقال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾، جاء في اثني عشر موطنًا.

١٣- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾، جاء في موطنين.

١٤- وَقال تعالى:﴿ يَا نُوحُ ﴾، جاء في موطنين.

١٥- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾، جاء في موطن واحد.

١٦- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾جاء في موطن واحد.

١٧- وَقال تعالى:﴿ يَا عِبَادِيَ ﴾ في خمسة مواضع، ثلاثة منها في الزمر، وواحد في العنكبوت، وواحد في الزخرف.

١٨- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ ﴾ في موطن واحد في سورة الفجر.

١٩- وَقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ جاء في موطنين في سورة الأحزاب.

٢٠- وَقال تعالى:﴿ يَا إِبْلِيسُ ﴾جاء في موطنين في الحجر و(ص).

* **مسألة: دراسة نداءات الله عَزَّ وَجَلَّ من الأهمية بمكان لأمور:**

الأول: أنها أعظم النداءات، حيث والمتكلم بها هو الرب الكبير العظيم، ونداء الله لا بد وأن يؤخذ به، وهو دال على رحمته، وعلى عظيم غضبه ونقمته.

الثاني: أنها دالة على مسألة عقدية مهمة من أن الله عَزَّ وَجَلَّ متكلم بحرف وصوت، وأن القرآن كلامه غير مخلوق، منه بدأ قولًا وإليه يعود، سمعه منه جبريل عليه السلام حقيقة، وسمعه من جبريل محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ﴾[التوبة:٦]. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[(١)]، وقال ابن القيم رحمه الله[(٢)]:

وَاللهُ رَبِّـي لَـمْ يَـزَلْ مُتكَلِّمًـا ... وَكَلَامُـهُ الْمَسْـمُوعُ بِـالْآذَانِ
صِدقًا وَعَدلًا أُحكِمتْ كَلِمَاتُهُ ... طَلَبًـا وإخبَـارًا بِـلا نُقصَـانِ
وَرَسُولَهُ قَد عَاذَ بِالكَلِماتِ مِنْ ... لَـدغٍ وَمِـنْ عَـينٍ وَمِـنْ شَـيطَانِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥١٩٢).
(٢) «النونية» (٣٧).

أَيُعاذُ بِالمَخلُوق حَاشَاهُ مِنْ الـ   إشـرَاكِ وَهُـوَ مُعلِـمُ الإِيمَـانِ
بِل عَاذَ بِالكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ   سُـبحَانُهُ لَيسَـت مِـنَ الأكـوَانِ
وَكَـذَلِكَ القُـرآنُ عَـينُ كَلَامِـهِ   الَمـسمُوعُ مِنـهُ حَقِيقَـةٌ بِبَيَـانِ
هَـوَ قَـولُ رَبـي كُلـهُ لَا بَعضُـهُ   لفظًـا وَمَعنـى مَـا هُمَـا خَلقـانِ
تَنزِيـلُ رَبِ العَـالمِينَ وَقَولـهِ   اللفـظُ وَالمَعنـىَ بَـلا رَوَغَـانِ
لَكِـنْ أَصـوات العِبـادَ وفِعَلهَـمْ   كَمِـدَادُهمْ وَالـرِق مَخلُوقَـانِ
فَالصَوتُ لَلقَارِي وَلَكِنَ الكَلامُ   كَلَامُ رَبِ العَرش ذِي الإحسَانِ

۞ وقد كفَّر العلماء من زعم أن القرآن مخلوق، قال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»[(١)]:

وَلَقد تَقَلَدَ كُفرِهِم خمسونَ فِي   عَشـرٍ مِـن العُلَمـاءِ فِـي البُلـدَانِ
وَاللالَكَائِي الإمَامَ حَكَاهُ عَنهُمُ   بَـلْ حَكَـاهُ قَبلَـهُ الطَبَـرانِي

الثالث: بيان أهمية الأبواب التي وقع فيها النداء، إلى غير ذلك من الأمور التي تعلم بالتأمل، والله الموفق.

مسألة: نداءات الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي صلى الله عليه وسلم دالة على عظيم شأنه صلى الله عليه وسلم: حيث نداه الله بالنبوة والرسالة، ثم منها ما هي خاصة به، ومنها

---
(١) «النونية» (٤٢).

ما يدخل فيه أمته وهو الأكثر، فالأصل فيها العموم إلا ما دل الدليل على الخصوصية.

قال الشنقيطي رحمه الله: وبأن الأدلة دلت على أن الخطاب الخاص به **صلى الله عليه وسلم** يشمل الأمة حكمه لا لفظه الا بدليل على الخصوص، كقوله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[الأحزاب:٢١]، وقد علمنا من استقرار القرآن أن يخاطب نبيه **صلى الله عليه وسلم** بخطاب لفظه خاص، والمقصود منه تعميم الحكم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ ثم قال: ﴿ **إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ** ﴾[الطلاق:١]، الآية، فأفهم شموله حكم الخطاب للجميع، وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ** ﴾[التحريم:١]، ثم قال: ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾[التحريم:٢]، وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ** ﴾[الأحزاب:١]، ثم قال: ﴿ **إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[الأحزاب:١]، وقال: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ** ﴾[يونس:٦١]، ثم قال: ﴿ **وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ** ﴾[يونس:٦١]، الآية.

فدل التعميم بعد الخطاب الخاص به في الآية المذكورة على عموم حكم الخِطاب الخاص به[1]. اهـ.

مسألة: قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾:يدخل فيه عموم الكفار على الصحيح من أقوال أهل العلم، قال الشيخ محمد صالح العثيمين **رحمه الله**: والتكليف بالأمر والنهي شامل للمسلمين والكفار، لكن الكافر لا يصح منه فعل المأمور به حال كفره؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ** ﴾[التوبة:٥٤]،

---

(١) «المذكرة» (١٦٩).

ولا يؤمر بقضائه إذا أسلم؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[الأنفال:٣٨]، وقوله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص: «**أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله**»، وإنما يعاقب على تركه إذا مات على الكفر؛ لقوله تعالى عن جواب المجرمين إذا سئلوا: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[المدثر:٤٢-٤٧][(١)] اهـ.

وقد حث السلف الصالح على الانتباه لنداء الله عَزَّ وَجَلَّ، وملازمة أمره، والحرص على فهمه وتطبيقه.

* **قال ابن كثير رحمه الله**: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا نُعَيْم بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا مِسْعَر، حَدَّثَنِي مَعْن وعَوْف -أَوْ: أَحدِهِمَا- أَنَّ رَجُلًا أَتى عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَقَالَ: اعْهَدْ إِليَّ. فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، فارْعِها سَمْعَك، فَإِنَّهُ خَيْر يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَر يَنْهَى عَنْهُ[(٢)].

وَقَالَ: حَدَّثنا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ – دُحيم – حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: إِذَا قَالَ اللهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، افْعَلُوا، فَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سنَان، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبيد حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَة قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، فَهُوَ فِي التَّوْرَاةِ: «**يَا أيها الْمَسَاكِينُ**».

---

(١) «الأصول من علم الأصول» (٣١).

(٢) أقول: الأثر لا يثبت سندًا ومعناه صحيح، وأحسن طرقه فيه أبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

فَأَمَّا مَا رَوَاهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّائِغِ الْبَغْدَادِيِّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ - يَعْنِي: ابْنَ هِشَامٍ - عَنْ عِيسَى بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ بُذَيْمَةَ، عَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا سَيِّدُهَا وَشَرِيفُهَا وَأَمِيرُهَا، وَمَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ إِلَّا قَدْ عُوتِبَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يعاتبْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ. فَهُوَ أَثَرٌ غَرِيبٌ وَلَفْظُهُ فِيهِ نَكَارَةٌ، وَفِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: عِيسَى بْنُ رَاشِدٍ هَذَا مَجْهُولٌ، وَخَبَرُهُ مُنْكَرٌ.

قُلْتُ: وَعَلِيُّ بْنُ بَذِيمَةَ - وَإِنْ كَانَ ثِقَةً - إِلَّا أَنَّهُ شِيعِيٌّ غالٍ، وَخَبَرُهُ فِي مِثْلِ هَذَا فِيهِ تُهمة فَلَا يُقْبَلُ.

وَقَوْلُهُ: «**وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا عُوتِبَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَلِيًّا**»، إِنَّمَا يُشِيرُ بِهِ إِلَى الْآيَةِ الْآمِرَةِ بِالصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيِ النَّجْوَى، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا عليٌّ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المجادلة:١٣].

وَفِي كَوْنِ هَذَا عِتَابًا نَظَرٌ؛ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ: إِنَّ الْأَمْرَ كَانَ نَدْبًا لَا إِيجابًا، ثُمَّ قَدْ نُسِخَ ذَلِكَ عَنْهُمْ قَبْلَ الْفِعْلِ، فَلَمْ يَرَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافَهُ.

وَقَوْلُهُ عَنْ عَلِيٍّ: «**إِنَّهُ لَمْ يُعَاتَبْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ**»، فِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا؛ فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْأَنْفَالِ الَّتِي فِيهَا الْمُعَاتَبَةُ عَلَى أَخذِ الفِداء عَمَّت جَمِيعَ مَنْ أَشَارَ بِأَخْذِهِ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا عُمر بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، فَعُلِمَ بِهَذَا، وَبِمَا تَقَدَّمَ ضَعفُ هَذَا الْأَثَرِ،

وَاللهُ أَعْلَمُ[١]. اهـ.

معنى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

ومعنى هذه الجملة العظيمة ما قرره الطبري **رحمه الله** في «تفسيره»[٢]، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَسَلَّمُوا لَهُ الْأُلُوهِيَّةَ، وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا **صلى الله عليه وسلم** فِي نُبُوَّتِهِ وَفِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ. اهـ.

فالمؤمن حقًا ظاهرًا وباطنًا هو المنقاد لشرع الله تعالى، المبادر إلى رضوانه، المتابع لرسوله، والرجّاع من ذنوبه، المتواضع في جميع شأنه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال:٢]، وَقال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[الحجرات:١٥].

بيان مواطن نزول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رضي الله عنه** ، قَالَ: «مَا كَانَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَا كَانَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فَبِمَكَّةَ»[٣].

وقال البغوي **رحمه الله**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **رضي الله عنه** : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، خِطَابُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، خِطَابُ أَهْلِ

---

(١) «التفسير» (٢/ ٦).
(٢) «التفسير» (٨/ ٥).
(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٦٩).

الْمَدِينَةِ وَهُوَ هَاهُنَا عَامٌّ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الصِّغَارُ وَالْمَجَانِينُ»(١). اهـ.

وعن وَكِيعٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أُنْزِلَ بِمَكَّةَ(٢).

وعن ابن شهاب قال: كل شيء في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ما لم يكن سورة تامة، فإنما أنزل الله ذلك بمكة، وكل شيء في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، فإنما أنزل كله بالمدينة حين استحكم الأمر(٣).

هذه أقوال بعض العلماء، والواقع أن: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نزلت بالمدينة، وأما: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فمنه المكي، ومنه المدني، فمن المدني: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[البقرة:٢١]، وقوله في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾[النساء:١]، وغيرها، والله أعلم .

? وكتبه:

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

كان الله له في الدنيا والآخرة

مسجد الصحابة بالغيضة

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المسند» برقم (٣٢١٤٣-٣٠٧٦٨/ ط أشبيليا).

(٣) أخرجه عبد الله بن وهب في «الجامع لتفسير القرآن» (١٢٣).

مَدَنيّة سورة البقرة آياتها (٢٨٦)

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:٢١].

الشـــرح:

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾[البقرة:٢١]، هذا أول نداء في المصحف: وهو نداء لجميع المُكلفين من الجن والإنس، نداهم الله عَزَّ وَجَلَّ وأمرهم بعبادته؛ لوجوبها وتعينها.

قوله: ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[البقرة:٢١]، أي: وحدوه وأفردوه بما يجب له في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، وهذا معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦].

والعبادة: هي أسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والمعتقدات، وهي قطب رحى الدين، والأمر الذي من أجله وُجِدت الخليقة: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]، وهي: أمر الله لجميع المكلفين: ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[النساء:٣٦]، وهي: الأس الذي أُرسِلت من أجله الرسل: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن:١٩]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾[مريم:٦٥]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى

يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩]، ومما يُقرأ في كل صباح ومساء وفي كل ركعة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥].

قوله: ﴿ رَبَّكُمُ ﴾[البقرة:٢١]، ولم يقل: (الله) مع أن لفظ الجلالة: (الله) هو الاسم الأعظم، وهو أعرف المعارف وعليه مدار بقية الأسماء إلا أن الرب: هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، فكأنه يقول: اعبدوا الذي خلقكم، ورزقكم، ودبر شأنكم، زد على ذلك: أنه الحافظ لعباده المؤمنين ينصرهم ويتولاهم ويدافع عنهم.

ثم عرف الرب بقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ أوجدكم من العدم، ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من الأمم السابقة السالفة، والنتيجة إذا عبدتم الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ تتحصل لكم التقوى: بفعل المأمور وترك المحظور، وإذا اتقيتم الله عَزَّ وَجَلَّ صلحت دنياكم وأخراكم كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾[القمر:٥٤]، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[الحجر:٤٥]، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[النبأ:٣١]، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:١٣٣]، فشأن صلاح العبد في تقوى الله: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[يونس:٦٢-٦٣]، فأول نداء في القرآن يأمرك الله عَزَّ وَجَلَّ فيه بتوحيده فحقق هذا الأمر والتزمه ظاهرًا وباطنًا.

والتوحيد ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، وهذا النوع قد يقر به كثير من المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] .

الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله عز وجل بأفعال المكلفين وبه أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، ولأجله شرع الجهاد .

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات، والعمدة فيه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

الآية الثانية والثالثة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:٣٣-٣٥].

الشــرح:

هذه الآيات في سياق ما قصه الله عَزَّ وَجَلَّ من شأن آدم عليه السلام، حيث أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ الملائكة أنه: ﴿ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠]، فكان قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٣٠].

ثم امتن الله عَزَّ وَجَلَّ على آدم: بأن علمه أسماء كل شيء: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ ﴾[البقرة:٣١]، قالوا: ﴿ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

﴾[البقرة:٣٢].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ أخبرهم، قيل: بأسماء الملائكة، وقيل: بأسماء كل شيء مما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالإخبار عنه، ﴿ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ ﴾ وأخبرهم بأسمائهم على ما تقدم: ﴿ قَالَ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ لهم: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وما هو من أسباب مصالح الحياة وأسباب فسادها، ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ في أنفسكم، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ عن غيركم.

ثم قال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ ﴾ عند ذلك، نداء آخر: أن الله عَزَّ وَجَلَّ نادى الملائكة: ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ ليس معناه: أنهم عبدوه من دون الله، إنما سجدوا له بأمر الله تعظيمًا لشأنه ولما آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ من العلم، فهذه الآية يُستدل بها على فضل العلم إذ أن الله عَزَّ وَجَلَّ إنما أمرهم أن يسجدوا لآدم؛ لما ميزه عليهم من العلم، ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ الشيطان الرجيم، ﴿ أَبَى ﴾ يعني: رفض القيام بالأمر، وكان سبب رفضه الاستكبار: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ وهذه الآية يستدل بها العلماء: على نوعين من أنواع الكفر:

الأول: كفر الإباء.

الثاني: كفر الاستكبار.

ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ﴾ ناداه وأمره بقوله: ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ جنة الخُلد على الصحيح، وذهب كثير من أهل العلم: إلى أنها جنة في الدنيا، لكن هي جنة الخلد؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾[طه:١١٨-١١٩]، فمهما بلغ الحال بجنة الدنيا فلا بد من

عُريّ وعطش وجوع ونحو ذلك، وزوجه هي: حواء عليها السلام خلقها الله عَزَّوَجَلَّ من ضلع آدم، ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ أي: كلا منها رزقًا واسعًا، ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ من حيث شئتما، من جميع ما فيها من الأشجار والثمار، ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ حرم عليها شجرة واحدة، تكلم أهل التفسير في هذه الشجرة ولا طائل لكلامهم إذ أن الله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا عن شجرة ولم يُخبرنا عن اسمها، ولو كان اسمها من المتعينات لأخبر الله عَزَّوَجَلَّ به، والتكلم في نوع هذه الشجرة تكلم في غيب لا دليل عليه، ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ المراد بالظلم هنا: ظلم المعصية؛ لأن الظلم يُطلق ويراد به الكفر، ويُطلق ويراد به المعصية، وظلمهما كان عبارة عن معصية.

عند ذلك أكلا من الشجرة ثم كان ما كان مما قصه الله عَزَّوَجَلَّ من إهباطهم إلى الدنيا.

فلو أن آدم عليه السلام أخذ بهذه النداء العظيم والتزمه ولم يأكل من الشجرة كان الأمر: أنه في الجنة، لكن أراد الله عَزَّوَجَلَّ ذلك فقدره وقضاه.

الآية الرابعة:

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[البقرة:٤٠].

الشـرح:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّوَجَلَّ لبني إسرائيل: وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، كثرت ذريته، ويذكرون بأن إسرائيل معناه: عبد الله.

المهم: أن الله عَزَّ وَجَلَّ ناداهم؛ لأنهم كانوا أفضل الأمم في حينهم قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم .

﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ أي: نعمي؛ لأن النعمة إذا أُضيفت أفادت العموم: ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ ﴾[الأعراف:٦٩]، أي: نعم الله، وذكر النعم بشكرها وعدم كفرها، والنعمة إذا شُكِرت قرت، وإذا كُفِرت فرت:

إِذا كُنـــتَ في نِعمَـــةٍ فَارعَهـــا فَـــإِنَّ المَعاصـــي تُزيـــلُ الـــنِعَم

وَدَومْ عَلَيهـــا بِتَقـــوى الإِلَـــهِ فَـــإِنَّ الإِلَـــهَ سَـــريعُ الـــنِّقَم

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧]، فأعظم سالب للنعمة: كفرانها.

﴿ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ سواءً من المآكل أو المشارب، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ أعطاهم المَنْ: وهو شراب شبيه العسل، والسلوى: وهو طائر شبيه السماني يأكلون من لحمه، ويتنعمون من ذلك الأكل بدون عناء أو تعب أو نصب، ولكنهم أبوا إلا كفران النعمة فسلبت عنهم وحولت إلى غيرهم.

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ ومما نداهم الله عَزَّ وَجَلَّ وأمرهم به: الوفاء بالعهد والميثاق والمراد به الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾[النحل:٩١]، ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾[الرعد:٢٠]، فكل ما أمر الله به فهو من عهده، ويدخل فيه ابتداءً: التوحيد وعدم الشرك والتنديد.

فإذا حصل منكم الوفاء بالعهد والوعد: ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أكرمكم وأنعمكم، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يخلف عهده ولا ينقض وعده، ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ ومني فخافون،

وهذه عبادة عظيمة صرفها كثير من الناس لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، صرفوها للمقبورين، وصرفوها للجن والشياطين، مع أن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والله المستعان.

لكن هل قام بنو إسرائيل بهذا الأمر؟ الصحيح: أنهم غيروا وبدلوا؛ ولهذا سُلبت النعمة منهم وحولت إلى غيرهم.

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧].

الشــرح:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هذا تكرار للنداء من الله عَزَّ وَجَلَّ ونداء لبني إسرائيل: أن يذكروا نعمته، وأن يشكروها ولا يكفروها، ومنها أنه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ والمراد بهم: عالم زمانهم، وأما بعد ذلك فهذه الأمة هي أفضل الأمم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ» أخرجه ابن ماجه عن بريدة رضي الله عنه، وقال الله ممتنًا على هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[آل عمران:١١٠]، وفضائل هذه الأمة كثيرة:

منها: أنهم أول من يدخلون الجنة.

ومنها: أنهم أول من يجوزون الصراط.

ومنها: أنهم أول من يُقضى بينهم يوم القيامة مع أنهم الآخرون وهم السابقون كما أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** .

وسبب تحويل النعمة من بني إسرائيل إلى هذه الأمة: أن بني إسرائيل غيروا وبدلوا، فصاروا في شرك وبدع ومعاصي وسيئات، والله المستعان.

الآية السادسة:

قَال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة:١٠٤].

الشـرح:

في هذه الآية تحذير من رب العالمين: أن يتشبه المؤمنون بالكافرين في ألفاظهم وأقوالهم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهذا أول نداء في القرآن للمؤمنين بلفظ الإيمان، والمراد بالمؤمنين: أنهم الذين انقادوا لأمر الله وشرعه، فينبغي أن يكونوا لذلك مبادرين وبه آخذين.

﴿ لا تَقُولُوا ﴾ في خطابكم لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ رَاعِنَا ﴾ وذلك أن اليهود كانوا يقولون: يا محمد راعنا، ويريدون به الرعونة وهذا من السب القبيح، والمؤمنون يقولون: يا رسول الله راعنا، ويريدون به من الانتظار والرفق ونحو ذلك، فلما استغل اليهود مثل هذا اللفظ نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عن مشابهتهم في الأقوال، وبهذا تعلم: أن الذين يتكلمون بلغتهم لغير حاجة شرعية أو حتى حاجة دنيوية يحتاجها الإنسان: أنه مسيء إلى نفسه بمخالفة أمر ربه.

﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ في الألفاظ العربية كثير من الألفاظ التي تغني عن هذا اللفظ الذي استغله اليهود للطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك أنهم كانوا يقولون: السام عليك يا محمد، ويريدون به الموت، ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ سمع استجابة أي استجيبوا سلأمر الله عَزَّ وَجَلَّ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فنفذوه، واسمعوا لنهي الله عَزَّ وَجَلَّ ونهي رسوله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوه، ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ يوم القيامة: ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ موجع، وقد يصيبهم الله عَزَّ وَجَلَّ ببعض ذلك في الدنيا.

الآية السابعة:

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة:١٢٢].

الشــرح:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ تقدم بيانها في الآية التي قبلها، وكررها الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه أدعى لاستجابتهم وقبولهم لأمر ربهم إذا أرادوا أن يحافظوا على النعمة، ولكن الواقع: أنهم أبوا إلا الكفر والإجرام والبعد عن طاعة الملك العلام عز وجل.

والإنسان كرامته بطاعته لربه كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات:١٣]، وسُئل النبي صلى الله عليه وسلم : منْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ»، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الآية الثامنة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا ﴾ هذا أمرٌ من ربنا عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين للموحدين: أن يستعينوا على قضاء حوائجهم وعلى المضي في شأنهم: ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ سواءً على أقدار الله عَزَّ وَجَلَّ، أو عن معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ، أو على أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ إذ أن الصبر كما يذكر أهل العلم ثلاثة أصناف:

قال ابن كثير: وَالصَّبْرُ صَبْرَانِ فَصَبْرٌ عَلَى تَرْكِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ وَصَبْرٌ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَالثَّانِي أَكْثَرُ ثَوَابًا لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ. اهـ

وما أحسن قول الشاعر:

الصَـبر مِثـل اِسـمِهِ مُـرٌ مَذاقَتُـهُ   لَكِـنْ عَوَاقِبـهُ أَحلَـى مِـن العَسَـلِ

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ﴾[النحل:١٢٧]، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر:١٠]، وبغير صبر لن تستطيع أن تقوم بشيء من الأمر، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[1].

﴿ وَالصَّلاةِ ﴾ استعينوا بالصلاة على قضاء حوائجكم وعلى ذهاب كربكم، والنبي صلى الله عليه وسلم بل والأنبياء كان إذا حزبهم أمر قاموا إلى الصلاة، والآن كثير من الناس نسأل الله السلامة والعافية تركوا الصبر وتركوا الصلاة ثم يشكون مما يحل

[1] أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

بهم، والسبب في ذلك: ما هم فيه من المعاصي والسيئات والبعد عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وعن صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم (٢٤٤٩).

والاستعانة هي بالله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، لكن هنا يقوم الإنسان بالأعمال الصالحة التي تقربه من الله عَزَّ وَجَلَّ وتكون له عونًا بعد عون الله عَزَّ وَجَلَّ على قضاء كثير من شأنه وتيسير كثير من أمره.

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ معية نصر وتأييد وحفظ وكلاءة، وهو على رشه سبحانه وتعالى بائن من خلقه، فمن زعم أن الله بذاته في كل مكان فقد كفر، إذ أن المعية تنقسم إلى قسمين:

النوع الأول: معية عامة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[الحديد:٤]، وهذه تشمل جميع الخلوقين.

النوع الثاني: معية خاصة، وهذه تقتضي النصر والتأييد والعز والتمكين، وقد جاءت على نوعين في القرآن:

الأولى: معية مقيدة بشخص، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[طه:٤٦]، ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[التوبة:٤٠].

الثانية: معية مقيدة بوصف، كما في هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٣]، ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾[النحل:١٢٨]، ونحو ذلك.

الآية التاسعة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ الناس جميعًا، وربما كان من العام الذي يُراد به الخصوص، وهم الذين يدخلون تحت هذا الخطاب من المسلمين، وإن كان الكفار يدخلون تحت الخطاب إلا أنهم لا يقبل منهم العمل حتى يقروا بالإسلام.

﴿ كُلُوا ﴾ هذا على الإباحة وليس على الوجوب، فالإنسان قد لا يستطيع أن يأكل كل شيء، أو يأكل من كل شيء، فربما يعاف بعض المباحات كالبرتقال، وبعضهم يعاف التفاح، وبعضهم يعاف المانجو، بل بعضهم يعاف العسل، بعضهم يعاف اللبن، لكن هذا على الإباحة، ﴿ مِمَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: مما يخرج منها سواءً من ثمارها أو كذلك من حيواناتها، والأصل في ثمارها الإباحة، إلا ما كان السموم والمخدرات فتحريمه لمعنى آخر، والأصل في حيواناتها الإباحة إلا ما جاء الدليل بتحريمه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿ حَلالًا ﴾ لكم تأكلونه وتقتاتونه، ﴿ طَيِّبًا ﴾ ليس بخبيث، والحيوان حله بتذكيته إن كان من ذوات الدم السائلة، بينما مثل: القوقع، الجرادة وهذه الأشياء ليس لها دم سائلة تؤكل بدون

ذبح، لكن أي حيوان له نفس سائلة لا بد من ذبحه كبهيمة الأنعام، والغزال، والأرنب، والقنفذ، والوبر، والضب وكل ما أباح الله عَزَّ وَجَلَّ أكله، وما ند منها يرمى مع التسمية فعن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّنَا نَلْقَى العَدُوَّ غَدًا وَلَيْسَ مَعَنَا مُدًى، فَقَالَ: " مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ فَكُلُوهُ، مَا لَمْ يَكُنْ سِنٌّ وَلاَ ظُفُرٌ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الحَبَشَةِ " وَتَقَدَّمَ سَرَعَانُ النَّاسِ فَأَصَابُوا مِنَ الغَنَائِمِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ النَّاسِ، فَنَصَبُوا قُدُورًا فَأَمَرَ بِهَا فَأُكْفِئَتْ، وَقَسَمَ بَيْنَهُمْ وَعَدَلَ بَعِيرًا بِعَشْرِ شِيَاهٍ، ثُمَّ نَدَّ بَعِيرٌ مِنْ أَوَائِلِ القَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ خَيْلٌ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ اللهُ، فَقَالَ: «إِنَّ لِهَذِهِ البَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الوَحْشِ، فَمَا فَعَلَ مِنْهَا هَذَا فَافْعَلُوا مِثْلَ هَذَا» متفق عليه، إلا ما كان من الحيوان المائي فإنه مباح بدون ذكاة، كما قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾[المائدة:٩٦]، وهكذا الحيوان البرمائي إن مات في البحر فهو حلال بغير ذكاة، وإن كان في البر لا يحل إلا بذكاة.

﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ بتحليل الحرام أو بتحريم الحلال: ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾[المائدة:١٠٣]، فالشيطان حرم على الكافرين ما كان مباحًا لهم، وأحل لهم ما كان حرامًا عليهم: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام:١٣٩]، ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ أي: الشيطان عدواته ظاهرة بينة

فكونوا على حذر منه.

﴿ إِنَّمَا ﴾ حصر ما يأمر به الشيطان، ﴿ يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ بالأقوال السيئة والأفعال القبيحة، ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ بتحريم الحلال وتحليل الحرام ونحو ذلك، وهذا دليل على البدعة، فهي ناتجة عن القول على الله بغير علم .

الآية العاشرة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين: أن يأكلوا مما خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ طيبًا لهم، ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أعطيناكم، سواءً من المأكولات الحيوانية، أو المأكولات النباتية، ﴿ وَاشْكُرُوا للهِ ﴾ على عظيم نعمه ومزيد مننه، ﴿ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ توحدون.

وهذه الآية فيها رد على من يشدد على نفسه ويُحرم ما أباح الله له، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ

آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه.

الآية الحادية عشرة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة:١٧٨].

الشــرح:

هذه الآية والتي تليها فيهما: مشروعية القصاص، سواءً كان في الجراحات أو كان في الأنفس.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين المقرين الموحدين، ﴿ كُتِبَ ﴾ فُرِضَ، ﴿ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ المساواة في الجراحات والديات ﴿ فِي الْقَتْلَى ﴾ وهذا فيمن قُتِلَ متعمدًا، أما من قُتِل خطئًا فليس فيه قصاص، ومثله شبه العمد، ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ ﴾ أي: المقتول الحر بالقاتل الحر، كلاهما يُقتل بالآخر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والمؤمنون تتكافأ دماؤهم» متفق عليه عن علي رضي الله عنه، ﴿ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ﴾ بل لو قتل الحر العبد لزمه القصاص إلا عبد نفسه فقد اختلف العلماء، فذهب الجمهور: إلى أنه لا يقتل بعبد نفسه، وذهب مالك: إلى أنه

إذا كان مترصدًا قاصدًا متتبعًا لقتله أنه يقتل به، ﴿ وَالأُنثَى بِالأُنثَى ﴾ وكذلك يقتل الذكر بالأنثى، والأنثى بالذكر، فلو قتلت امرأة رجلًا متعمدة لزم القصاص، وإن قتل رجل امرأةً متعمدًا لزم القصاص، وقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم يهوديًا بجارية قتلها متفق عليه هريرة رضي الله عنه، وعليه بوب البخاري: باب قتل الرجل بالمرأة.

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ﴾ أي: من القصاص أو الدية، ﴿ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ مما تقدم، ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ينبغي أن يتبع بالمعروف، لا يطالب بأكثر من حقه ولا يقتل غير قاتله، ولا يقتل بعد العفو، ﴿ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ ترد إليه الدية كاملة من غير مماطلة كما أحسن إليك بالعفو عن القصاص أحسن إليه بأداء الدية، فلا يجوز أن تعفو عن القصاص ثم تذهب تقتله هذا يؤدي إلى قتلك، ولا يجوز أن يُعفى عنك من القصاص ثم تقول: ما عندي لك دية إلا إذا كان العفو كليًا، ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: العفو، ﴿ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ إذ لم يجعل القصاص هو الحُكم المُطلق، بل جوز القصاص وجوز العفو، ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ اعتدى على أخيه بعد العفو وقبول الدية الذي قد عفا عنه، ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ موجع بأن يقتل قصاصـًا .

الآية الثانية عشرة:

قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٩].

الشــرح:

﴿ وَلَكُمْ ﴾ يا معاشر المسلمين، ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ أي بقاء وقد يقول قائل: أي حياة وهو يُقتل؟ نقول: الحياة في قتل القاتل حتى يسلم غيره، قال ابن كثير: ولو علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة النفوس وفي الكتب المتقدمة القتل أنفى للقتل، فجاءت هذه العبارة في القرآن أفضل وأبلغ وأوجز. اهـ

﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ هذا هو الشاهد من سوق الآية في هذا الموطن: أن الله ناداهم بقوله: ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ تصلون إلى مرتبة التقوى إن لازمتم المأمور وتركتم المحظور.

ولو أن حُكام المسلمين يقومون بما فرض الله عَزَّ وَجَلَّ من القصاص في الجراحات والأنفس لقل الشر كثيرًا، ولكن الكفار يشددون على هذه المسألة مسألة قتل القاتل متعمدًا، ويعتبرون ذلك من الغلظة والشدة والعنف، بينما كم تشاهد من العنف في البلاد الأمريكية وفي غيرها يقتلون بدون أي سبب لا سيما الشرطة ولا إنكار عليهم، ولو جُمع السود الذين قتلوهم في هذا العام لرأيت العدد، وكلهم موثق ومصور ومع ذلك لا إنكار، بينما لو قتل شرطي في البلاد الإسلامية آخر مع عنفوانه وشدته لقالوا: أين حقوق الإنسان؟

المهم: كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾[النجم:٢٢]، الديمقراطية عندهم: التحلل، التفسخ، الإلحاد مع أنهم يقولون: الديمقراطية: الحرية، والإخاء، والمساواة، بينما إذا جئت لجانب المسلمين: تجد أن لبس الحجاب، وبناء المساجد، ورفع الأذان، والتميز عن الكفار، كل هذا عندهم من الأمور التي لا يسمحون بها، وبهذا تعلم أنهم إنما يتلاعبون بقوانينهم وبنظرياتهم؛ لنصرة مذاهبهم

البطالة الهدامة.

الآية الثالثة عشرة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٨٣].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين: الذين التزموا أمره واجتنبوا نهيه وزجرة، ﴿ كُتِبَ ﴾ فُرِضَ، ﴿ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ وهو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ كَمَا كُتِبَ ﴾ فُرِضَ، ﴿ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل المأمور وترك المحظور.

ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ ما قال من شأن أحكام الصيام.

فالشاهد: أن الصيام فريضة الله، فينبغي للمسلمين أن يقوموا به على الوجه الذي يُرضي الله، وأن يلتزموا هدي رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حتى تَنبُل طباعهم، وتحسن أخلاقهم، وتُكفر سيئاتهم، وترفع درجاتهم؛ لأن بعض الناس يصوم حمية ولا ينفعه ذلك، وبعض الناس ربما يصوم إضرابًا عن الطعام كما هو حال كثير من السجناء، لكن الصيام الممدوح: هو الإمساك بنية التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

وهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، قال النبي **صلى الله عليه وسلم** :

«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ» أخرجه أحمد عن أبي امامة رضي الله عنه، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر:١٠]، وفي الحديث: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد نكسل عن التطوعات لكن جعل الله عَزَّ وَجَلَّ بركةً في ما فرض من صيام رمضان، يصومه كل المكلفين ويؤجرون على ذلك، إلا من كان معذورًا فله أحكامه: عليه القضاء إن كان مسافرًا، أو امرأة حائض أو نفساء، فإن كان مريضًا أيضًا واستمر معه المرض حتى يموت فليس عليه شيء، وإن شُفِيَ وقدر على الاتيان بالصوم ولم يأتِ به يلزم أولياؤه أن يصوموا عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

وقوله: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ لكنهم حرفوا وبدلوا، فالنصارى غيروا الصيام من شهر رمضان إلى أيام الشتاء، زد على ذلك: أنه مرض ملك لهم فنذروا بعشرة أيام إن كان كذا، ثم آخر فنذروا بعشرة أيام إن كان كذا، فتلاعبوا بها إلى خمسين يومـًا، وكثير من الأوامر فيها: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ إنما يأمر أو ينهى عن أمر فيه مصلحة للعبد، فإذًا خذ بأمر الله واجتنب نهي الله، فليبشر من الله عَزَّ وَجَلَّ بالخير العظيم.

الآية الرابعة عشرة:

قال تعالى:﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[البقرة:١٩٧].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لأولي الألباب: أن يلتزموا تقواه وسبل رضاه، وأولوا الألباب: هم أصحاب العقول، فإن لب الشيء أصله وأسه وأحسن ما فيه.

قوله: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ وهي: شوال، وذو العقدة، وذو الحجة، وقيل: عشر ذي الحجة، ﴿ فَمَنْ فَرَضَ﴾ أوجب على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ أي: أحرم بالحج مفردًا أو تمتع إلى الحج أو قرن بين الحج والعمرة، ، ﴿ فَلا رَفَثَ ﴾ هو الجماع والتكلم بمقدماته وما في بابه عند النساء؛ لأن ابن عباس ربما كان يقول:

هُـــنَّ يَمْشِـــينَ بِنَـــا هَمِيسَـــا   إنْ تَصْـدُقِ الطَّيْـرُ نَنِـكْ لَمِيسَـا

لكن لم يكن بين النساء؛ ﴿ وَلا فُسُوقَ ﴾ من سباب وشتم وسرقة، ﴿ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ مناظرات تقسي القلوب وتذهب الاستقامات، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ﴾ مهما دق في أعينكم، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ﴾[الزلزلة:٧-٨]، ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾ بالأعمال الصالحات، وهكذا بالأقوات والملابس إن كنتم في سفر، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[الأعراف:٢٦]، فهي نعم الزاد ونعم اللباس، إلى غير ذلك.

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ [ص:١٣٤]: " كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] رَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلًا أخرجه البخاري .

الآية الخامسة عشرة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[البقرة:٢٠٨].

الشـرح:

يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ﴾ ادخلوا في الإسلام من جميع جوانبه، أي لا يكون عندكم انتقائية، تأخذون ما ناسب أهوائكم، وتتركون ما خالف آرائكم، بل ما سُمي المسلم مسلمًا إلا لانقياده واستسلامه لله ﴿ كَافَّةً ﴾ أي: من جميع جوانبه بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور، وهذا هو المسلم حقًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[الأنفال:٢-٤]، ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ سُبل وطرق الشيطان، ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ فيصرفكم عما أحل الله عَزَّ وَجَلَّ، ويجعلكم ترتكبون ما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩] .

الآية السادسة عشرة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[البقرة:٢٥٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين، يأمرهم بالنفقة في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ سواءً في ذلك النفقات الواجبة كالزكاة، والنذور، وما يلزم من نفقة الزوجات والأبناء، والآباء إن احتاجوا إلى ذلك، أو النفقات المستحبة في أوجه الخير هاهنا وهاهنا وهاهنا، ﴿ أَنفِقُوا ﴾ ابذلوا ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أعطاكم الله وأنتم في حال صحة ونشاط، كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم** لما سئل أي الصدقة أفضل: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ﴾ أي: يوم القيامة، يوم الفصل، ﴿ لا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ لا يستطيع الإنسان أن يستعتب ولا أن يكسب أجرًا، ﴿ وَلا خُلَّةٌ ﴾ صحبة تنفع إلا ما كان من شأن أهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف:٦٧]، ﴿ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾، تنفع وتدفع ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[الأنبياء:٢٨]، فإذا أردت أن يكون لك عند الله عَزَّ وَجَلَّ منزلة ورفعة فمن الآن اشتري نفسك من الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[التوبة:١١١]، ومن الآن اتخذ لك

أخلاء من المؤمنين فعن أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي وأبي داود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي» أخرجه مسلم .

وإذا أردت الشفاعة فلزم هدي النبي صلى الله عليه وسلم حتى يشفع لك، ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لم يقل الظالمون هم الكافرون؛ لأن الظلم يتفاوت ظُلم دون ظُلم، ظُلم يخرج من الإسلام، وظُلم دون ذلك، ولكن الكفار ظلمة لأنفسهم، ظلمة لغيرهم، ظلمة فيما بينهم وبين ربهم عَزَّ وَجَلَّ، وظُلمهم لا يُغفر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣].

الآية السابعة عشرة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:٢٦٤].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ بعد حثه للمؤمنين على الصدقة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا ﴾ تُذهِبوا أجر صدقاتكم ونفقاتكم: ﴿ بِالْمَنِّ ﴾ على من أعطيتموه: فعلنا لك، وفعلنا لك وهكذا: ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾[البقرة:٢٦٣]، ﴿

﴿ وَالأَذَى ﴾ بالفعل أو بالقول، فمثل المان والمؤذي في صدقته: ﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ والمرائي لا يؤجر على عمله بل يؤزر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " أخرجه مسلم .

﴿ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ كافر فلا يؤمن بالبعث والنشور، فمثل هذا: ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ حجرة ملساء عليها تراب، ليست بأرض مستقرة، ﴿ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ مطر، ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ أملس لا حياة فيه ولا بقاء لمسببات الحياة، فذهبت أعمالهم كما ذهب هذا التراب من على الحجرة الملساء، ﴿ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ لا يستطيعون المحافظة على شيء من الأعمال، ﴿ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ لعلمه أنهم ليسوا أهلًا للهداية، وليسوا أهلًا للتوفيق، وفي هذه الآية

التحذير من النفاق والشرك والرياء، فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ " أخرجه أحمد .

وفي المقابل قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ﴾[البقرة:٢٦٥]، إخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾[البقرة:٢٦٥]، مزرعة وبستان في مكان مرتفع؛ لكنه ثابت مستقر، ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾[البقرة:٢٦٥]، مطر طيب مبارك، ﴿ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾[البقرة:٢٦٥]، مرتين، ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ ﴾[البقرة:٢٦٥]، مطر، ﴿ فَطَلٌّ ﴾[البقرة:٢٦٥]، ومع ذلك تنتفع من هذا الرذاذ؛ لطيب منبتها ولطيب ثمرتها، ولطيب تربتها، ولطيب هواءها، ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[البقرة:٢٦٥]، مطلع.

الآية الثامنة عشرة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[البقرة:٢٦٧].

الشـرح:

هذا تكرار من الله عَزَّ وَجَلَّ بالأمر بالنفقة: ﴿ أَنفِقُوا ﴾ ابذلوا في وجه الخير، ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ من الحلال المحبوب إليكم فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " أخرجه مسلم ، ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ما حصلتم في عملكم، ﴿وَ﴾ أنفقوا أيضًا: ﴿ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من الثمار والزروع، ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ تقصدوا ﴿الْخَبِيثَ ﴾ السيء من الثمرة، أو الخبيث من المال، ﴿ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ لغيركم، ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ﴾ إن أُعطي لكم؛ لعدم جودته ولعدم طيبه، ﴿ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ تُلجأوا وتجبروا عليه، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ ﴾ غني عن صدقاتكم، ولكنه ابتلاكم واختبركم، ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يحمد من فعل الصالحات وتقرب إلى الله بالمبرات، وفي سبب نزولها عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَالقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لاَ يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالحَشَفُ وَبِالقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ قَالُوا: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَى، لَمْ يَأْخُذْهُ إِلاَّ عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ. قَالَ: فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ» أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) .

فهذه آيات الصدقة في سورة البقرة من أعظم الآيات في هذا الباب، إذ أن الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم عما ينبغي في هذا الباب من الإخلاص وما يحصل وراء ذلك من المضاعفة للأجور الكثيرة: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:٢٦١]، ولما كان عادة الناس المن إلا من رحم الله، نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عن المن: ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾[البقرة:٢٦٤].

ثم أخبر أن القول المعروف بدون صدقة أقرب إلى الله وأفضل من صدقة مع من وأذى، ثم أخبر بحال المرائي في صدقته، وبحال المخلص في صدقته.

ثم قال: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[البقرة:٢٦٦]، وهذا مثل ضربه الله عَزَّ وَجَلَّ للذي يعمل بعض الأعمال الصالحة ثم يؤدي إلى فساده بالشرك، والله المستعان.

الآية التاسعة عشرة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٢٧٨].

الشــرح:

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ومن

ذلك: ترك الربا: ﴿ وَذَرُوا ﴾ أي: اتركوا، ﴿ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ الزيادة التي يأخذها الإنسان ظُلمًا وعدوانًا، والله عَزَّ وَجَلَّ أحل البيع وحرم الربا: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾[البقرة:٢٧٥]، والله عَزَّ وَجَلَّ حرم الربا: ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾[البقرة:٢٧٦]، يضاعف لعباده المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم: لَعَنَ الرِّبَا وَآكِلَهُ وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ» أخرجه مسلم عن جبر رضي الله عنه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب آكل الربا في القبر: «وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا»[١]، ﴿ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ملتزمين لشرع الله ظاهرًا باطنًا.

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴾[البقرة:٢٧٩]، بترك الربا، ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[البقرة:٢٧٩]، أعلمهم بحرب يكون من الله عَزَّ وَجَلَّ: بذهاب بركات أموالهم: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»[٢]، وهكذا الرسول بتأديبهم في ذلك الزمان، ويقوم أولياء الأمور بدلًا عنه في كل زمان، لكن: ﴿ لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[الروم:٤]، والله المستعان، أصبح أولياء الأمور في هذا الزمن هم الذين يفتحون البنوك الربوية، ويشجعون على المعاملات الربوية، فينبغي للمسلم أن يحتاط لنفسه،

---

[١] أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٧)، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

[٢] أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٢٧٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

في باب الصرافة والقرض ونحو ذلك مما يدخله الربا.

الآية العشرون والأخيرة من سورة البقرة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:٢٨٢].

الشـرح:

قبل الكلام عن الآية لاحظ معي الفرق بين الآيات التي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، وبين الآيات التي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

فالتي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، أغلبها دعوة إلى التوحيد، ودعوة إل الإيمان باليوم الآخرة ونحو ذلك من أمور العقيدة التي ينبغي للمسلمين أن يطيعوا الله عَزَّ وَجَلَّ فيها.

بينما: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أحكام أوامر في كثير من الشؤون؛ لأن الكافر ما قد دخل في الإسلام حتى تأمره بغير ذلك، فيحتاج أولًا أن ينقاد للإسلام ظاهرًا باطنًا، فعند ذلك تأمره، أما المؤمن قد أصبح منقادًا فيؤمر.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ ﴾ نزلت في السلف أو السلم، كما قال ابن عباس، وشروطه أربعة:

الأول: أن يكون في شيء معلوم.

الثاني: إلى أجل معلوم.

الثالث: بثمن معلوم.

الرابع: أن يكون موصوف في الذمة.

لأن البيع ثلاثة أنواع:

الأول: بيع ناجز بناجز: تدخل الدكان اعطني هذه البضاعة بكذا، هذا حقك وهذا حقي، فهذا لا إشكال فيه.

الثاني: بيع آجل بعاجل: الثمن مقدم والسلعة تؤخر، وهذا هو السلف والسلم الذي كان الأنصار يُسلمون ويسلفون فيه وقد تقدمت شروطه.

الثالث: بيع عاجل بآجل: فتدخل إلى المحل وتشتري البضاعة على أن تسدد بعد فترة، فهذه الثلاثة الأنواع كلها جائزة.

الرابع وهو الممنوع: بيع آجل بآجل: وهو بيع الدين بالدين، بيع الكالئ بالكالئ وهذا حرام.

قوله: ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ بهذا استدل كثير من العلماء: على أن المستدين لا

يجوز له الاستدانة إلا لوقت معلوم، لكن قد جاء في الحديث: «إِلَى مَيْسَرَةٍ»، فلا حرج في ذلك، ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾ حتى لا يضيع، والأمر بالكتابة هنا للاستحباب، ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ لأن أغلب الناس كانوا ما يكتبون في ذلك الزمان، أما إذا كان يستطيع أن يكتب بنفسه فليكتب وليوقع أو ليختم أو ليبصم أو ليشهد على كتابته، ﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ بالحق، لا يميل مع الدائن ولا المستدين، ﴿ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ لا يمتنع الكاتب أن يكتب محاباةً ومجاملة، ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ ﴾ فمن شكر الله: أن يُعين الناس: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[1]، ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ يعني: الكاتب إنما عليه أن يكتب ما يقول له صاحب الحق، ما يذهب من عنده: استدنت مائة ألف ريال، يقوم يكتبها مائة وعشرين، مائة وعشرة، أنت تقول: إلى ثمانية أشهر وهو يكتب لك إلى خمسة أشهر: ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ ﴾ الكاتب والذي يُملي، ﴿ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ لا ينقص منه شيئًا من مال المدين، ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ المستدين ﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ لا يحسن التصرف ضعيف القول أو ضعيف الفعل: ﴿ أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ ﴾ لخرس، أو صمم، أو لعدم مخالطة للناس، ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾ القائم عليه، ﴿ بِالْعَدْلِ ﴾ والإنصاف والصدق، ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا ﴾ في حال سلفكم وقضائه، ﴿ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ في الشهادات اثنين من الرجال، سواءً في الجراحات، أو في الدماء أو في الأموال، أما النساء لا مدخل لهن إلا في الأموال، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ فإن لم يكن رجل بالمرة فأربع نسوة، فإن وجد

---

[1] أخرجه مسلم برقم: (٢١٩٩)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

شاهد واحد مع صاحب الحق أجزء: فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَضَى بِالشَّاهِدِ مَعَ الْيَمِينِ.

فإن لم يوجد شهود بالمرة «فعلى المدعي البينة وعلى المنكر اليمين»، هكذا يكون ترتيب الدعوى:

الأول: مُدْعِي ومُدَعَى عليه.

الثاني: يُطالب بالشهود، والشهود الأصل: أن يكونوا من الرجال، فإن لم يوجد رجال فيؤخذ شهادة النساء في الأموال، أما الدماء والحدود فليس إلا شهادة الرجال، فإن وجد شاهد واحد: الشاهد مع اليمين خلافًا لأبي حنيفة .

﴿ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ دليل على أن الشاهد: لا بد أن يكون عدلًا مرضيًا غير فاسق، فالقاذف لا تقبل شهادته قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:٤]، ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ دليل على أن النساء يلحقهن النسيان والضعف، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ»، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» متفق عليه عن أبي سعيد وابن عمر رضي الله عنهم .

﴿ وَلا يَأْبَ ﴾ يمتنع ﴿ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ عن أداء الشهادة فمن تحمل الشهادة

يجب عليه أن يؤديها، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[البقرة:٢٨٣]، ﴿ وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ الدين، ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ﴾ سواءً كان شيئًا كثيرًا أو قليلًا، ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾ يعني: أعدل، ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴾ أن يؤتى بها على وجهها، ﴿ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ تشكوا، ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ كما هو الحال في المحلات التجارية فتارة تشتري بمائة، وتارة تشتري مائتين، وتارة تشتري بألف فما كل شيء تشتريه تعمل فيه ورقة، بل تكتفي بما يقيده صاحب الحق، ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ لأن هذه تأخذ وتعطي، ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فيما قل أو كَثُر، ﴿ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ ﴾ لا الكاتب يضر بالمدين ولا المستدين، ولا الشاهد يضر بأحدهما، ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا ﴾ المضارة، ﴿ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ يعني: أعمال الفاسقين ليس بأعمال الصالحين، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ هذه الأحكام الجليلة العظيمة، ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، لا تخفى عليه خافية، وفي هذا رد على المعتزلة ومن إليهم ممن ينكر علم الله عز وجل بجميع المعلومات .

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾[البقرة:٢٨٣]، لأن السفر مظنة عدم وجود الكاتب فتقوم بوضع الرهن عنده، والرهن جائز في الحضر والسفر، وإنما ذُكِرَ السفر في الآية مخرج الغالب؛ ولأنه الوقت الذي لا يوجد فيه الكاتب، والرهن لا يجوز أن ينتفع به صاحبه لا ركوبًا، ولا إجارةً، ولا لبسًا، ولا استخدامًا أبدًا إلا ما كان من «الظهر يُركب، والدر يُحلب» أي بقدر ما يُعلف، يعني مثلًا: رهن عندك بقرة وأنت تحتاج أن تعلفها كل يوم للمحافظة عليها،

فتشرب من لبنها بقدر ما تُعطيها من العلف، فإن زاد شيء من اللبن تؤديه إلى صاحبه، وهكذا الظهر يُركب: رهن منك فرسًا أو حمارًا أو بغلةً أو بعيرًا، يركب بقدر ما تعطيه من العلف، ولا يجوز الزيادة فيها، أما الرهن الصامت: كالذهب، والسلاح، والفضة، والأرض فهذه لا يجوز أن ينتفع بها مُطلقًا، وعندنا يسمون هذا بالبيع المرفع فهذا ربا صريح: يعطيه مائة ألف أو أقل أو أكثر على أن يعطيه المزرعة حتى يسترد ماله هذا ربا، فلا تجوز هذه المعاملة.

فإن كان ولا بد يكون شريكًا لصاحب الأرض، مثلًا: يأخذها على أن يعمل فيها وله النصف على أمور يتفقون عليها، أما أن الأرض فيستفيدها بسبب الرهن فكل قرض جر نفع فهو ربا.

هذا ملخص في الكلام على هذه المسألة، ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:٢٨٣]، فلا يجوز كتمان الشهادة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود: «يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا» متفق عليه، وفي حديث زيد بن خالد: «خَيْرُ الشُّهَدَاءِ مَنْ أَدَّى شَهَادَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا» **متفق عليه**، والجمع بينهما: إذا خشيت ضياع الحق فممدوح تقديم الشهادة قبل أن تُسأل، وإن كان الشهود متوافرون فلا تبقى مسارعًا إلى الشهادة فإن هذا إضعاف لشأنها، والحمد لله .

مَدَنيّة — آل عمران — آياتُها (٢٠٠)

الآية الواحدة والعشرون(١):

قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[آل عمران:٥٥].

الشـرح:

﴿ إِذْ قَالَ اللهُ ﴾ عَزَّ وَجَلَّ منادِيًا عيسى عليه السلام حين أراد اليهود أن يقتلوه: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي: قابضك ورافعك إليّ، وليس المراد بالوفاة هنا: وفاة الموت، قيل: وفاة النوم، وقيل: رافعه إليه، فعيسى عليه السلام ما زال حيًا وهو في السماء الثانية، ويكون نزوله في آخر الزمان حيث يقتل المسيح الدجال، ويحكم بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» متفق عليه، ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ دليل على أن الله في العلو، وقد قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه:٥]، وقال عز وجل: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[فاطر:١٠]، ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مسلمك من الذين كفروا أن

يصيبوك بسوء وكانوا اليهود في ذلك الوقت، ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قال العلماء: أتباعه هم أتباع النبي **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: في آخر الزمان حين تقوم الساعة، ﴿ فَأَحْكُمُ ﴾ أفصل، ﴿ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

الآية الثانية والثالث والعشرون(٢):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران:٦٤-٦٥].

الشـرح:

هذه الآية كان شأنها: أن نصارى نجران قدموا على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يحاجونه في عيسى عليه السلام، فكان ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ من شأنه، ثم قال لهم النبي **صلى الله عليه وسلم** : بأمر الله له ﴿يا أهل الكتاب﴾، والمراد: النصارى هنا، ولا مانع أن يدخل فيها اليهود: ﴿ تَعَالَوْا ﴾ هلموا، ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ يعني: نتفق عليها ونسير عليها، وهذه الكلمة: هي لا إله إلا الله، ﴿ألا نعبد إلا الله﴾، نوحده ونفرده بالعبادة ﴿ولا نشرك به شيئًا﴾، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذا معنى لا إله إلا الله؛ لأنها جمعت النهي والإثبات فقوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ﴾ إثبات، ﴿ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ نفي، فلا يُشرك به في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا

في أسمائه وصفاته، و: ﴿ شَيْئًا ﴾ نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، سواء كان الشرك أكبر أو أصغر .

﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ ليس معنى ذلك أنهم يتخذوهم خالقين رازقين مدبرين، ولكن يأخذون بما أفتوا به من تحريم الحلال وتحليل الحرام، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾[التوبة:٣١]، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ إن تولوا عن هذه الدعوى وعارضوها، ﴿ فَقُولُوا ﴾ يا معشر أهل الإسلام: ﴿ اشْهَدُوا ﴾ أي: اسمعوا واعملوا، ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مستسلمون لله عَزَّ وَجَلَّ منقادون.

وفي هذه الآية دلالة على: أن أصحاب حوارات ودعاة الأديان كثير منهم يجهل دين الله، إذ أنهم يذهبون للمحاورة مع اليهود والنصارى ربما في شأن كرة القدم، وفي شأن بعض الاقتصاديات ويتركون الأساس العظيم الذي هو التوحيد.

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ وذلك: أن اليهود زعموا أن إبراهيم منهم، والنصارى زعموا أن إبراهيم منهم، فقال الله ردًا عليهم: ﴿ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ فإن موسى من ذرية إبراهيم وبينه وبين إبراهيم مفاوز، وعيسى من ذرية إبراهيم وكلاهما يعود إلى إسحاق عليه السلام، ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

وتمام الآي: ﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٦٦].

الآية الرابعة والخامسة والعشرون(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧٠-٧١].

الشـرح:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى، وسموا بأهل الكتاب؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أنزل على أنبيائهم كتبًا وهم يتعبدون بها في الجملة مع أنهم قد حرفوها وغيروها وبدلوها، فكتاب اليهود هو التوراة، وكتاب النصارى هو الإنجيل، ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ إنكار عليهم، ﴿ وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ ﴾ تعلمون؛ بأنها حق من عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ ﴾ الإسلام، ﴿ بِالْبَاطِلِ ﴾ اليهودية والنصرانية كما قال قتادة، ﴿ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ ﴾ في وصف محمد **صلى الله عليه وسلم** ، وفي وصف الإسلام الحق، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، وهذا من عظيم خبثهم: أنهم كتموا ما يتعلق بوصف محمد **صلى الله عليه وسلم** وببيان فضيلة هذا الدين.

الآية السادسة والعشرون(٤):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران:٩٨].

الشـرح:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ الشرعية وهذا إنكار عليهم، ﴿ وَاللهُ

﴿ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ مطلع على ما تعملون ومسطرة عليكمأفعالكم: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[الزخرف:٨٠].

وانظر إلى عظيم نداءات الله عَزَّ وَجَلَّ لأهل الكتاب، وإلى كثرة مخالفة أهل الكتاب لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد وقع منهم ما هو أشد من ذلك: فقد عبدوا العجل، وقالوا: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[النساء:١٥٣]، وعصوا نبينهم وهو بين ظهرانيهم.

الآية السابعة والعشرون(٥):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران:٩٩].

الشــرح:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ تمنعون من أراد الإسلام، وربما أفتوهم بغير الصواب، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾[النساء:٥١]، وسبيل الله واحد، بينما سبل الشيطان كثيرة: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[الأنعام:١٥٣]، ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ اتبع محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ تريدونها، ﴿ عِوَجًا ﴾ يهودية ونصرانية: وهو الكفر الصراح، ﴿ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ﴾ على ذلك، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ معناه: أنه مطلع مبصر لا تخفى عليه خافية، وهذا على التهديد لهم.

الآية الثامنة والعشرون(٦):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[آل عمران:١٠٠].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين: أن تكون طاعتهم لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن تكون طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لما في ذلك من الخير العظيم: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧١]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران:١٣٢]، وأما الطاعة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ ولغير رسوله صلى الله عليه وسلم فيما لم يرد به دليل فلا تكون إلا سببًا للخذلان، قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث علي رضي الله عنه : «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» متفق عليه .

وهنا ينهى الله عن طاعة اليهود والنصارى، ﴿ إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ممن يمكر بالإسلام، ﴿ يَرُدُّوكُمْ ﴾ إلى الكفر، ﴿ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ وهذا غاية الضلال والإجرام؛ لأن من يرتد عن الإسلام صار دمه مباحًا في الدنيا، وصار في الآخرة مع الكافرين في النار.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ " متفق عليه .

وقال الله بعد ذلك: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران:١٠١]، أي: كيف يقع منكم الكفر بعد الإيمان، وهذا لا يكون إلا عن ضعف إيمان ومواتاه لهؤلاء.

الآية التاسعة والعشرون(٧):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٠٢].

الشــرح:

قالوا: حق تقاة الله: أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى، ولكن هذا قد يتعذر على الإنسان؛ لأن الإنسان لا بد له من ساعة وساعة، كما في حديث حنظلة: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» أخرجه مسلم، ولذلك قال أهل العلم: معنى: ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ عائد إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن:١٦]، وقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦]، وقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾[الطلاق:٧]، وحديث أبي هريرة: «وَلَكِنْ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا

مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» متفق عليه.

﴿ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ دعوة إلى الثبات على دين الله عَزَّ وَجَلَّ حتى تلقى الله، ومن دعاء يوسف عليه السلام: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[يوسف:١٠١]، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها، «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

الآية الثلاثون (٨):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران:١١٨].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا ﴾ لكم، ﴿ بِطَانَةً ﴾ جلساء، ﴿ مِنْ دُونِكُمْ ﴾ من غيركم، سواءً من المنافقين أو الكافرين، ﴿ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ لا يرقبوا فيكم إلًا ولا ذمة، ويريدون بكم الخبال والعنت والتعب، ﴿ وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ﴾ يحبون عنتكم وتعبكم وإرهاقكم، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في شأنه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[التوبة:١٢٨]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يسعى في رفع المشقة عن أصحابه وأمته، وهؤلاء يسعون في تعظيم المشقة على الأمة.

﴿ قَدْ بَدَتِ ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ في كلامهم تارة يلمزون، وتارة يطعنون، وتارة يشككون، ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ من الغيض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه، وهذا دليل على بغضهم للإسلام وأهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ﴾ وضحناها وجليناها، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أمر الله عَزَّ وَجَلَّ فتفعلون المأمور وتتركون المحظور.

ولو أخذ المسلمون بهذه الآية لصار أمرهم إلى الأحسن سواء في باب العبادات والطاعات، أو في باب الأخلاق والمكرمات، أو في باب الزراعة والصناعة والتجارات؛ لكنهم اتخذوا بطانة من الكافرين فلا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة.

الآية الواحدة والثلاثون (٩):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:١٣٠].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا معشر من آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ولا تلبسوه، ولا تقتنوه، ولا تأخذوه إنما

ذكر الأكل؛ خرج مخرج الغالب، والربا: هو الزيادة في الدين بغير وجه حق، وقد يكون الربا واقع بسبب البيع مع عدم التقابض، فالزيادة: كأن يسلفك ألفًا بألف ومائة إلى أجل، وعدم التقابض: كأن يبيع منك ذهبًا بفضة بدون تقابض، أو يمني بسعودي بدون تقابض هذا ربا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوِ اسْتَزَادَ، فَقَدْ أَرْبَى، الْآخِذُ وَالْمُعْطِي فِيهِ سَوَاءٌ» متفق عليه، ﴿ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ يعني: تأكلون أموال الناس بالباطل، بمضاعفة الدين عليهم، والله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾[البقرة:٢٧٦]، يضاعف الصدقات: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه، والمعنى الخاص: بترك أكل الربا وتعاطيه، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بنيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

وقد جُعِل للربا في هذه الأيام بنوك يتعاطون فيها هذه المصيبة العظيمة التي حرمها الله عَزَّ وَجَلَّ، وحرمها رسوله صلى الله عليه وسلم .

الآية الثانية والثلاثون (١٠):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٩].

الشــرح:

فيه التحذير من طاعة الكافرين، فإنهم يريدون بالمسلمين الخبال والردة والانحراف، كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾[البقرة:١٠٩]، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ ﴾[البقرة:١٠٥]، وهنا يقول: ﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أي: عن الإسلام إلى الكفر، ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ مذمومين مدحورين، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة:١٢٠]، فلا يُركن إلى الكافرين، ولا يسمع لنصحهم وقولهم، فهم إنما يدلون المسلمين إلى سُبل الفساد.

والردة محبطة لجميع العمل، ويصير المرتد كافرًا بعد أن كان مسلمًا، ويخلد في النار إن مات عليها، وحد المرتد القتل، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم : «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»، متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ الغالب في هذا الوصف: أنه يدل على الخسران العظيم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[الزمر:١٥].

الآية الثالثة والثلاثون(١١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[آل عمران:١٥٦].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ احذروا من التشبه بالمنافقين: ﴿ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ في النسب: ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ابتغاء الرزق، ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾ في الغزو والجهاد فلحقهم الموت، ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ وهذا كلام باطل يدل على جهلهم بدين الله وإلا فإن: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[آل عمران:١٨٥]، أينما كانت، كما قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾[النساء:٧٨]، وقال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[الرعد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾[آل عمران:١٤٥].

﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ ﴾ الاعترا على القدر ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ يتحسرون ويتألمون: لو بقوا عندنا أنهم الآن في سلامة، بينما المؤمن: ﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[البقرة:١٥٦]، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى» متفق عليه عن أسامة رضي الله عنه، ويصبر ويحتسب، ﴿ وَاللهُ يُحْيِي ﴾ من شاء ويبقيه، ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ من شاء، ﴿ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم على أعمالكم، لا تخفى عليه خافية، وهذه قد تكون على الوعيد وقد تكون على الوعد،

على الوعيد للمخالفين، وعلى الوعد للمؤمنين، فيجازي الله عَزَّ وَجَلَّ كل عامل بعمله.

الآية الرابعة والثلاثون(١٢):

ٹ ٹ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

الشــرح:

بعد أن ذكر ما ذكر عز وجل من آيات الجهاد والأحكام وغير ذلك، قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على فعل المأمور وترك المحظور والتسخط على المقدور، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُوهُ لِسَرَّاءَ وَلَا لضرّاءَ وَلَا لِشِدَّةٍ وَلَا لِرخَاء، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُصَابِرُوا الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَهُمْ. وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ.اهـ

﴿ وَصَابِرُوا ﴾ من المصابرة: وهي بذل الجهد لتعلم الصبر، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ» متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه، ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» أخرجه مسلم، وأعظمه أيضًا: المرابطة في الثغور حماية

لحوزة الإسلام، ففي حديث سلمان: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، إِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ، وَيُؤْمَنَ الْفَتَّانَ» أخرجه مسلم، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ يحصل لكم نيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

فانظر يا وفقك الله إلى أن أعظم النداءات لأمور لك فيها مصالح كثيرة، يستقيم بها دينك ودنياك، إذ أن الله عَزَّ وَجَلَّ يأمر المؤمنين بما فيه صلاح أحوالهم، وصلاح مآلهم، لكن أين الذين يعملون؟ أين الذين يستجيبون؟ أين الذين يرعوون عن الباطل؟ فما أكثر الذين يلجون في الباطل.

مَدَنية — النساء — آياتها (١٦٧)

الآية الخامسة والثلاثون(١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ هذا من المواطن التي نادى الله عَزَّ وَجَلَّ الناس جميعًا، والآية مدنية، ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ أي: اعبدوا ربكم، كقول النبي **صلى الله عليه وسلم** كما في

حديث أبي أمامة عند الترمذي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا في منى فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ»، وفي رواية: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»، وتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ بها صلاح الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[الطلاق:٢-٣]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[الطلاق:٤].

﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ أي: أوجدكم، ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وهي آدم عليه السلام بعد أن خلقه من تراب، ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وهي حواء عليها السلام خلقها من ضلع، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ» متفق عليه، ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾ أي: من نسلهما، ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ وصاروا كما ترى في هذه الأيام بالمليارات، لكن أكثرهم لا يشكرون ولا يعلمون، وفي الكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ يلجون، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ ستُسألون عن طاعته ومرضاته: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الفتح:١٧]، ﴿ وَالأَرْحَامَ ﴾ اتقوا الأرحام وصلوها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ» متفق عليه، وفي حديث جبير بن مطعم: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، متفق عليه، وفي رواية: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[محمد:٢٢-٢٣]، وعن أنس رضي الله عنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ،

وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه، ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ مطلعًا وشاهدًا، لا يخفى عليه شيء من شأنكم، فيجازى الحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وهذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها في خطبة الحاجة لعظيم ما تدل عليه من الخير العظيم، فعن جرير رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [الحشر: ١٨] «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم .

الآية السادسة والثلاثون(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[النساء:١٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين، ينهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، ومنه ما كان عليه أهل الجاهلية: من أكل مهور النساء أو منع زواجهن من أجل أخذ ميراثهن، ﴿ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ فما أعطين من طيبة نفس فلا حرج: ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾[النساء:٤]، وما يفعله كثير من الناس من أكل مهور بناتهم فهذا لا يجوز، فكان في عادة العرب الكرماء أن يقول بعضهم: لا نأخذ الحلوان على بناتنا، وإنما يكرموهن أيضًا مما هو عندهم، أما أن يأخذ مهرها الذي هو حق لها فلا، وإذا أذنت فلا حرج، ورخص بعض أهل العلم للأب أن يأخذ شيئًا يسيرًا.

﴿ وَلا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ تمنعوهن من الزواج والرجوع إلى الزوج إن كان قد طلقها، ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ من المهور، وهذا النهي يعود إلى الزوج، لا يمسك زوجته ويستمتع بها ويؤدي حقها ولا يطلقها حتى تتزوج غيره، وإنما يمسكها ليسترد ماله وهو ما يفعله بعضهم: يريد أن يفارقها ويريدها أن تفتدي فهذا لا يصلح، إن كان له رغبة في فراقها يطلقها، وإن كانت لها رغبة في فراقه وهو غير راغب في فراقها تختلع منه، فإن أبى فالفسخ إن كان قد نشز عليها وضار بها، فهكذا ترتب الأحكام، أما أنه

يريد أن يتخلص منها بالطلاق، وفي نفس الوقت يريد أن يأخذ المهر هذا لا يجوز.

﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ هذا استثناء: أنها إذا أتت بفاحشة مبينة زنا ظاهراً صريحاً لا يقوم على الشكوك والظنون والقذف بالباطل، فعند ذلك لك أن تطلب الفداء منها، فيجوز لك أن تسترد المهر منها في حالين:

الحال الأول: إذا نشزت، كما في قصة زوجة ثابت بن قيس بن شماس: أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أكره الكفر في الإسلام ولا أنقم على ثابت من دين ولا خُلق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، فردتها، فكان الفراق» أخرجه البخاري، وما جاء طلقها: طلقها تطليقة لا تثب شاذة.

الثاني: إذا وقعت منها الفاحشة البينة الواضحة .

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ ﴾ أي: إذا استقمن معكم، ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بما هو معروف من الإحسان إلى الزوجة، والإحسان إلى أهلها، والإحسان إليها بالكلام والفعال، والمعروف هنا: قد يكون المعروف بالشرع، وقد يكون المعروف بالعرف الذي لا مخالفة للشرع فيه، فمثلًا: بعض البيوت يكون من أصحاب اليسارى من أصحاب المال، فهذه تعاشر بمعروف وعطاء وهبة وإحسان أكثر من لو كانت فقيرة، فالفقيرة قد تصبر على ما لم يصبر عليه أصحاب اليسار، ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ أبغضتموهن، ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ربما يرزقك منها الولد الصالح، وربما تكون ذات دين وخلق، فإن كان إلا الطلاق: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[البقرة:٢٢٩].

الآية السابعة والثلاثون(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[النساء:٢٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين للبعد عن أموال الناس بالباطل، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء:١٠]، «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» **متفق عليه**، هكذا يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** في عدة أحاديث، جاء عن ابن عباس، وأبي بكرة، وأبي هريرة وغير واحد، ﴿ لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ كالربا، والغرر، والغش، والسرقة، والنهبة إلى غير ذلك مما يتعاطاه الناس فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ» **أخرجه البخاري**، بسبب: عدم تورعهم عن الباطل.

فإذًا: لا يجوز لك أن تأخذ من مال أخيك إلا بطيبة نفسه، كما قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبَةِ نَفْسٍ» **أخرجه أحمد** .

﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ يعني: الحلال ما كان عن تجارة: ﴿ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ ليس معناه: أن المال الباطل يؤخذ في وجه حق الباطل باطل، لكن معناه: أن التجارة التي عن تراض هذه لا حرج فيها، يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** : «إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ

تَرَاضٍ» أخرجه أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه، وأنت تأخذ بطيبة نفسه، ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنفس المعصومة ثلاثة أنفس:

الأولى: نفس المؤمن.

الثانية: نفس الذمي.

الثالثة: نفس المستأمن المعاهد.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول كما في حديث ابن مسعود **رضي الله عنه** : «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».

وقد يكون المعنى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ التي بين أضلعكم بحيث: لا يقتل الإنسان نفسه، وهو مؤاخذ، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** أنه قال: قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» متفق عليه، والنبي **صلى الله عليه وسلم** نهى عن قتل الإنسان لنفسه، وعن قتل الإنسان لغيره، وعن قتل الأبناء كما سيأتي في غير ما موطن: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ﴾[الأنعام:١٥١]، فهذه أمور ليس للإنسان أن يتصرف كيف يريد، نفسك ليست لك، حتى أن جماهير أهل العلم منعوا التبرع بالأعضاء؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ ﴾[الأنعام:١٦٢-

١٦٣]، وبعضهم جوز التبرع لمثل الأب، والأم، والزوجة في أمر لا ضرر عليه منه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيث شرع لكم أسباب السلامة: سلامة الأموال، وسلامة العقول، وسلامة الدين، وسلامة الأعراض، وسلامة الأنفس وهذا لا يوجد في غير دين الإسلام: أنه يحافظ على الضروريات الخمس بأحسن حال ومآل.

الآية الثامنة والثلاثون(٤):

ﭷ ﭸ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[النساء:٤٣].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا معشر من آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد **صلى الله عليه وسلم** نبيًا: ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ وهذا قبل أن يُحرم الخمر، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد جعل في الخمر أحوالاً:

الحال الأول: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾[البقرة:٢١٩]، فبين لهم: أن الخمر فيه فساد وضرر، ولم يمنعهم منه ولم يحرمه عليهم.

الحالة الثانية: أنه حرمه عليهم في حال الصلاة، فكانوا قبل الصلاة يتوقفون عن شربه، حتى إذا صلوا تسلم لهم عقولهم.

الحالة الثالثة: أن الله حرمه مطلقًا بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:٩٠]، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وكل مسكر خمر، وكل خمر حرام.

﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ أي: يتبين القول، وهذا دليل: على أن السكران حكمه حكم المجنون في طلاقه، وعتاقه، وبيعه، وشرائه وجميع تصرفاته، وحده: أن يُجلد، جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكلٌّ سنة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ﴿ وَلا جُنُبًا ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنبًا؛ لأن الجنابة حدث أكبر يوجب الغُسل حتى يُرفع الحدث، فمن نوى مع غُسله الوضوء ولم يمس فرجه فوضوؤه صحيح، وإن مس فرجه انتقض وضوؤه ولزمه إعادة الوضوء، وكان ابن عمر رضي الله عنه على هذا.

﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ إذا كنتم فيسفر فلم تجدوا ماء فتيمموا، وقال بعضهم: لا تقربوا المساجد، وهذا قول مرجوح، فما زال أهل الصفة ينامون في المسجد، وربما أصابتهم الجنابة، والله أعلم .

قال البغوي في تفسيره: وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ: فَأَبَاحَ بَعْضُهُمُ الْمُرُورَ فِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمُ اللهُ، وَمَنَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَتَيَمَّمُ لِلْمُرُورِ فِيهِ. اهـ

، ﴿ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ من الجنابة، وتقع الجنابة بأمرين : الأول: الإنزال، الثاني: الإيلاج، ولو لم يكن معه إنزال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ» وَفِي حَدِيثِ مَطَرٍ

وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ» أخرجه مسلم، وسيكون المعنى: ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنبًا حتى تغتسلوا، فإن كنتم عابر سبيل وليس معكم ماء فتيمموا، ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى ﴾ يعني: مرض يضره الماء أو يؤخر برؤه الماء أو يزيده الماء، ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ ماؤكم قليل لا يكفي إلا لشربكم مثلًا، ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ ذهب لقضاء حاجته، والغائط: هو المنخفض من الأرض ثم استعمل في قضاء الحاجة، ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ المراد باللمس: الجماع على الصحيح، وليس هو مس اليد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ربما أخذ من بعض نسائه شيئًا ولم ينتقض وضوؤه، وأيضًا كانت عائشة تفليه وهو في المسجد، فالقول: بأن لمس النساء مطلقًا ينقض الوضوء قول غير صحيح، وإنما المراد باللمس هنا: الجماع، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ إما لقلته، وإما لعدمه، وإما للضعف عن استخدامه.

﴿فتيمموا﴾ اقصدوا ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ الصعيد: كل ما ظهر على وجه الأرض، وذهب جمهور أهل العلم: إلى أنه التراب مستدلين بحديث حذيفة: «**وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا» أخرجه مسلم، ومن هذا الحديث وما في بابه نعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة**، لكن الصحيح: أن الصعيد ما صعد على وجه الأرض، فيصلح التيمم بضربة على الجدار، أو فراش، أو سيارة، أو حجر، أو رمل، أو تراب وهو الأحسن عملًا بالظاهر، وهذا اختيار القرطبي، والشنقيطي، وغير واحد من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وإنما ذُكر التراب خرج مخرج الغالب، والدليل على ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه إلى غزوة تبوك وهي بلاد رمل

قليل الأتربة فيها، ومع ذلك لم يؤثر أنهم كانوا يحملون الأتربة معهم؛ لقصد التيمم.

﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ اليد إلى الرسغ وليس إلى المرفق أو إلى الإبط كما روي عن بعضهم، وقد جاءت السنة بتقديم اليد على الوجه، ويكون ذلك: بضرب اليد على ما صعد ثم تمسح وجهك ويديك كما جاء عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً فَقَالَ: لَا تُصَلِّ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ، ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ، وَكَفَّيْكَ» متفق عليه، والتيمم رافع أم مبيح؟، قولان لأهل العلم والصحيح: أنه رافع، وإذا وجد الماء انتقض التيمم، ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ أي: بهذه الأحكام التي بينها لكم، يعفو عنكم وعن تقصيركم ويغفر لكم ذنوبكم.

وكان مبدأ نزول التيمم ما أخرجه الشيخان عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ - أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ - انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، «فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْتِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ»، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ «أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ»، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ " وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ «، قَالَتْ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ

أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُ بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي،» فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَخِذِي، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا " فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: - وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ - «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ» أخرجه مسلم .

الآية التاسعة والثلاثون(٥):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ﴾[النساء:٤٧].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ من اليهود والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل، وقد حُرفت وغيرت وبدلت؛ وناداهم لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** رسول الناس كافة إلى الأحمر والأبيض والأسود، لم يكن كبقية الرسل يُرسل إلى قومه خاصة، ﴿ آمِنُوا ﴾ استجيبوا وانقادوا، ﴿ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ القرآن على محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ موافقًا، ﴿ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ من التوراة والإنجيل، فإن لم يقع منكم ذلك: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ قيل نعميها، وقيل تكون كخف البعير، ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ يعني: منحرفة عن الصراط المستقيم والدين القويم، ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ حيث جعلهم الله قردة وخنازير، وشأنهم: أن الله نهاهم عن الصيد

يوم السبت، فكانوا يحفرون الحفر يوم الجمعة فتأتي الأسماك عند مد البحر وتبقى في تلك الحفر، فإذا رجع البحر في حال جزره تركوها في مكانها إلى يوم الأحد وجاءوا وأخذوها فلعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير، واختلفوا في وقوع الأمر هل هو على الماضي أم أنه يقع في المستقبل، والله أعلم، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ﴾ الأمر القدري الكوني لا بد أن يقع شئتم أم أبيتم، وأما الأمر الشرعي فقد يقع وقد لا يقع، والله الموفق.

الآية الأربعون (٦):

> **قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾**[النساء:٥٩].

الشـرح:

هذه الآية عمدة في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله **صلى الله عليه وسلم** ، وطاعة أولياء الأمور بالمعروف، والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنه، وفي حديث علي **رضي الله عنه** : «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ» متفق عليه.

وسبب نزول هذه الآية: بَعَثَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وسلم** سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ **صلى الله عليه**

وسلم أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، **الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» متفق عليه .

وطاعة أولياء الأمور إنما تكون بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والدليل أن الله قال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ ﴾ طاعة مطلقة فيما أمر به، ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ طاعة مطلقة فيما أمر به، وهكذا طاعة مطلقة في ترك المنهي عنه، ﴿ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ لم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منك؛ لأن طاعتهم مقيدة بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه الآية: تحذير من الخروج على الحكام بالثورات والانقلابات ونحو ذلك مما يفعله الثوريون، نسأ الله السلامة والعافية.

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ اختلفتم، ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ من الأمور، ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ تجدون الحكم الشرعي، والرد إلى الله يكون إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يكون إلى سنته بعد وفاته، ويدخل العلماء في أولي الأمر، وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالعودة إلى العلماء فقال: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء:٨٣].

﴿ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ لأن الإيمان بالله ربًا: يجعلك تتحاكم إلى

شرعه، والإيمان باليوم الآخر: تخاف من بطش الله إن تحاكمت إلى غيره، ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: التحاكم إلى الكتاب والسنة، ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أحسن مآلًا ورجوعًا؛ لما فيه من سُبل السلامة، والبعد عن سُبل المهانة.

الآية الواحدة والأربعون(٧):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾[النساء:٧١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين إذا كانوا في جهاد: ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أخذ الاحتياط، العدة والأهبة لمواجهة مكر الكفار وبطشهم، ومن ذلك: ﴿ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾ متفرقين في سبيل الله، ﴿ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ كالسرايا، والجيوش، والكتائب ونحو ذلك، وهذا من التعاون على البر والتقوى.

وبهذا تعلم: أن القرآن كتاب حكيم، كتاب مبين إذ جعل الله عَزَّ وَجَلَّ فيه ما يحتاجه الناس في باب عقائدهم، ومعاملاتهم، وعباداتهم.

الآية الثانية والأربعون (٨):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[النساء:٩٤].

الشـرح:

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ ذهبتم ومشيتم، ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ في الغزو، ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ تثبتوا، يعني: إذا وجدتم أحدًا وأظهر لكم الإسلام تثبتوا، فلا تقتله مباشرة تقول: لعله يكذب، ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وذلك: أن رجلًا كان يرعى في غنمه، فوجده المسلمون فسلم عليهم، فقالوا: إنما سلم علينا حتى يتقي القتل، فقتلوه وأخذوا الغنم» أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، فعاتبهم الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك، ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ ﴾ يعني: رد عليكم السلام أو أظهر لكم الإسلام، ﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ لأنكم لم تتطلعوا على ما في قلبه، وأسامة بن زيد رضي الله لما قتل ذلك الرجل بعد أن قال: لا إله إلا لاالله، عاتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وفي رواية: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه مسلم .

﴿ تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الغنيمة أو الغنم، ﴿ فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ من غير هذا الرجل الذي أظهر الإسلام، ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ على الكفر فهداكم الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإسلام، ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ تثبتوا، ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ مطلعًا على سرائركم وبواطنكم، وهم معذرون في هذا حيث لم يؤثمهم الله عز وجل؛ لأنهم اجتهدوا والمجتهد إذا أصاب له أجران، وإذا أخطأ له أجر.

الآية الثالثة والأربعون(٩):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[النساء:١٣٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل قائمين به على أنفسهم وعلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[المطففين:١-٣]، ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ بالحق، لا تكتموا الشهادة ولا تزيدوا فيها ولا تنقصوا منها، ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ يذكرون: أن رجلًا كان قد عُرِف بالصدق، وكان الحجاج يطلب ولده لقتله، فبحث عنه فلم يجده فقالوا له: سل الأب، وهم يريدون أن يسأل الأب فيقع في كذبه، فقال له: أين ولدك؟ قال: في البيت، فعجب الحجاج من صدقه فمن على ولده بالعفو، فالإنسان يكون قوالًا بالحق على نفسه وعلى غيره.

﴿ أَوِ الْوَالِدَيْنِ ﴾ لا تحملك محبة الوالد على أن تشهد له بالزور، ﴿ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ في الرحم لا تحملك القرابة على شهادة الزور وعلى كتمان الحق، ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا ﴾ ذا مال، ﴿ أَوْ فَقِيرًا ﴾ ليس له مال، ﴿ فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾ أي كلوا أمرهما إلى الله ما داموا على الطريقة الصحيحة على الإسلام الحق، ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى ﴾ هوى النفس وميل النفس، ﴿ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ أن تجوروا وتميلوا إلى الباطل فعليكم أن تعدلوا وتتركوا اتباع الهوى، ﴿ وَإِنْ تَلْوُوا ﴾ يعني: تحرفوا الشهادة، ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ عن

قول الحق بكتمها، ﴿ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ مطلعًا فيحاسبكم على سوء أعمالكم يوم القيامة.

وهذه آية عظيمة في هذا الباب، ما على الإنسان إلا أن يحقق قول الحق له وعليه، وهذا يُسمى بالإنصاف عند كثير من الناس، وقد قال عمار: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: إِنْصَافٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ.

فتجد كثيراً من الناس لا سيما في الزمن المتقدم زمن الأسلاف زمن العمل بالدين يعني: قد يشهد أحدهم على أقرب قريب، وقد يعترف أحدهم ما يحتاج إلى شهود؛ لأنهم كانوا قوامين بالقسط، انظر إلى ماعز جاء إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: إني زنيت، وهو يعلم أنه سيرجم، والمرأة الغامدية تأتي إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وتقول: يا رسول الله أصبت حدًا فأقمه عليَّ وهي تعلم أنها سترجم، وهكذا ذلك الرجل الذي قبل امرأة: يا رسول الله أصبت حدًا فأقمه عليَّ، فكان شأنهم على القيام بالحق ظاهرًا وباطنًا.

الآية الرابعة والأربعون(١٠):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا ﴾[النساء:١٣٦].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا معشر من آمن بالله ربًا: ﴿ آمِنُوا ﴾ ازدادوا إيمانًا، لأنهم

قد آمنوا كما تقول للرجل الذي يقولك: قد صليت، تقول له: صلِ، ليس معنى ذلك: أنه يعيد الصلاة، ولكن يستمر في الصلاة؛ لما فيها من الخير العظيم.

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ وهو الركن الأول من أركان الإيمان، والإيمان به يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجوده.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان: بألوهيته.

الرابع: الأيمان بأسمائه وصفاته.

وهو أفضل الأعمال، كما سُئل النبي **صلى الله عليه وسلم** : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ**» متفق عليه عن أبي ذر رضي الله عنه.

﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ويتضمن الإيمان به: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بما شرع.

﴿ وَ﴾ آمنوا بـ ﴿الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ وهو القرآن، والإيمان به يكون: بالعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، واعتقاد ما فيه، وأنه صدق، وأنه كلام الله ووحيه وتنزيله ليس مخلوق.

﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ التوراة والإنجيل وغير ذلك: أنها من الله، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[الحديد:٢٥]، لكن نؤمن أيضًا أنها حُرفت وبُدلت؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد

أخبرنا بذلك: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[النساء:٤٦]، وهذا الكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ ﴾[المائدة:٤٨]، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ ﴾ فلا يؤمن بأنه ربه، أو يجعل معه شريكًا أو معينًا أو ظهيرًا، أو وقع منه سب الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَمَلائِكَتِهِ ﴾ وهذا أيضًا من أركان الإيمان، كما في حديث عمر: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» أخرجه مسلم، وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[البقرة:١٧٧]، والإيمان بهم يكون: الإيمان بأنهم خُلقوا من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم عباد مكرمون منهم: الصافون، ومنهم المسبحون، وأعمارهم طويلة، ونؤمن بمن سمى الله عَزَّ وَجَلَّ منهم كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل وهم أشرف الملائكة، ونؤمن بملك الموت، وملك القطر، وملك الجبال، ومالك خازن النار ومن أُخبرنا بهم، وهم عدد عظيم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾[المدثر:٣١]، وفي الحديث: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا مِنْهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَبِهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ قَائِمٌ» أخرجه أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الرعد والمطر: إن ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك، وهناك ملائكة قد وكلوا بأرحام النساء: «وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ» متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه، وما من إنسان إلا وعليه ملكان يرصدان أعماله: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:١٨]، وهناك ملائكة كُثر مثل: الذين

يجلسون على أبواب المساجد يكتبون الأول فالأول، ومثل الملائكة السياحة التي تجلس في حلق الذكر، ومثل الملائكة الحافظة للعبد: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾[الانفطار:١٠-١١].

﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ الإيمان أيضًا بكتبه المنزلة وقد تقدم، ﴿ وَرُسُلِهِ ﴾ وهم كثر، أخبرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بخمسة وعشرين واحد منهم في القرآن، وإلا فهم أكثر من ذلك: ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولًا، وفوق مائة وكذا ألف نبيًا، كما حديث أبي أمامة وحديث أبي ذر، وفيهما كلام؛ لكن بمجموعهما يثبت الحُكم.

﴿ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ من القبر فما بعده، فعن عثمان رضي الله عنه قال: « **إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**» **أخرجه أبو داود** ، إلى أن يكون آخر الناس الخلود في الجنة أو الخلود في النار، ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالبعث، والنشور، والشفاعة، وتطاير الصحف، والنظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، والحوض، والميزان، ومجيء الله عَزَّ وَجَلَّ للفصل بين العباد، كما قال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر:٢٢]، وغير ذلك من الأمور، ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا ﴾ هلك هلاكًا بعيدًا لا سلامة منه.

الآية الخامسة والأربعون(١١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[النساء:١٤٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ينهى الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء يناصرونهم ويحبونهم ويودونهم، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم من بعض، شأن أهل الكفر واحد، وشأن أهل الإيمان واحد يتناصرون ويتعاضدون، كما قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وليس من ذلك التجارات التي تقع مع الكفار أو المعاقدات السياسية وما إلى ذلك، ما لم يكن هناك تنازل عن الدين، ﴿ أَتُرِيدُونَ ﴾ بموالاة الكافرين: ﴿ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ حجةً، ﴿ مُبِينًا ﴾ بينة واضحة يهلككم بها، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾[المائدة:٥١]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي ﴾[الممتحنة:١]، ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[البقرة:٢٥٧]، ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[الأعراف:١٩٦]، فإذا أردت أن تكون وليًا لله فإياك أن توالي أعداء الله.

الآية السادسة والأربعون(١٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٧٠].

الشـرح:

لو تأملت الآيات التي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، تجد أنها تأمر بالإيمان في الجملة: إما الإيمان بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، أو الإيمان بالرسول، أو الإيمان بالبعث والنشور، بخلاف الآيات التي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أحكام تُعمل وتطبق ويؤتى بها.

فهنا يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ ﴾ محمد، ﴿ الرَّسُولُ ﴾ صلى الله عليه وسلم ، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن والهدى، ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ من الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ فَآمِنُوا ﴾ بالله، ورسله، وكتبه، ﴿ خَيْرًا لَكُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ وتأبوا إلا المضي في كفركم وبغيكم وعنادكم، ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له الملك أجمع، وهو غني عنكم وعن عباداتكم: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران:٩٧]، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا» أخرجه مسلم، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بالمستجيبين الطائعين الذين هم أهل للهداية، ﴿ حَكِيمًا ﴾ في فعله، يوفق من شاء فضلًا، ويخذل من شاء عدلًا، كما قال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام:١١٥]، صدقًا: في الإخبار، وعدلًا: في الأحكام.

الآية السابعة والأربعون(١٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا ﴾[النساء:١٧١].

الشــرح:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لليهود والنصارى ومن في بابهم، ﴿ لا تَغْلُوا ﴾ نهي عن الغلو: وهو مجاوزة الحد في الشيء، سواء كان في العلميات أو في العمليات، والله عَزَّ وَجَلَّ نهى عن التكلف، فقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، والنبي صلى الله عليه وسلم دعا على الغلاة بقوله: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»، من حديث ابن مسعود في مسلم.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنه ما: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ الْقُطْ لِي حَصًى»، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ جَعَلَ يَقُولُ بِهِنَّ فِي يَدِهِ- وَوَصَفَ يَحْيَى تَحْرِيكَهُنَّ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» أخرجه النسائي، غلوا في الحجارة فعبدوها، وغلوا في البشر فعظموهم ورفعوهم إلى مراتب الألوهية أو الربوبية، فالغلو: هو سبب هلاك

الأمم، ما عُبِدَ فرعون إلا بالغلو فيه، وما عُبِدَ النمرود بن كنعان إلا بالغلو فيه، وما حصلت البدع إلا بالغلو، وخرج الخوارج بالغلو؛ ولذلك قال المعلمي رحمه الله: من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، غلت الرافضة في علي بن أبي طالب حتى ألهوه، وغلت الناصبة والخوارج حتى كفروه وقتلوه، وهكذا في كثير من الشأن، وربما كان الغلو بالطرفين:

الأول: الغلو بمجاوزة الحد، في المدح والرفعة ونحو ذلك.

الثاني: الغلو بالاحتقار والجفاء.

فانظر كيف يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ لليهود والنصارى في شأن عيسى، النصارى ألهوه، واليهود كذبوه وزعموا قتله، فلا أشأم على المسلمين من هذه البدعة: بدعة الغلو، والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ويقول: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**» **أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه**، ما اتخذت الصوامع والرهبانية إلا بالغلو، ولما أراد بعضهم: أن لا يتزوج النساء، وأن لا ينام الليل، وأن لا يأكل الطعام، غضب النبي **صلى الله عليه وسلم** عليهم وقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» متفق عليه عن أنس رضي الله عنه، والغالي لا تفرح به تقول: يكاد أن ينقلب عليك ربما رآك مقصرًا فكفرك أو فسقك أو قتلك أو اعتدى عليك.

﴿ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ الذي أوحاه إليكم ربكم، ﴿ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ

﴾ الثابت الصادق، ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ ﴾ سُميّ بالمسيح قيل: لأنه ممسوح الرجل وقيل غير ذلك، وأنه ممسوح من الملائكة وغير ذلك، ويقال له: مسيح الهدى، والدجال: مسيح الضلالة، وبعضهم يطلق على المسيح الدجال: المسيخ، ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ نُسب إلى أمه؛ لأنه لا أب له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[آل عمران:٥٩].

﴿ رَسُولُ اللهِ ﴾ أي: هو رسول الله ليس برب فيعبد، وليس برجل عادٍ مذنب فيصلب كما يزعمون، ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ أي: كان بالكلمة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢]، وليس هو الكلمة كما قالت النصارى، ﴿ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ حين جاءها الملك وأخبرها بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[مريم:١٧-٢١]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾[الأنبياء:٩١].

﴿ إِلَى مَرْيَمَ ﴾ البتول الطاهرة الصديقة، واتهمها اليهود: أنها زنت برجل يقال له: يوسف النجار، ويزعمون أن عيسى ولد، ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ أي: من الأرواح التي عنده مخلوقة، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ،

وَقَدِ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ» متفق عليه، ﴿ فَآمِنُوا ﴾ يا أهل الكتاب، ﴿ بِاللهِ ﴾ ربًا، ﴿ وَرُسُلِهِ ﴾ جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[البقرة:٢٨٥]، ﴿ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ﴾ الله والابن والأم، أو الأب والأبن وروح القدس، أو اللاهوت والناسوت، وتفصيل ذلك أن المكانية تقول هو الله واليعقوبية يقولون ابن الله، والشطورية يقولون ثالث ثلاثة علمهم رجل من اليهود يقال له بولس شاول فهو أول من أدخل عليهم عبادة الصليب وغير ذلك من البلاء، ﴿ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ انتهوا عن هذا القول يكون ذلك خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، وتكرمون بجنة عرضها السماوات والأرض، ﴿ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ لا شريك له ولا رب سواه، ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيه الله عن قولهم، ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ﴾ أو تكون له صاحبة؛ لأن الولد يحتاجه المخلوق الذي يموت ويفنى ويضعف فيحتاج إلى من يرثه ويحتاج إلى من يقوم عليه، أما الله هو الغني الحميد، ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ الملك المطلق، ﴿ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا ﴾ حتى الكفار وما معهم من الأموال في ملكه، إن شاء إن يمنعهم منعهم، وإن شاء أن يعطيهم أعطاهم.

الآية الثامنة والأربعون(١٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾[النساء:١٧٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ ﴾ حجة وهو الرسول **صلى الله عليه وسلم** وما معه من القرآن، ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أرسله: ﴿ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾[الفتح:٢٨]، ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ القرآن، ﴿ نُورًا مُبِينًا ﴾ هداية ودلالة إلى الخير.

وقد وصف الله القرآن في غير ما آية بأنه نور فقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى:٥٢]، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦]، فالله نور، والكتاب الذي أنزله نور: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[النور:٣٥]، القرآن،.

والنبي **صلى الله عليه وسلم** كان يقول في صلاة الليل: «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنه، فما على الإنسان إلا أن يأخذ بهذا الكتاب وهذا البرهان ويعمل به فيُرفع إلى الجنان، فإن أبى إلا الإعراض والكفران كان من أهل النيران مع فرعون، وهامان، وقارون، وما أسوأ ذلك الحال، والله المستعان.

مَدَنيّة **المائدة** آياتُها (١٢٠)

الآية التاسعة والأربعون(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[المائدة:١].

الشــرح:

سورة المائدة من أكثر السور التي جاءت فيها النداءات، فقد جاء فيها ستة وعشرون نداءً من الله عَزَّ وَجَلَّ، ونداءات الله للمؤمنين فيها: في ستة عشر موطنًا، فهي آخر ما أُنزل من القرآن، فأتم الله عَزَّ وَجَلَّ بكثير من أحكامها الدين، وكان يعجبهم حديث جرير **رضي الله عنه** : بأن النبي **صلى الله عليه وسلم** مسح على الخفين؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول سورة المائدة متفق عليه، فدل على أن أحكامها لم تُنسخ.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا** ﴾ التزموا وأدوا، ﴿ **بِالْعُقُودِ** ﴾ التي بينكم وبين غيركم من العهود والمواثيق في الصلح ونحوه، والآية بعمومها: تدل على الوفاء بالوعود والعقود والعهود، والوفاء بالأيمان.

﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ** ﴾ الإبل، والبقر، والغنم فهي التي يقع منها الأضحية، والعقيقة، والهدي، وأراد بها تحليل ما حرم أهل الجاهلية، ﴿ **إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾

أي: في الكتاب مما حرمه الله عَزَّ وَجَلَّ وهي قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾[المائدة:٣]، وفي قوله: ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ فقيل الوحشي منها لا يحل لكم صيده وأنتم حُرم، فالصيد يُحرم في موطنين:

الأول: في الحرم من المُحرم وغيره.

الثاني: في غير الحرم من المُحرم.

﴿ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ يقضي ما يريد قضاؤه، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، فالأمر أمره ما شاء حرمه، وما شاء أباحه.

الآية الخمسون (٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[المائدة:٢].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا ﴾ المحرم من شعائر الله عَزَّ وَجَلَّ وهي: مكة وما إليها، فمنى مشعر حرام، ومزدلفة مشعر حرام، وعرفات مشعر وليس بحرام أي: أنه

يحل الصيد فيه، فالمشعر الحرام يبقى على حرمته، وما كان حلالًا يبقى على حله، فلا يجوز الصيد في حدود الحرم، وهذا من حكمة الله قد تجد حمامةً بعد متر يحل لك صيدها وأكلها، وفي الجانب الثاني إذا دخلت لا يحل لك صيدها ولا يحل لك أكلها، بل يلزمك بصيدها الفدية، وهي أرض واحدة ومكان واحد، والاختلاف يسير؛ لكن لله عَزَّوَجَلَّ الحكم.

كذلك لا تحلوا: ﴿ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ إياكم أن تنتهكوا حرمته بقتال أو نحو ذلك إلا أن يُعتدى عليكم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الأشهر هي ذو القعدة وذو الحجة والحرام ورجب مضر بين جمادى وشعبان، وهكذا: ﴿ وَلا الْهَدْيَ ﴾ لا يحل لكم أن تمنعوا وصوله إلى البيت العتيق، والهدي يقع من الحاج والمعتمر، ويقع كذلك من الرجل وهو في بلده يُرسل بهديه ليذبح في الحرم ويوزع على فقرائه، ﴿ وَلا الْقَلائِدَ ﴾ هي ما كان يوضع في أعنق الهدايا والضحايا، ﴿ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ كذلك لا يحل لكم أن تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام بحج أو عمرة فتؤذونهم وتقومون عليهم، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ أي: الذين يقصدون الحج والعمرة يطلبون: ﴿ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ بتكفير ذنوبهم وستر عيوبهم، ﴿ وَرِضْوَانًا ﴾ بملازمة الأعمال الصالحة؛ لأن الله يرضى الإيمان ويثيب عليه، ويكره الكفر والإجرام ويأثم صاحبه، ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ ﴾ أي: من حجكم أو عمرتكم، ويكون الحل بأشياء: الانتهاء من الحج والعمرة، والعمرة أركانها: الإحرام، ثم الطواف، ثم السعي، ثم الحلق أو التقصير، الحج: يقع التحلل منه الأصغر باثنين من ثلاثة:

الحلق، والذبح، والرمي، فإذا فعل اثنين من ثلاثة حل التحلل الأصغر، وجاز له أن يلبس الملابس وأن يتطيب، فإذا طاف الإفاضة حل الحل الأكبر.

﴿فَاصْطَادُوا ﴾ الأمر للإباحة وليس للوجوب، يعني: ما هو واجب على كل حاج أنه إذا انتهى من حجه أو عمرته أن يخرج يبحث عن غزال أو ضبع أو وبر ونحو ذلك، وإنما الأمر للإباحة، ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يحملنكم، ﴿ شَنَآنُ ﴾ بغض، ﴿ قَوْمٍ ﴾ آذوكم ومنه: ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام بحج وعمرة، ﴿ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ عليهم، بل لازموا الشرع مع المُحب والمبغض ومع القريب والبعيد، فالحق أحق أن يُتبع، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[النساء:٥٨]، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ متابعة الأمر ﴿وَالتَّقْوَى ﴾ مجانبة النهي، وهذه آية عامة، ما كان في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ تعين التعاون مع المسلمين فيه، وما كان في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ لا يجوز التعاون فيه، فلو قال لك أحدهم: ناولني هذا الباكت الدخان لا يجوز أن تناوله؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، ولو قال لك: ناولني الولاعة أشعل بها السيجارة التي في فمي لا تناوله، أو كان يتعامل بالربا وأراد منك القلم أن يوقع به لا تعاونه: ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ قيل الإثم الكفر والعدوان الظلم، وقيل الإثم المعصية والعدوان البدعة، والبر والتقوى متقاربان المعنى لكن إذا اجتمعا البر: أفعال الإحسان، والتقوى: ترك المخالفة الشرعية، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وهذا على التهديد.

الآية الواحدة والخمسون (٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[المائدة:٦].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هذا نداء من الله *عَزَّ وَجَلَّ* للمؤمنين في شأن عظيم وهو الطهارة إذا قاموا إلى الصلاة، وقد تقدم حديث عائشة رضي الله عنها في سبل نزولها، ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾والمراد بالقيام إلى الصلاة: من كان محدثًا فاراد أن يصلي فيجب عليه الوضوء، أو كان قائمًا من النوم فهو في حكم الحدث أو حدث بذاته على الصحيح يجب منه الوضوء، وبهذه الآية استدل الشافعي رحمه الله على الضوء إذا قام من النوم، أما غير المحدث إن شاء توضأ وإن شاء صلى بالوضوء الأول، والنبي **صلى الله عليه وسلم** كان يتوضأ لكل صلاة، ويوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد وقال: «**عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ**» **أخرجه مسلم**، ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ الوضوء له واجبات وله سنن، فمن السنة: التسمية قبله، وغسل اليدين ثلاثًا إلى الرسغ، فإن كان قائمًا من نوم الليل تعين عليه الغُسل ثلاثًا، لقول النبي **صلى الله عليه وسلم** : «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ثم بعد ذلك من واجباته:

المضمضة والاستنثار والسنة ثلاثًا من كف واحد كما في حديث عبد الله بن زيد متفق عليه، ومن أجمع الأحاديث: حديث عبد الله بن زيد، وحديث عثمان بن عفان في الصحيحين، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَنْصَارِيِّ، - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قِيلَ لَهُ: " تَوَضَّأْ لَنَا وُضُوءَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَدَعَا بِإِنَاءٍ فَأَكْفَأَ مِنْهَا عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفٍّ وَاحِدَةٍ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا كَانَ وُضُوءُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، ثم بعد ذلك: يغسل وجهه، وحده: من منابت شعر الرأس في جميع جوانبه إلى اللحية، ومن الأذن إلى الأذن، ولا يلزم تخليل اللحية، وإنما يكتفي بغسل ظاهرها، ويجوز أن يتوضأ مرة مرة وثنتين ثنتين وثلاثًا ثلاثًا وعليه بوب البخاري في صحيحه .

﴿ وَ﴾ اغسلوا ﴿أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ من أطراف الأصابع إلى أن يشرع في العضد، كما في حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** : أن النبي **صلى الله عليه وسلم** غسل يديه حتى شرع في العضد» أخرجه مسلم؛ لأن بعضهم قال: فالحديث يوضح أنه يدخل فيه.

وفي غسل اليدين تبدأ باليمين وتنتهي باليسار، وإن أخطأ وبدأ باليسار الغسل صحيح، لكن إن قدم غُسل اليدين على الوجه باطل، ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ أي: بجميع رؤوسكم، ذهب الحنفية: إلى أنه يكتفي ببعض، والصحيح الاستيعاب،

فالنبي **صلى الله عليه وسلم** كان يبدأ بمقدم رأسه حتى ينتهي إلى قفاه ثم يرجع إلى مقدم رأسه، كما تقدم من حديث عبد الله بن زيد، وإن كان عليك عمامة مسح عليها متفق عليه عن المغيرة رضي الله عنه، والمرأة تمسح على خمارها، ﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ أي: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، ولو كان المراد المسح كما جاء في قراءة: (**وَأَرْجِلِكُمْ**)، قيل: الجر على المجاورة، وقيل: المراد به المسح إذا كان في حال سفر، والمسح على الخفين سنة النبي **صلى الله عليه وسلم** ، ويمسح الظاهر: «**وَقَّتَ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، وَلِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ**» **أخرجه مسلم**، إلا إذا كان جنبًا فيلزمه الاغتسال، فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَنْ لاَ نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ، إِلاَّ مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ» أخرجه الترمذي .

ويمسح ظاهرهما لحديث عليٍّ قال: لو كانَ الدينُ بالرَّأي لكانَ أسفَلُ الخُفِّ أولى بالمَسحِ مِن أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يَمسَحُ على ظاهِرِ خُفَّيه» أخرجه أبو داود .

فالمسح على الرجلين سنة النبي **صلى الله عليه وسلم** ، إذا كان لابسًا للخفين، أما إذا كانت الأرجل مكشوفة فيجب الغُسل، وإنما قال بالمسح على القدمين بدون خفاف الرافضة، ولم يتابعهم على ذلك أحد من المسلمين.

﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** ﴾ اغتسلوا؛ لأن الجنابة من مفسدات ونواقض الوضوء، فيجب على الجنب من الرجال أو النساء الاغتسال سواءً كان في حضر أو في سفر إلا إذا عجز، ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى** ﴾ سواءً من الرجال والنساء، ﴿ **أَوْ عَلَى سَفَرٍ** ﴾

يقل الماء فيه، ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ قضيتم حاجتكم، والغائط: هو المكان الهابط من الأرض، ويُطلق على الحدث، ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ جامعتم النساء، وليس المراد به المس العادي على الصحيح من أقوال أهل العلم، ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ وهنا ثلاث حالات:

الأولى: لا وجود للماء مطلقا، فهذا يتيمم.

الثانية: أن يكون الماء موجود لكنه لا يكفي لحاجة المستخدم، فقد يحتاجه لشرابه، أو لسقي أبنائه فيتيمم.

الثالثة: أن يكون الماء موجودًا ولكنه مريض لا يتحمل استخدامه، فإذا استخدم الماء تأخر البُرء أو زاد المرض أو هلك، فعند ذلك يتيمم.

﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ اقصدوا، ﴿ صَعِيدًا ﴾ ما صعد على وجه الأرض، وقيل: التراب، ﴿ طَيِّبًا ﴾ أي: طاهرًا، ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ بعد أن تضرب بيديك الأرض كما في حديث عمار رضي الله عنه،: أنه كان فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ، ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ، وَكَفَّيْكَ» متفق عليه، وما جاء أنه يمسح إلى المرافق أو يمسح إلى الآباط لا دليل عليه، فقد جاءت السنة بتقديم اليدين القرآن جاء بتقديم الوجه واليدين وأيهما قدم جاز، ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ لا يريد الله بأحكامه جعل الحرج عليكم، ولكن أراد الرحمة والتخفيف بكم ، والاختبار والابتلاء، ﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ من ذنوبكم ومعاصيكم، وهكذا من الأحداث والأنجاس، ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ ﴾ نعمة الإسلام وقبول

العمل، ﴿ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه النعم والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح .

فهذه الآية عمدة في بابها وهي متضمنة لمسألة الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، ولو أراد أحد أن يتوسع فيما يتعلق بها لكان في مصنف مستقبل، وقد صنف فيها بعض العلماء منهم: شيخنا يحيى حفظه الله تعالى، فهي آية جامعة في باب الطهارة الحسية والمعنوية لو أراد الإنسان أن يتوسع، فالطهارة الحسية: التطهر بالماء أو رفع الحدث بالتيمم، والطهارة المعنوية: تطهير القلب من الشرك والبدع والغل والحسد وغير ذلك.

وفي هذه الآية بيان لعظيم شأن الإسلام: من أنه دين لا حرج فيه ولا مشقة، وهو الرحمة: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**»، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧].

وفي هذه الآية أن الصعيد: ما صعد على وجه الأرض وهذا هو الصحيح، وليس المراد به التراب على قول الجمهور؛ لما في حديث حذيفة: «**وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا**» **أخرجه مسلم**، قيل: التراب خرج مخرج الغالب، وإلا فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** قد رجع من نحو بئر جمل وتيمم على الجدار كما في حديث أبي الجُهيم» أخرجه البخاري، فلو ضرب أحد جانب بيته أو على فراشه أو على سيارته أو على صخرة جاز له التيمم على الصحيح.

ويتلخص من هنا مسألة يسمونها: بفاقد الطهورين، فمن قال: يلزم التراب، يقول: يصلي على ما يسر الله، كما قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦]،

فلا يلزمه شيء، لكن من قال: بأن التيمم يقع على كل شيء قد لا يتأتى فاقد الطهورين إلا في حال المقيد أو المشلول الذي يعجز عن أن ييمم نفسه، والله المستعان.

واختلفوا أيضًا: هل التيمم رافع أم أنه مبيح؟ والصحيح: أنه رافع: فعن أبي ذر رضي الله عنه «الصعيد الطيب طهور المسلم حتى يجد الماء ولو بعد عشر سنين» أخرجه الترمذي، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: رسول **صلى الله عليه وسلم** : «مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ الله **صلى الله عليه وسلم** : «عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ» أخرجه مسلم، أي: التيمم به.

ثم إن العامة: أن الجنب ينجس، وهذا كلام غير صحيح فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ المؤمن لا يَنْجُسُ»، فالجنابة ليست بنجاسة إنما هي حدث أكبر يوجب الغُسل، وإلا فإن المؤمن لا ينجس، وكان النبي **صلى الله عليه وسلم** إذا كان جنبًا وأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة، وأما حديث: كان ينام ولا يمس ماءً فهي لفظة شاذة، وقيل: المراد لا يمس ماءً للغُسل؛ لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** سأله عمر بن الخطاب: هَلْ يَنَامُ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ» متفق عليه .

ويستوي في كيفية غُسل الجنابة الرجال والنساء، ولا يتعمق الإنسان يكفي أن يفيض على رأسه ثلاثًا كما في حديث عائشة وجابر وجبير بن مطعم قال: «أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثًا» أخرجه مسلم .

وإذا اغتسل بانغماس في البحر جاز؛ لكن يلزمه المضمضة والاستنشاق؛ لأن كثيرًا

من الناس يظن أن المضمضة غير داخلة في الغُسل، والصحيح: أنها داخلة، بل ذهب بعض أهل العلم إلى بطلان غُسل من لم يتمضمض ويستنشق؛ لأنه ما غسل وجهه أجمع، والأنف والفم من الوجه، والنبي صلى الله عليه وسلم ما تركهما لا في غُسل ولا في وضوء.

فإذا اغتسل للجنابة أو لغيرها على الصحيح ولم يمس فرجه في حال غُسله بعد أن ينتهي من تنظيف نفسه يُجزئه الغُسل عن الوضوء، وأما من وقع منه مس الفرج فإنه ناقض للوضوء: «**مَنْ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ**» أخرجه أبو داود عن بسرة رضي الله عنه.

ومن النواقض: الفساء والضراط وما خرج من السبيلين: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**» متفق عليه، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهكذا أكل لحم الإبل؛ كما في حديث البراء وجابر بن سمرة رضي الله عنهم: **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وسلم : **أَأَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ»، قَالَ أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»** **أخرجه مسلم** .

والردة، فمن ارتد عن دين الإسلام انتقض وضوؤه قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾[الفرقان:٢٣]، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[المائدة:٥].

ومنها النوم المستغرق الذي يفقد معه الإحساس، وأما نوم الجالس فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة حتى قال عمر: نام النساء والصبيان» متفق عليه ومع ذلك صلوا ولم يتوضؤوا، والله أعلم .

الآية الثانية والخمسون (٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:٨].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ ﴾ قائمين بأمره مخلصين في عبادته، ﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ في حال الشهادات وما يتعلق بذلك ولو كان على القريب والبعيد، ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يحملنكم، ﴿ شَنَآنُ ﴾ بغض، ﴿ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ وتجاوزا فيهم الحق وتتكلمون فيهم بالباطل فلا يجوز، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» ﴿ اعْدِلُوا ﴾ في كلامكم وفعالكم، ﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ دليل على تقواكم ومراقبتكم لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ عليم ومطلع على أفعالكم الظاهرة والباطنة، وما أحوج الناس إلى تطبيق هذه الآداب والأحكام، فإن التجاوز حاصل في غالب الحال إلا من رحم الله، وقليل ما هم .

الآية الثالثة والخمسون(٥):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[المائدة:١١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ يُذَكِرِ الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين بذكر نعمه الكثيرة المتتابعة، كما قال: ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:٦٩]، ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[الأعراف:٧٤]، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾[المائدة:٧]، في آيات كثيرات، والنعمة: مفرد أُضيف فأفاد العموم أي: جميع نعم الله عَزَّ وَجَلَّ، وذكرها يؤدي إلى شكرها ونسيانها يؤدي إلى كفرها، والنعمة إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .

﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ وهم الكفار، ﴿ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتل ونحوه، وكانوا يصلون فصرف الله عنهم مكر الكافرين، ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾ وأسلحتهم: ﴿ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ﴾ يعتمد، ﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حقًا وصدقًا، وفي سبب نزولها ما أخرجه عبد الرزاق عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ،

وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ " ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» متفق عليه

الآية الرابعة والخمسون(٦):

قال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[المائدة:١٥].

الشــرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ وهو محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا ﴾ من الأحكام، ﴿ مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ ﴾ ولا تبدون، ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ التوراة والإنجيل، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَرضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟» قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحَمِّلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: «فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا

فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرُجِمَا» متفق عليه ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ من أخطائهم وزللكم امتثالًا لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾[البقرة:١٠٩]، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ ﴾ القرآن والحكمة، ﴿ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ بين واضح، ومع ذلك هل استجاب اليهود والنصارى من هذه الدعوة؟ الصحيح: لا، بل أعرضوا وازدادوا نفورًا وعتوًا.

الآية الخامسة والخمسون(٧):

قال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[المائدة:١٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ اليهود والنصارى، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ يوضح ويجلي، ﴿ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ من بعد فترة من الرسل إذ كان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة، ففترت الرسالة وانقطعت حتى كان مبعث النبي الخاتم **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ يوم القيامة معتذرين عن كفركم وبغيكم وبدعكم: ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ ﴾ نبي يبشرنا بالجنة، ﴿ وَلا نَذِيرٍ ﴾ ينذرنا ويخوفنا من النار، والواقع: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ **وهو محمد صلى الله عليه وسلم فما حجتكم وعذركم** ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزه شيء.

وهذه الآية موافقة لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

﴾[الإسراء:١٥]، والبشارة والنذارة من مهمات الداعي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تبقى مع الناس في تبشير حتى ييأسوا من مكر الله، وربما عتوا في المعاصي والسيئات وأنت تبشرهم: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّة**»، وهو زاني، سارق، شارب خمر، متعاطي اللواط، ويشرب مخدرات، مثل هذا المفروض تخوفه بالله عَزَّ وَجَلَّ وترهبه حتى إذا ارتهب من الله وعاد وأناب وخشيت عليه القنوط من رحمة الله اذكر له هذه الفضائل، تقول له: لا عليك الله غفور رحيم، يقول: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّة**» أخرجه مسلم عن عثمان رضي الله عنه ، ونحو هذا، فلا بد من الجمع بين البشارة والنذارة، وأيضًا لا تمكن الناس نذارة حتى نقنطهم من رحمة الله، فهذا قد يؤثر على نفسياتهم لا سيما ضعاف الإيمان قد يصبح خارجيًا، قد يصبح ضالًا، ولكن اجعل دعوتك بين البشارة والنذارة، والقرآن من أوله إلى آخره بشارة ونذارة: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾[الفاتحة:٦-٧]، بشارة، ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾[الفاتحة:٧]، نذارة.

وهكذا: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[الفاتحة:٢]، من جهة بشارة ومن جهة نذارة، فالرب في حق المؤمن: هو الحافظ، والناصر له، والمؤيد له، وفي حق الكافر: القادر عليه الذي لا يعجزه شيء، ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[الفاتحة:٣]، بشارة، و﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[الفاتحة:٤]، نذارة، فهكذا تجد القرآن بشارة ونذارة.

الآية السادسة والخمسون (٨):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:٣٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، وغالبًا ما يؤتى بعد نداء أهل الإيمان الأمر بالتقوى؛ لأن الإنسان إذا اتقى الله عَزَّ وَجَلَّ سهلت استجابته في جميع الأمور، أما إذا كان غير متقي لله عَزَّ وَجَلَّ يستجيب أصلًا، ﴿ وَابْتَغُوا ﴾ اطلبوا، ﴿ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ القربة، كما قيل:

إنَّ الرِّجــالَ لهــمْ إليْــكِ وسـيلَةٌ … إنْ يأْخــذوكِ تكحَّلــي وتخضَّــبي

ومنه قول النبي **صلى الله عليه وسلم** : «سَلُوا لِيَ الوَسِيلَةَ»، أي: القرب من الله عَزَّ وَجَلَّ: «**فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**» أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾[الإسراء:٥٧]، القربة، ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾ بذل الجهد في طاعته، بذل الجهد في تبليغ دينه، بذل الجهد في دفع الكفار وزجرهم عما هم فيه من الباطل، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ يحصل لكم الفلاح بنيل المطلوب والحذر من المرهوب.

وفي هذه الآية فيها: الحض على ملازمة التقوى ظاهرًا وباطنًا، فإننا نسير إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ما منا من أحد إلا وهو يسير إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وسيأتي اليوم الذي ينقطع فيه عن العمل، فمن الآن عليك بملازمة العمل قبل أن يحال بينك وبينه، كما في قول الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[سبأ:٥٤].

وفيها: بيان أن الفلاح في الدنيا والآخرة بطاعة الله، ليس بجمال ولا مال ولا بكثرة أتباع.

الآية السابعة والخمسون(٩):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة:٤١].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ جاء في موطنين نداء النبي **صلى الله عليه وسلم** باسم الرسالة، والذي يظهر: أنه ناداه باسم الرسالة؛ لأنه في موطن البلاغ والدعوة، ﴿ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ من اليهود والنصارى وأهل النفاق، ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ولم تؤمن قلوبهم؛ لأنهم تواصوا بذلك مكرا بالإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[البقرة:١٤]، والإيمان يكون بالقول، والاعتقاد، والفعل، فإذا كان قولك بالإيمان وباطنك يخالف الإيمان فهذه زندقة، فلا بد من اجتماع القول والقلب والعمل.

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أيضًا من اليهود ممن لم يُسلم، وعندهم سماع الباطل: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ من البهت وغيره، ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ من المنافقين وغيرهم، ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ للاستفادة من الخير الذي عندك، ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ التوراة أي: لا يعملون بما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به كما شرع، ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لأنفسهم، ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ ﴾ أُعطيتم، ﴿ هَذَا ﴾ الحكم والقرآن، ﴿ فَخُذُوهُ ﴾ ظاهرًا، ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ أن تقبلوه أو تبحثوا عنه، ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ﴾ من أراد فتنته كونًا لا يمكن أن تملك له شيئًا ولا تصرف عنه ضرًا ولا تجلب له نفعًا، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ لم يرد إرادة كونية قدرية لا شرعية، لعلمه بفساد أحوالهم وقلوبهم، وإلا فالإرادة الشرعية يقول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ من العذاب والنكال الذي ينزل بهم، ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ موجع يلازمهم: ﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾[فاطر:٣٦]، وفي سبب نزولها ما في الصحيحين عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١]، يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا.

الآية الثامنة والخمسون(١٠):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أقروا لله عَزَّ وَجَلَّ بالوحدانية وأطاعوه والتزموا شرعه وأمره، ﴿ لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ﴾ الذين هم من أمكر الناس، وكفرهم ظاهر وشرهم بائر، ﴿ وَالنَّصَارَى ﴾ هذا اسمهم الشرعي الذي سماهم الله به، أما ما يُسميهم البعض بالمسيحيين فهذا اسم غير شرعي، فهم لا ينتسبون إلى المسيح، المسيح موحد وهؤلاء مشركون مندون، ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ تنصرونهم وينصرونكم، وتحبونهم وتودونهم، ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الواقع: أن اليهودي ولي اليهودي، والنصراني ولي النصراني، والمشرك ولي المشرك، أما المؤمن ولايته لله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٧١]، ينصر بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا، كما

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ**» **متفق عليه عن أنس رضي الله عنه**، ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ** ﴾ ينصرهم، يحبهم، يودهم؛ لما هم فيه من الباطل والكفر والضلال: ﴿ **فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ كافر مثلهم، لكن من تولاهم ظاهرًا ليتقي شرهم، أو دخل معهم في معاهدات ومعاقدات ليس فيها النصرة لهم فلا شيء من ذلك، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** قد عمل صلحًا مع اليهود، وصلحًا مع النصارى، وصلحًا مع المشركين، ﴿ **إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي** ﴾ لا يوفق، ولا يسدد، ولا يعين: ﴿ **الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ الكافرين؛ لعلمه أنهم ليسوا أهلًا للهداية.

وهذه الآية يستدل بها الخوارج على تكفير كثير من حكومات المسلمين؛ بسبب ما جرى بينهم وبين الكفار من المعاهدات والمعاقدات، وهذا أمر لا يوافقون عليه كما تقدم الإشارة إليه .

وهذا من البلاء والفتنة نسأل الله السلامة والعافية، فلم يعودوا إلى علمائهم، وإلا لبينوا لهم: أن التعامل مع اليهود والنصارى في البيع والشراء والصلح الذي فيه مصلحة للمسلمين، وهكذا العهود والعقود وإجراء السفارات هذا لا يناقض الإسلام ولا يعارضه؛ ولذلك تجد أن أهل البدع يتخذون من مثل هذه الأدلة سُلمًا للتوصل إلى بدعتهم، ولو ردوا مثل هذا الدليل إلى غيره من الأدلة، لوجدوا أن الحكم الشرعي ما قرره أهل السنة والجماعة في كتبهم ومؤلفاتهم وجميع شأنهم، والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» **أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه**، ولا يلزم من ذلك التكفير، **فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟»**

قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا» أخرجه مسلم، وليس فيه: أنه كفر ولا خرج من الإسلام، لكن لتعلم أن من لم يتقن العقيدة السلفية الصحيحة قد يقع منه تكفير، قد يقع منه تفجير، وقد يقع منه تثوير، وقد يقع منه كثير من الباطل، والله المستعان.

الآية التاسعة والخمسون (١١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة:٥٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ ﴾ يترك الدين ويمرق منه، ويبدل دينه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، فالردة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وقد وقعت الردة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث ارتد عبد الله بن خطل وغيره، وهكذا وقعت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حيث ارتد من ارتد من العرب وقاتلهم أبو بكر، وهكذا في عهد علي بن أبي طالب حيث ارتد الرافضة وجعلوا يؤلهونه ويعظمونه، فقال:

لَمّـا رَأَيـتُ الأَمـرَ أَمـراً مُنكَـراً   أَجَّجـتُ نـاري وَدَعَـوتُ قَنبَـرا

وأنكر عليه ابن عباس قتلهم بالنار، وقال: لو كنت أنا لقتلتهم وما حرقتهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وهكذا عبد الله بن مسعود قتل جملة من المرتدين، قتل بن نواحة، وأبو موسى الأشعري حين نزل عليه معاذ بن

جبل ووجد رجلًا مربوطًا فقال: ما شأن هذا؟ قال: كان يهوديًا أسلم ورجع دينه دين السوء، قال: لا أنزل حتى يُقتل قضاء الله ورسوله أخرجه مسلم .

والردة قد تقع بالقول كسب الله، وسب رسوله، وتنقص القرآن، وسب الدين، أو الاستهزاء بشيء من ذلك، وقد تقع بالفعل كالطواف حول القبور، والسجود لها، والذبح والنذر لها، وقد تقع بالاعتقاد كالخوف من غير الله كخوف الله، أو التوكل على غير الله، أو محبة غير الله كمحبة الله إلى غير ذلك.

﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ دين الإسلام، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ ﴾ كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[محمد:٣٨]، ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ إثبات صفة المحبة لله وأنه يحب المؤمنين والطائعين والمحسنين، وقد جاءت في القرآن ستة عشر موطنًا في من يحبهم الله، وستة عشر موطنًا في من لا يحبهم الله، ﴿ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ هم أيضًا يحبون الله، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢]، وفي علي بن أبي طالب قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «**يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» أخرجه مسلم، ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ متواضعين مستكينين للمؤمنين ما عندهم كبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا**» أخرجه مسلم عن عياض رضي الله عنه، ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أقوياء على الكفار لا هوادة معهم، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح:٢٩]، ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ وهذه الصفة الثالثة سواءً الجهاد بالقول أو بالفعل، ﴿ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يتهيبون من لوم اللائمين؛ لأن كثيراً من الناس

يلومون من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ﴿ ذَلِكَ ﴾ الوصف الذي تقدم لهذه الثلة: ﴿ فَضْلُ اللهِ ﴾ الواسع، ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده ممن علمه أهلًا للخير، ﴿ وَاللهُ وَاسِعٌ ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله وعطائه ﴿عَلِيمٌ ﴾.

وهذه الآية نزلت في شأن أهل اليمن، وكان مجيئ هؤلاء بعد موت النبي **صلى الله عليه وسلم** .

الآية الستون (١٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة:٥٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ ﴾ أي: من اليهود والنصارى، ﴿ هُزُوًا ﴾ يهزئون ويسخرون به، ﴿ وَلَعِبًا ﴾ يتلاعبون به، وأبوا الدخول فيه، ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ اليهود والنصارى، ﴿ وَالْكُفَّارَ ﴾ غيرهم من المشركين، ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ تنصرونهم وتحبونهم وتودونهم، فإن هذا كفر وردة إن حصل منكم، وأما اتخاذ الولاية من باب اتقاء شرهم فتقدم بيانها، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

الآية الواحدة والستون (١٣):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾[المائدة:٥٩].

الشــرح:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾ يعني: تنتقدون علينا وتعرضون عنا بسبب: ﴿ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ ﴾ ووحدناه والتزمنا شرعه، ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ القرآن، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ التوراة والإنجيل آمنوا أن الله أنزلها على رسله، ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ كافرون، والفسوق: هو التمرد على شرع الله عَزَّ وَجَلَّ.

الآية الثانية والستون (١٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[المائدة:٦٧].

الشــرح:

في هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا لكتم: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾[الأحزاب:٣٧].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ نداء للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ له لم يناده يا محمد، وإنما: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾[الأحزاب:٤٥]، ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ بلغ القرآن والوحي الذي أوحاه الله إليك، وهذه الآية عمدة في الدعوة إلى الله عز وجل، وإن كان القرآن أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه باقٍ بين الأمة يتعبدون لله عَزَّ وَجَلَّ به، ويتقربون إلى الله بتلاوته، ويدعون الناس إلى التزامه، ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ دليل على أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، ﴿ وَإِنْ

لَمْ تَفْعَلْ ﴾ ذلك، ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ بل يخشى عليك العقوبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَتَتْنِي رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّي فَضِقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَرَوَيْتُ أَنَّ النَّاسَ سَيُكَذِّبُونَنِي، فَقِيلَ لِي: لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيُفْعَلَنَّ بِكَ» أخرجه مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه، وعن الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَامْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ

لاَ يُحرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ» أخرجه الترمذي، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يدافع عنك ويحرسك.

وكان من سبب نزول هذه الآية: أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان نائمًا تحت شجرة، **فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لاَ»، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ»**، فسقط» متفق عليه عن جابر رضي الله عنه، ولما جاء النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى المدينة قال: «**لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وفعلًا كم أرادوا أن يتربصوا بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، وأرادوا أن يقتلوه، وأرادوا أن يسجنوه، سلمه الله عَزَّ وَجَلَّ منهم، وربما التقوا في المعارك ويكون أقرب إليهم من غيره ويسلمه الله عَزَّ وَجَلَّ منهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

الآية الثالثة والستون (١٥):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[المائدة:٦٨].

الشـرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ من الحق، مع أنهم يدَّعون ذلك وكلهم قد شهد أن الآخر ليس على شيء، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾[البقرة:١١٣]، فقد شهد بعضهم على بعض: أنهم ليسوا على شيء، والله عَزَّ وَجَلَّ أخبر أنهم ليسوا على شيء جميعا مع أنهم قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[المائدة:١٨]، ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾[البقرة:١١١]، لكن الواقع: أن كل مبطل ليس على شيء، وإن كان يظن أنه صاحب شأن، فالذي على شيء هو من على الكتاب والسنة يعمل بهما ويدعو إليهما ويرغب فيهما، والكاهن والعراف قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ بِشَيْءٍ» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنه، مع أنه ربما أخبر بكلمة صدق وتسعة وتسعين كلمة من الكذب، فإذا أردتم يا معاشر اليهود والنصارى أن تكونوا على شيء فالتزموا شرع الله: ﴿ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ ﴾ قبل تحريفها وتغييرها وتبديلها، ﴿ وَالإِنْجِيلَ ﴾ قبل تحريفه وتغييره وتبديله، أما الإنجيل الذي فيه: أن عيسى ابن الله هذا باطل، أو الإنجيل الذي فيه: أن عيسى صُلِب هذا باطل ومن الإيمان بهما الإيمان بوصف

محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ القرآن فتؤمنون به وتقرون به وتلتزمونه، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ بسبب بغيهم وعنادهم كلما سمعوا الآيات زادتهم نفورًا، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥]، ﴿ فَلا تَأْسَ ﴾ تحزن، ﴿ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ لو أراد الله لهم الهداية لهداهم لكن عَلِمَ ضلالهم فأضلهم الله.

الآية الرابعة والستون (٦٤):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[المائدة:٧٧].

الشــرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ﴿ لا تَغْلُوا ﴾ وهو مجاوزة الحد إما في القول، أو الفعل، أو الاعتقاد أو في أحدهما، فكل ما تجاوز حده فهو غلو، ﴿ فِي دِينِكُمْ ﴾ ملتكم، ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ الذي أوحاه الله عَزَّ وَجَلَّ وأنزله، وقد غلا النصارى في عيسى حتى عبدوه وألهوه، وغلت اليهود في عيسى حتى كفَّروه وفسقوه وأرادوا قتله واتهموه بأنه ولد زنية إلى غير ذلك من غلوهم، وهكذا شدد النصارى على أنفسهم في العبادات، وتهاون اليهود في كثير من شأنهم، فالغلو قد يقع بالإفراط وقد يقع بالتفريط؛ ولذلك

حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ» أخرجه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه، ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ ﴾ بدع ومحدثات وآراء مخالفة للكتاب والسنة، ﴿ قَوْمٍ ﴾ من المبتدعين الضالين أو المشركين المنددين، ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ انحرفوا عن الصراط المستقيم والطريق القويم، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ ضلوا من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وضلوا بعد مبعثه، ﴿ وَأَضَلُّوا ﴾ تسببوا في إضلال: ﴿ كَثِيرًا ﴾ أي: من الناس بسبب صدهم عن الحق، ﴿ وَضَلُّوا ﴾ في أنفسهم، ﴿ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ عن الطريق القويم والصراط المستقيم.

وهذا من الخسران المبين: أن يكون الرجل ضالًا في نفسه مضلًا لغيره، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[النحل:٢٥]، وفي الحديث: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، فكون الإنسان ضالًا في نفسه هذه مصيبة، فإذا كان مُضلًا لغيره صارت مصيبتان عظيمتان كبيرتان.

الآية الخامسة والستون(١٧):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[المائدة:٨٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا ﴾ الحلال الطيب الذي أباحه الله لكم منةً منه وفضلًا سواء من المطعوم، أو الملبوس، أو المشروب فالأصل الإباحة، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة:٢٩]، وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾[الجاثية:١٣]، وهذا الأمر بالأكل من الطيبات أمر للأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[المؤمنون:٥١]، وفي المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[البقرة:١٧٢]، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ في مسلم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " فالذي يُحرم على نفسه الحلال قد ارتكب جرمًا عظيمًا، والذي يحل لنفسه الحرام قد ارتكب جرمًا عظيمًا، ﴿ طَيِّبَاتِ ﴾ الحلال، كل حلال طيب وإن لم يعجبك طعمه وإن لم ترتح لشمه ما دام حلالًا فهو طيب، وكل حرام خبيث وإن أعجبك طعمه ولونه، ﴿ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴾ إذ أن التحليل والتحريم إلى الله، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ شَيْئًا فَلَا يَقْرَبْنَا فِي الْمَسْجِدِ»، فَقَالَ النَّاسُ: حُرِّمَتْ حُرِّمَتْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ لِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَلَكِنَّهَا شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا» أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه، ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ تتجاوزوا الحد بغلو أو جفاء بإفراط أو تفريط، سواءً كان الاعتداء على أشخاص أو على جماعات أو على معنويات أو على حسيات فالاعتداء حرام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[الطلاق:١]، ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ ﴾ بمعنى: أنه يكره: ﴿ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المتجاوزين للحق إلى الباطل .

فما كان يحبه الله يتعين عليك المحافظة عليه والاتيان به، وما كان يبغضه الله يتعين عليك البعد عنه والنهي والنأي عنه، وإذا كان لا يحب المعتدين معناه: أنهم سيتعرضون للعذاب الأليم إن ماتوا على اعتدائهم وظلمهم وبغيهم إن كانوا من أهل الشرك، وهم تحت المشيئة إن كانوا من أهل التوحيد .

الآية السادسة والستون(١٨):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:٩٠].

الشـرح:

كان شأن الخمر: أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال ابتداءً: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾[البقرة:٢١٩]، فعرض به، ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء:٤٣]، ثم كان الشأن: أن الله عَزَّ وَجَلَّ حرمه بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ

وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ أي: ابتعدوا عنه وكونوا على حذر من ملامسته، وقد لعن النبي **صلى الله عليه وسلم** في الخمر عشرة: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَى لَهُ، أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ**» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ شَرْبَةً لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**» **أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه**، والخمر: ما خمر العقل، وكل مسكر خمر وإن سُمي بغير اسمه، وكل خمر حرام، سُمِي بالخمر؛ لأنه يخامر العقل ويغطيه، ويُسمى بأم الخبائث.

وعن عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ، وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ " أخرجه النسائي . ؛ وقد كان بعض العرب لا يشربها في الجاهلية حفاظًا على عقله، فالخمر حُرِمَ حفاظًا على العقل وما إليه.

﴿ وَالْمَيْسِرُ ﴾ وهو القمار حيث يكون بين الناس مراهنات ومخاطرات على

أموال باهظات، وربما تذهب الأموال وتؤكل بالباطل فحرمه الله، ﴿ وَالأَنصَابُ ﴾ الأصنام وما يُذبح عليها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَالأَزْلامُ ﴾ وهو عبارة عن قدح فيه عدة أسهم لكل سهم مميز وأحدها أغفل ليس فيه تمييز، وهي التي كانت معلقة في الكعبة ويحركونها ثم يأخذ واحدًا منها، فإن ظهر افعل فعل، وإن ظهر لا تفعل لم يفعل، وإن ظهر الأغفل أعادوها مرةً أخرى، فأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن هذا من الشيطان، وقد صوروا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في جوف الكعبة وهما يستقسمان بالأزلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «قَاتَلَهُمُ اللهُ، وَاللهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلاَمِ قَطُّ» أخرجه البخاري، يعني: ما استقسما بالأزلام، ﴿ رِجْسٌ ﴾ قال بعضهم: نجس وهذا غير صحيح فليس كل محرم نجس، فالخمر محرم وليس بنجس، والميسر محرم وليس بنجس، والأنصاب محرمة وقد تكون غير نجسة، والأزلام محرمة وغير نجسة، ﴿ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ من صنعه وأزه، ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ كونوا على حذر وبعد منه، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بنيل المطلوب والبعد عن المرهوب.

ولا يجوز حتى التداوي بالخمر: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» **علقه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه .**

الآية السابعة والستون(١٩):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة:٩٤].

الشــرح:

هذا شيء من ذكر أحكام الصيد، وقد علمنا: أن الصيد الأصل فيه الإباحة ويُحرم في حالين:

الأول: يُحرم إذا كان داخل الحرم.

الثاني: يُحرم إذا كان الصائد مُحرمًا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ ﴾ يختبرنكم: ﴿ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ﴾ الصيد غير بهيمة الأنعام: الغزلان، والأيل، والوبر، والطيور الحلال، ﴿ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي: تصل إليه أيديكم بالقبض؛ ولذلك كان أبا هريرة رضي الله عنه يقول: والله لو رأيت الضباء ترتع في المدينة ما ذعرتها أخرجه مسلم، فضلًا أنه يقوم بمسكها، فهذا أمر مهم يتفطن له فإن الصيد في أرض الحرم قد يكون قريبًا حتى من الأطفال.

﴿ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ وهو ما يُرمى به من القنا ونحوه، وهذا الابتلاء والاختبار: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ علم وقوع وإلا فإن الله بكل شيء عليم؛ لكن يريد، العلم الذي يُثاب عليه المرء أو يأثم، وفيه: فضيلة خوف الله عَزَّ وَجَلَّ بالغيب؛ لأن في الظاهر أغلب الناس قد يتخوفون من كلام الناس فيهم وتنكر الناس لهم لكن الغيب على الإنسان أن يكون مراقبًا لله فيه، ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى ﴾ في هذا الباب بصيد ما لا يحل صيده: ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ بعد هذا الحُكم: ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ موجع.

ويلزمه جزاء الصيد وهذا من عذابه أيضًا، فمثلًا في النعامة ناقة أو جمل، وفي الحمامة تيس أو شاة من الضأن، ويحكم عدلان بما يجب عليه حتى البيضة إذا كانت من بيض الطيور التي لا يجوز أن تُصاد يلزمه فيها الفدية، والفدية ذبيحة يوصلها إلى

فقراء الحرم، والصيد حلال ما لم يصده محرم أو يصيد له، ففي الصحيحين عن أَبِي قَتَادَةَ قال: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَسِيرٍ لَهُمْ، بَعْضُهُمْ مُحْرِمٌ وَبَعْضُهُمْ لَيْسَ بِمُحْرِمٍ، قَالَ: فَرَأَيْتُ حِمَارَ وَحْشٍ فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَأَخَذْتُ الرُّمْحَ فَاسْتَعَنْتُهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُونِي، فَاخْتَلَسْتُ سَوْطًا مِنْ بَعْضِهِمْ، فَشَدَدْتُ عَلَى الْحِمَارِ فَأَصَبْتُهُ، فَأَكَلُوا مِنْهُ فَأَشْفَقُوا، قَالَ: فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَلْ أَشَرْتُمْ أَوْ أَعَنْتُمْ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكُلُوا»، وعن الصَّعْبَ بْنَ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيَّ يُخْبِرُ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارَ وَحْشٍ وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ - أَوْ بِوَدَّانَ - وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَرَدَّهُ، قَالَ صَعْبٌ: فَلَمَّا عَرَفَ فِي وَجْهِي رَدَّهُ هَدِيَّتِي قَالَ: «لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُرُمٌ» متفق عليه، والجمع بينهما: أن أبا قتادة صاده لنفسه فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم منه فأكل، والصعب صاده لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم يأكل منه .

الآية الثامنة والستون(٢٠):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾[المائدة:٩٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ كونوا على حذر، ﴿ لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ ﴾ الذي تقدم ذكر بعضه، ﴿ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾ حال كونكم محرمين ولو كنتم خارج الحرم، فالصيد حرام على

المُحرم وغير المحرم داخل الحرم، وحرام على المُحرم خارج الحرم ولو كان في ذي الحليفة وقد أحرم فلا يجوز له أن يصطاد، ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ﴾ خرج به المُخطئ فالصحيح: أن لا شيء عليه، وذهب الجمهور إلى أن المُخطئ لا إثم عليه وتلزمه الفدية، فمثلًا: لو كانت تمشي بالسيارة والحمامة تضرب في السيارة فماتت، إذا قلنا يلزم الكفارة حتى المُخطئ بمجرد ما يُميت حمامة يلزمه فدية، وإذا قلنا إنما هو في المتعمد لا يلزمه شيء، ﴿ فَجَزَاءٌ ﴾ أي: لهذا المقتول من الصيد، ﴿ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ إما من الإبل أو البقر أو الغنم وهذا يعرفه أهل الخبرة، يعني: هذا الطير شبيه بالغنم، هذا الطير شبيه بالضأن، هذا الحيوان شبيه بالثور، هذا الحيوان شبيه بالإبل، ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ يعني لم يكتفِ بحكم الواحد حتى يتقارب حكمهم، ﴿ هَدْيًا ﴾ يذبح هدي مقابل هذا الصيد الذي صاده متعمدًا، ﴿ بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ ليس معناه أنه يذهب يلطخ به الكعبة، وإنما يوزعه في فقراء الحرم، وهذا دليل على أن كفارة الصيد لا توزع في خارج الحرم، ﴿أَوْ﴾ فإن عجز عن ذلك: ﴿ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ يُنظر مقابل هذا الصيد هل يُطعم عشرة، يطعم واحد، يُطعم خمسة أو أقل أو أكثر؛ لأنهم سينظرون إلى ما قدروا عليه من النعم ثم يقولون: هذا يُجزئ عن إطعام كذا، ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ ليس محدد بيوم أو يومين، وإنما يُحدد على قدر النعم التي لم يستطع أن يأتي بها، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة: «**هَلْ تَجِدُ نَسِيكَةً؟**»، قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ بَيْنَ كُلِّ مِسْكِينَيْنِ صَاعٌ**» **متفق عليه**، ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ ليجد مغبة فعله بقتله الصيد متعمداً قاصداً، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جعله حرمًا آمنًا، ﴿ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ مما كان في الزمن

الماضي قبل نزول الحُكم وقبل العلم به، ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلى مخالفة شرع الله أو إلى الصيد مرة أخرى انتهاكًا لحرم الله، ﴿ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ لا يُغلب، ﴿ ذُو انتِقَامٍ ﴾ ينتقم من أعدائه والمخالفين لُحكمه وأمره.

وفي قوله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ فيها: دليل على تسمية السلفيين بهذا الاسم، فإن السلف هو المتقدم كما هو معلوم.

الآية التاسعة والستون(٢١):

قال تعالى:﴿ قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:١٠٠].

الشــرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ ﴾ الأفعال والأقوال الخبيثة المخالفة للكتاب والسنة، ﴿ وَالطَّيِّبُ ﴾ مع الأقوال والأفعال الطيبة الموافقة للكتاب والسنة، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ وتنوعت موارده، والنصرة ليست بالكثرة وإنما بموافقة الحق، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ اتقوا الله بفعل أمره والانتهاء عن نهيه وزجره، ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، وهذا هو النداء من أن الله نادى أصحاب العقول الذين يتفكرون ويتدبرون ويتعقلون أمر الله، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بنيل المطلوب والسلامة من المرهوب، والفلاح كل الفلاح في الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

الآية السابعة والستون(٢٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾[المائدة:١٠١-١٠٢].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ ليس في الآية النهي عن التفقه في الدين، وإنما الآية نزلت في زمن نزول الوحي، وبعضهم ربما يقول: يا رسول الله من أبي؟ فربما إذا كان أبوه غير الأب الشرعي وأُخبر به سبب ذلك مفاسداً كثيرة، فالأب الشرعي هو صاحب الفراش والابن ابنه ولو كان من غيره، ولو علم الناس أنه من غيره ما لم يُلاعن وإلا فالابن ابنه يرث منه ويُنسب إليه، وقد قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكان سالم مولى حذيفة يُعير بأبيه، فبينما النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «سَلُونِي، سَلُونِي»، إذ قام إليه فقال: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»، فقالت له أمه: أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَفْضَحَهَا عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ: وَاللهِ لَوْ أَلْحَقَنِي بِعَبْدٍ أَسْوَدَ لَلَحِقْتُهُ» أخرجه مسلم، وفي الصحيحين وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَوْهُ المَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ» فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي،

فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاَحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «حُذَافَةُ» ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَاليَوْمِ قَطُّ، إِنَّهُ صُوِّرَتْ لِي الجَنَّةُ وَالنَّارُ، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا وَرَاءَ الحَائِطِ» متفق عليه .

فالشاهد: نهاهم الله عن سؤال النبي **صلى الله عليه وسلم** عن مثله هذه الأسئلة، ونهاهم أيضًا أن يسألوه عن أمور لم تُحرم فربما تُحرم بسبب أسئلتهم وتعنتهم وكانوا بعيدين عن ذلك، قال أنس: فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلَهُ» متفق عليه .

﴿ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ تدخل عليكم الحزن والبؤس، ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ يُخبركم الله بها، ﴿ عَفَا اللهُ عَنْهَا ﴾ ما كان من الأمور الماضية عفا الله عنها، ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ ﴾ متجاوز، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ بعباده رحيم.

الآية الواحد والسبعون (٢٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة:١٠٥].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ في معنى هذه الآية: أن أبا بكر **رضي الله عنه** يقول محذرًا من الاغترار بالمعنى الذي قد يتبادر إلى الذهن: يا أيها الناس إنكم

تقرءون هذه الآية: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وتضعونها في غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرِ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ» أخرجه أحمد.

قال البغوي قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: خَافَ الصِّدِّيقُ أَنْ يَتَأَوَّلَ النَّاسُ الْآيَةَ عَلَى غَيْرِ مُتَأَوَّلِهَا فَيَدْعُوهُمْ إِلَى تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ [وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ] فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ وَأَنَّ الَّذِي أُذِنَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنْ تَغْيِيرِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ، هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْمُعَاهَدُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَتَدَيَّنُونَ بِهِ، وَقَدْ صُولِحُوا عَلَيْهِ، فَأَمَّا الْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ وَالرَّيْبُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ. اهـ

فعليك نفسك أصلحها بطاعة الله وبطلب العلم واسع في إصلاح زوجك وولدك ومجتمعك، فإن قُدِر أنهم أبوا الاستجابة لدعوتك: ﴿ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ﴾، من أعرض، ﴿ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ إلى طريق الحق والرشاد، ﴿ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بعثكم ونشوركم، ﴿ جَمِيعًا ﴾ يوم القيامة، ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ ﴾ يخبركم، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تعملون في هذه الدنيا، وهذه الآية فيها رد على أصحاب:

وما أنا إلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

الآية الثانية والسبعون (٢٤):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ

مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ ﴾[المائدة:١٠٦].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ عند موتكم في الحقوق الواجبة عليكم، أو في الأوقاف ونحو ذلك، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ من الرجال أو النساء، ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ أي: في وقت كتابة الوصية اثنان: ﴿ ذَوَا عَدْلٍ ﴾ عدول من المسلمين، فإن لم يوجد ووحد رجل وامرأتان فذاك، أو أربع نسوة، وفيه: أن الشهادة إنما تكون في العدول، وأما من لم يكن عدلًا في نفسه فلا تُقبل شهادته، ﴿ مِنْكُمْ ﴾ أي: من المسلمين، ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي: من الكافرين، لكن هذا ليس على إطلاقه: أن الكافر يشهد على المسلم إلا إذا كان في حال: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ ﴾ سرتم: ﴿ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ لحقكم الموت، وفيه: دليل أن الموت مصيبة وأي مصيبة، ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا ﴾ أي: الشهود الذين هم من الكفار، ﴿ مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ ﴾ قيل: صلاة العصر، وهذا من التغليظ الزماني والمكاني، فالتغليظ المكاني مثل: المسجد الحرام، ومسجد النبي **صلى الله عليه وسلم** ، والتغليظ الزماني مثل: بعد العصر، يوم الجمعة وهكذا، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ ﴾ لأنهم كانوا يؤمنون بالله في الجملة، ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ يا أهل الميت، ﴿ لا نَشْتَرِي بِهِ ﴾ بهذه الشهادة: ﴿ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ ﴾ نغيب: ﴿ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ ﴾ وتتمة الآية: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ

بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[المائدة:١٠٧].

المهم: أن الناس يتثبتون في شهادة الشهود من غير المسلمين حتى الشاهد من المسلمين يُتثبت في شأنه.

الآية الثالثة والسبعون (٢٥):

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[المائدة:١١٠].

الشــرح:

﴿ إِذْ قَالَ اللهُ ﴾ أيضًا ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة فيقول: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ نعمي الكثيرة المتتابعة حيث جعله الله رسولًا، ونبيًا، وأكرمه بالسلامة من مكر الماكرين من اليهود وغيرهم، ﴿ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ﴾ مريم البتول، ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبريل عليه السلام يعينك وينصرك بعد نصر الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي: أنه كلمهم في حال صغره ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ

أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ ". قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: " وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ،

سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا » **أخرجه مسلم**، ذكر منهم: صاحب جريج وعيسى بن مريم، ﴿ وَكَهْلًا ﴾ قيل: هذا حين ينزل في آخر الزمان، ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ﴾ يشمل الكتب السابقة لاسيما التوراة والإنجيل، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ حسن الدعوة والتعليم، ﴿ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ يعني: مثل الفخارة، ﴿ بِإِذْنِي ﴾ أمر الله له بذلك، فلا يذهب أحدكم يعمل مثلًا من هذا الشيء ويقول: قد فعله عيسى بن مريم، عيسى بن مريم فعل التصاوير بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ القدري الكوني، ﴿ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ ﴾ تعافي وتعالج الأعمى وإلا فإن الشافي هو الله، ﴿ وَالْأَبْرَصَ ﴾ الذي جلده قد تغير، ﴿ بِإِذْنِي ﴾ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ يمسح عليه يعود بريئًا، ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ وهذا ليس على إطلاقه أنهم يعودون إلى الحياة ويذهبون ويأتون ويتسوقون ويتزاوجون وغير ذلك، وإنما إذا اختلفوا في ميت أو كان من شأن أن يُريهم آية، يعني: يجعل الميت يكلمهم يحييه الله عَزَّ وَجَلَّ على يده، ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ اليهود: ﴿ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ حيث أرادوا أن يقتلوه، ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ سحر واضح بيّن،

وهموا بعيسى أن يقتلوه ونجاه الله منهم، فهذه منن من الله دعا عيسى عليه السلام إلى شكرها وذكرها وكان على ذلك .

وهذه الآيات كما ترى فيها دلائل الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ بعيدًا عن الشرك والتنديد.

الآية الرابعة والسبعون(٢٦):

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[المائدة:١١٦-١١٨].

الشـرح:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ ﴾ هذا يوم القيامة حين يجمع الله الأولين والآخرين، فيأتي النصارى وقد عبدوا عيسى من دون الله، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ له: ﴿ يَا عِيسَى ﴾ وهذا دليل على أن الله يتكلم بحرف وصوت يُسمع، ﴿ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ نُسب إلى أمه؛ لأنه لا أب له، وهذا دليل على قدرة الله وعظمة شأنه، ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ يعني: يتقربون إليهم، ويتمسحون بهم، ويتوسلون بهم، ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾

تنزيه لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ وهذا القول باطل، ﴿ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ لا تخفى عليه خافية، ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ إثبات صفة النفس لله عَزَّ وَجَلَّ: وهي الذات المتصفة بالصفات، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ صيغة مبالغة من العلم والاطلاع، وإذا كان علام الغيوب فمن باب أولى أن يكون عالم وعلام بالمشهود.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ حين أرسلتني إليهم ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ وهو التوحيد، ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ معنى لا إله إلا الله، ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي: ما أبقيتني، ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أي: قبضتني إلى السماء، ﴿ كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ المطلع، ﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فتجازي المُحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ يعني: تعذبهم وتهلكهم قبل الإيمان، فهم عبيدك تفعل فيهم ما تشاء، لا معقب لحكمك ولا راد لقضائك، ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أي: يدخلوا في الإسلام فيستحقوا المغفرة والتجاوز، ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ﴿الْحَكِيمُ ﴾ في فعله وأمره، والنبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية بكى وجعل يقول: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟»، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ» أخرجه مسلم .

مكيّة **الأنعام** آياتها (١٦٥)

الآية الخامسة والسبعون(١):

قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام:١٢٨].

الشـرح:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾أي: يوم القيامة يجمع الله عَزَّ وَجَلَّ الأولين والآخرين، ثم ينادي المُكلفين: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ ﴾ أي: أغويتم عددًا كثيرًا من الإنس وحرفتموهم عن الصراط المستقيم والطريق القويم، ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ ﴾ الذين تولولهم وأطاعوهم، ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الجني استمتع بالإنسي بإزاغته وإضلاله، والإنسي استمتع بالجني بقضاء بعض حوائجه كما هو حال الساحر مع الشياطين، فإنه يستمتع بهم في قضاء بعض ما يريد، وهم يستمتعون به في الكفر والشرك والمخالفة لدين الله، ﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ﴾ أي: المدة: ﴿ الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ حتى تتوفانا بعدها، ﴿ قَالَ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾ مستقركم جميعا التابع والمتبوع والمستمتع والمتمتع به، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ممن كان من أهل الإسلام فعذِبَ ثم دخل الجنة، أو إلا ما شاء الله مما كان قبل دخولهم النار، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في فعله وأمره وحكمه، ﴿ عَلِيمٌ ﴾

بمصالح عباده لا تخفى عليه خافية.

والشاهد من الآية قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ ﴾ يناديهم.

الآية السادسة والسبعون(٢):

قال تعالى:﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾[الأنعام:١٣٠].

الشـرح:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ الجن خُلِقوا من نار، والإنس خُلِقَ أبوهم من تراب، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ من بعضكم أي: من بني آدم فليس من الجن رُسل، ومنهم نُذر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾[الجن:١-٢]، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾[الأحقاف:٢٩]، والمعنى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ أي: من بعضكم، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[الرحمن:٢٢]، قال العلماء: وإنما يخرج اللؤلؤ من البحر المالح لا العذب، فمن شروط الرسول: أن يكون حرًا، ذكرًا، إنسانًا، عاقلاً، بالغًا وبهذا تعلم أن ليس من النساء ولا من الجن رسول، ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ﴾ يتلون عليكم: ﴿ آيَاتِي ﴾ التي أوحيتها إليهم، ﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ ﴾ يحذرونكم، ﴿ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ يوم القيامة، ﴿

﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ﴾ أقررنا أي: أنهم كانوا في ضلال بعيد، ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ حيث استمتعوا بملذاتها وشهواتها وألهتهم عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَشَهِدُوا ﴾ أقروا، ﴿ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ معرضين جاحدين لدين رب العالمين .

والقاعدة: أن الإقرار سيد الأدلة، فهم يعترفون أنهم كانوا كافرين فعند ذلك يستحقون النار وبئس القرار.

مكية الأعراف آياتها (٢٠٦)

الآية السابعة والسبعون(١):

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٢٦].

الشـرح:

جاءت النداءات المتعلقة بالدنيا لنبي آدم في أربعة مواطن كلها في سورة الأعراف وهي مكية: ، وهناك نداء متعلق بالآخرة يأتي في سورة يس.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ نداء لجميع المكلفين من بني الإنسان، ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا ﴾ هيئنا وخلقنا، ﴿ عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ اللباس: ما يُلبس ويواري به الإنسان جسده من الحر والقر

ويستر عورته، ﴿ يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ أي: عوراتِكم، وهذا من نعمة الله عَزَّ وَجَلَّ كل الحيوان عورته بادية إلا الإنسان فإنه يسترها في حال لبسه، وفي حال قضاء حاجته، وفي حال نومه، وتجد في هذه الأزمان كثيراً من الناس يريدون التشبه بالحيوان، ﴿ وَرِيشًا ﴾ اللباس يقولون: هو الذي يستر العورة ويكون بجانب الجسم، والريش: هو اللباس الخارجي الذي يتجمل به الإنسان، ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ لما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ اللباس الحسي بين أن اللباس المعنوي: وهو تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ خير عظيم في الدنيا والآخرة، وكانت العرب تُسمي الأخلاق الفاضلة ثوبًا، كما جاء في بعض أشعار لُبيد رضي الله عنه :

وَإِنِّـي بِحَمْـدِ الله لَا ثَـوْب فَـاجِرٍ لَبِسْـــت وَلَا مِـــنْ غَـــدْرَة أَتَقَنَّـــعُ

فمعناه: أن الإنسان إذا تميز بالأخلاق الفاضلة كان عليه أحسن اللباس؛ ولهذا يُفسر اللباس في المنام بالدين، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «[ص:٣٦] بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قَالُوا: مَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ» متفق عليه، فالله عَزَّ وَجَلَّ يمتن على عباده باللباس الحسي الذي يواري السوءة ويقيهم الحر والبرد، ثم قال لهم: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أي: لا تنسوا حظكم من تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ فذلك هو الخير العظيم الذي تُكرمون به في الدنيا والآخرة، ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ﴾ أي: كونه جعل لكم لباسًا يواري سوءاتكم، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ وفعلًا آية عظيمة من الذي علمك لهذا الأمر؟ الله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

﴾[النساء:١١٣]، وكما قلت: الإبل أكبر من الإنسان وسوءته ظاهرة، والفيل أكبر من الإنسان وسوءته ظاهرة، وهكذا جميع أنواع الحيوان لا يستطيع أن يستر نفسه، ولا يواري سوءته، ولا يصنع لنفسه بيتًا أو شيئًا من شأنه، والإنسان يصنع لنفسه البيت، واللباس، والمركب، ويفعل ما لا يفعل غيره فهذا فيه آيات تجعلنا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ إذ لم يجعلنا قردة أو خنازير أو من هذه الدواب التي لا قيمة لها إلا بقدر ما هي عليه، وأعظم ذلك العقل حيث جعل الله عَزَّ وَجَلَّ للإنسان عقلًا يتدبر المصالح التي ينتفع بها.

الآية الثامنة والسبعون(٢):

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:٢٧].

الشــرح:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ احذروا: ﴿ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ لا يغوينكم الشيطان عن دينكم، ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ ﴾ آدم وحواء، ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ العلية، وعلى الصحيح: أنها جنة عدن لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: «وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ؟»، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾[طه:١١٨-١١٩]، فلا يمكن أن يكون في جنة الدنيا لا جوع، ولا عطش، ولا عُري، ولا حر، ولا برد إنما هذا وصف الجنة التي هي جنة الخلد على

الصحيح من أقوال أهل العلم، ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ بسبب معصيتهما، كانت سوءاتهما مغطاة بلباس الجنة، فلما أكلا من الشجرة ووقعت منهما المعصية نُزع عنهما لباسهما، ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ يعني: مثل مضروب كما ظهرت سوءاتكما بالأكل من الشجرة كذلك ظهرت السوءة بالمعصية، ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ ﴾ الشيطان، ﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ من الجن ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وهذا في الغالب أن الإنس لا يرى الجن، لكن إذا تحول الجن إلى صورة أخرى يُرى على صورته؛ لأن منهم صنف حيات وعقارب وكلاب كما في الحديث، فإذا تحول حتى إذا أراد الإنسان أن يقتله ويتخلص منه يُقتل على حالته التي هو عليها، وذلك الصحابي الذي طعن الحية قال: لا أدري أيهما أسرع في الموت، يعني: طعنها وهي على هيئة جنان المدينة، لكن كيف تستتر منه؟ بالبسملة، والأذكار، فإذا أردت أن تكون مستورًا من الشيطان فعليك أن تأتي بالأذكار: أذكار دخول الخلاء، وأذكار النوم، وأذكار الصباح والمساء، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ يوالونهم ويَؤزونهم على الباطل أزًا، أما المؤمن ليس له عليه سلطان: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[الحجر:٤٢].

الآية التاسعة والسبعون(٣):

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف:٣١].

الشـرح:

هذه الآية نزلت في شأن قريش كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا الحُمس والحُمس

قريش وما ولدت، وكانت المرأة تقول:

الْيَــومَ يَبْــدُو بَعْضُــهُ أَوْ كُلُّــهُ   فَمــا بَــدَا مِنــهُ فَــلا أُحِلُّــهُ

وربما وضعت يدها على فرجها حتى تستره من نظر الناظرين كما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه .

فأمر الله بالتستر وقال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ أي: خذوا لباسكم وغطوا سوءاتكم، ﴿ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ عند الصلاة، وبهذه الآية استدل العلماء: على أن ستر العورة شرط في صحة الصلاة إلا إذا عدم الإنسان، وقد تكلم العلماء إذا كانوا قوم ليس لديهم لباس على الإمام أن يكون في وسطهم حتى لا يُنْظَر إلى سوءته عند سجوده وركوعه وإذا وُجد أدنى الشيء فيلبسه: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن:١٦]، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ مما رزقكم الله عَزَّ وَجَلَّ، كلو من المأكولات واشربوا من المشروبات، ﴿ وَلا تُسْرِفُوا ﴾ مجاوزة الحد، ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ فيه: إثبات صفة المحبة لله عَزَّ وَجَلَّ، والإسراف مذموم وكبيرة من كبائر الذنوب وعظيم الآثام.

الآية الثمانون (٤):

قال تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأعراف:٣٥].

الشــرح:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ هذا إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ: أنه سيُرسل إلى

بني آدم الرسل، ﴿ يَقُصُّونَ ﴾ يتلون، ﴿ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ الشرعية من القرآن والسنة، ﴿ فَمَنِ اتَّقَى ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل المأمور وترك المحظور وأصلح في عمله، ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ مما يقدمون عليه بل هم معززون مكرمون حين يقدمون بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم.

الآية الواحدة والثمانون (٥):

قال تعالى:﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٤٤].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لموسى عليه السلام، ﴿ قَالَ يَا مُوسَى ﴾ وهو نبي بني إسرائيل، ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ﴾ اخترتك واجتبيتك، ﴿ عَلَى النَّاسِ ﴾ جميعًا، ﴿ بِرِسَالاتِي ﴾ شاركه فيها بقية الرُسل إلا أن الكلام كلمه الله عَزَّ وَجَلَّ فَشُهر به: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٤]، ﴿ وَبِكَلامِي ﴾ إذ أن الله ناداه حين كان ليلة مبعثه، كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾[مريم:٥٢-٥٣]، فمن زعم أن الله لم يكلم موسى تكليمًا فهو كافر كفر أكبر مُخرج من الملة؛ لأنه كذب خبر الله، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾ من التوراة والأحكام، بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ لنعمتي عليك فإن الشكر يزيد النعمة، والكفر يذهبها، والنعمة إذا شُكِرت قرت وإذا كُفِرت فرت.

الآية الثانية والثمانون (٦):

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨].

الشـرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ جميع الناس؛ لأنه دعاهم إلى الإيمان برسالة النبي **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: أرسله الله إلى الأحمر، والأبيض، والأسود، وإلى العربي والأعجمي، وإلى الجن والإنس بخلاف بقية الرسل كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦]، وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم، والله الذي أرسله هو: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ لا شريك له في ملكه كما لا شريك له في عبادته، ﴿ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود بحق إلا هو، ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ لا يعجزه شيء، ﴿ فَآمِنُوا ﴾ أيها الناس، ﴿ بِاللهِ﴾ ربًا ﴿وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وليس كما يقول بعضهم نسبة إلى أم القرى، بل إن النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «إِنَّا أُمَّةٌ

أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسُبُ» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، ﴿ الَّذِي ﴾ من صفة أنه ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ ﴾ ربًا، ﴿ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ الشرعية ويأخذ بها، ﴿ وَاتَّبِعُوهُ ﴾ تابعوه، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾[الأحزاب:٢١]، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١]، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يحصل لكم الاهتداء في الدنيا بملازمة الكتاب والسنة، وفي الآخرة يحصل لكم الاهتداء إلى الجنة والسلامة من النار.

الأنفال

مَدَنيّة — آياتها (٧٥)

الآية الثالثة والثمانون(١):

ﭑ ﭒ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[الأنفال:١٥-١٦].

الشــرح:

هذه الآية فيها: بيان لكبيرة الفرار من الزحف، وقد قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، وذكر منها: «وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن التولي يوم الزحف إنما هو

خاص بأصحاب بدر؛ لحاجة النبي **صلى الله عليه وسلم** إليهم في ذلك اليوم، وأما غيرهم فلا يدخلون في هذا الحُكم، والصحيح: القول الأول إذ وجد مسلم في معركة مع كافرين تعين عليه الثبات، وكان مبدأ الأمر: يجب على المسلم أن يواجه عشرة، ثم نسخه الله **عَزَّ وَجَلَّ** باثنين، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦] ولا يجوز له الفرار من الزحف إلا إذا كان متحرفًا لقتال يعني: يريد أن يرجع ويتقوى ويصلح شأنه، أو متحيزًا إلى فئة يكثرونه وينصرونه.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ﴾ أي: في معركة من المعارك، ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ أي: فارين منهم، وهذه أحد المواطن التي يجب فيها القتال، ويضاف إليها حال جهاد الدفع إذا هجم عدو المسلمين عليهم، وفي حال استنفر الإمام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإذا استنفرتم فانفروا» متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ كناية عن أنه يفر منهم ويهرب، ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ﴾ مستعد لقتال آخر أو معركة أخرى أو دائرة أخرى، ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾ من المسلمين ينصرونه ويؤازرونه، ﴿ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ أي: من فعل ذلك، وهذا دليل على أنها كبيرة، وضابط الكبيرة عندهم: ما توعد عليه بغضب، أو لعن، أو حد،

أو طرد من الجنة، ﴿ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ مصيره.

ومع ذلك التولي يوم الزحف ليس بكفر وإنما هو من المعاصي العِظام، نسأل الله العافية والسلامة.

الآية الرابعة والثمانون(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال:٢٠-٢٢].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا، ﴿ أَطِيعُوا اللهَ ﴾ في أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ وَرَسُولَهُ ﴾ أيضًا أطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في أمره واجتناب نهيه وزجره، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة لله، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[النساء:٨٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، والطاعة تكون بفعل الأمر، وباجتناب النهي، ﴿ وَلا تَوَلَّوْا ﴾ تتولوا عن دينه وعن سنته، ﴿ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ المواعظ والعبر.

زادهم: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾[الأنفال:٢١]، من اليهود والنصارى: ﴿

﴿ وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾[الأنفال:٢١]، لا يسمعون الحق مع أنهم يسمعون الكلام: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنفال:٥٥].

الآية الخامسة والثمانون(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٢٤].

الشــرح:

في البخاري من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟ "، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ استجيبوا لأمر الله ولأمر رسوله **صلى الله عليه وسلم** وسارعوا إلى ذلك كما قال: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[البقرة:١٤٨]، ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أذا أمركم بما فيه حياة قلوبكم، وبما فيه صلاح أُخراكم، كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾[الأنعام:١٢٢]، فلا حياة إلا مع القرآن والسنة؛ ولهذا قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ

فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه، إذًا: فالأحياء هم أهل السنة والجماعة الذين تابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلًا واعتقادًا وإن كان أحدهم مشلولًا على فراشه إلا أنه متلبسًا بالحياة التي بها صلاح الآخرة، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يُقسم كثيرًا: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ» أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه، وكان يقول: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، كما عبد الله بن عمرو عند مسلم، ويقول: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دَيْنِكَ»، كما في حديث عائشة وأم سلمة عند أحمد، فإذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يصرف قلبك عن الخير صرفه ولن تستطيع له إقامة، وإذا ثبت الله عَزَّ وَجَلَّ قلبك ثبت ولا يستطيعون له إزاحة، فانظر كيف الشأن: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ربما هو يريد شيء وقلبه يريد شيئًا ويغلبه قلبه، ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يوم القيامة، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

من هذه الآية تعلم أن صلاح المرء وفساده يعود إلى القلب: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

فيا أخي المسلم: عليك أن تستحضر عظيم هذه النعمة: نعمة الهداية والتوفيق، وإلا فربما تجلس تتصارع أنت وقلبك يجرك إلى الباطل وأنت تريد الخير ومع ذلك يتغلب عليك، وصلاح الظواهر أهون من صالح الباطن على العبد، فقد يترك كثيرًا من الأعمال السيئة إما لخوفه من الله عَزَّ وَجَلَّ وهو أحسنها، وإما لخشيته من الناس

أن يروه عليها، وإما لعدم تيسرها له، وأما القلب ففساده فساد، النية تحتاج إلى مجاهدة، والعُجب يهجم، والرياء يهجم، والكبر يتعاظم في النفس، فيبقى الإنسان في صراع مع قلبه ربما تسلط عليه الشيطان، والقلب محل نظر الرحمن: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» **أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه**، فمصيبة: أن يكون الإنسان سيء القلب، فكم تأتي الإنسان من الخواطر والوساوس والظنون والأشياء الكثيرة؟ وقد تجد عنده من المال ما الله به عليم، ومن الجاه ما الله به عليم وهو في عذاب بسبب قلبه، وقد تجد عند آخر الفقر والحاجة والقلة وهو في سعادة بسبب قلبه، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[الرعد:٢٨]، فهذه الآية تجعلك متضرعًا إلى الله أن يثبت قلبك: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾[الأنفال:٢٤]، فيصرف كيف شاء الله، فإذا فسد القلب لا تنتفع الأذن بالسماع، ولا تنتفع العين بالبصر، ولا تنتفع الجوارح بعمل: ﴿ **يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[النساء:١٤٢].

الآية السادسة والثمانون(٤):

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[الأنفال:٢٧].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ** ﴾ إذ أمنكم الأمانة العظيمة:

وهي إقامة الدين، كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[الشورى:١٣]، وقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب:٧٢].

وذكر بعض أهل العلم: أن هذه الآية نزلت في شأن الأبناء والنساء؛ لأن الله ذكر بعدها: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال:٢٨]، فالخيانة صفة ذميمة اتصف بها المنافقون، وقد اتصف بها المشركون، ﴿ لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ وتخونوا سنته وطريقته، ودعوته، ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ الكثيرات التي أمنكم الله إياها من حفظ الفرج، والسمع، والبصر، والأموال التي توضع عندك أمانة فالأمانة أوسع من تخصيصها بأمر أو أمرين، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم وقعتم في الخيانة وأن هذا أمر لا يجوز، والناس يعلمون أن الخيانة مذمومة.

الآية السابعة والثمانون(٥):

ﭨ ﭩ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[الأنفال:٢٩].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين بتقواه والمراقبة له، ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور واجتناب المحظور، ﴿ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ تفرقون به بين الحق والباطل فتعرفون سبل الهداية وتسلكونها وتحبونها، وتعرفون سبل الغواية فتجتنبونها

مع بغضكم لها، ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يتجاوز عن سيئاتكم وذنوبكم، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ما سلف من فعالكم، ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الواسع.

وهذه آية عظيمة إذا قال لك أحدهم: لم نعد نعرف أين الحق؟ قل له: لقصور تقواك وإلا لو كنت متقيًا يبصرك الله عَزَّ وَجَلَّ بالحق، فيكون لديك فرقان تفرق به بين الحق والباطل.

الآية الثامنة والثمانون(٦):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الأنفال:٤٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ ﴾ هذا أمر من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين بالثبات إذا لقوا عدوهم من المشركين، ﴿ فِئَةً ﴾ طائفة، ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾ لا تتزحزحوا ولا تنهزموا، وفي الصحيحين عن عبد الله بن أوفى أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»، ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ أطيعوه بجوارحكم، وأخلصوا له بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم: ﴿ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وكلما ذكرت الله فالله أكثر.

واستدل العلماء بهذه الآية على أن الإنسان قبل أن يجد عدوه يُكثر من الذِكر والدعاء، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، والفلاح: هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

الآية التاسعة والثمانون(٧):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال:٦٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ الله كافيك ﴿وَ﴾ كافي: ﴿ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يدافع عنك، وينصرك، ويعزك، ويكرمك، وهذه الآية فيها تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم ولقومه رضوان الله عليهم؛ لأن من كان الله حسبه كان هو المنصور، انظر إلى إبراهيم لما أُلقي في النار قال: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، فكان قول الله: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[الأنبياء:٦٩]، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣]، أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه وكلمة: حسبي الله عليك هذا دعاء كثير من الناس لا يظن ذلك مع أنها من أعظم الدعاء.

الآية التسعون (٨):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾[الأنفال: ٦٥].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ أي: حثهم ورغبهم وأخبرهم بما لهم عند الله من المثوبة إن قاتلوا حتى تزداد شجاعتهم ومعنوياتهم، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم على ذلك، ففي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ هذا في مبدأ الأمر الواحد بعشرة، ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يفقهون أن النصر بيد الله.

ثم قال تعالى: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال:٦٦].

الآية الواحدة والتسعون(٩):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٧٠-٧١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ نداء لمحمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى ﴾ وكانوا سبعين رجلًا من قريش، ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ إسلامًا ومحبة له، ﴿ يُؤْتِكُمْ ﴾ **يرزقكم ويخلف عليكم** ﴿خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾ من الفداء، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ يتجاوز عنكم، ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ والمكر بدينك، ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ بعدم الإيمان، ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ سلط عليهم ودمدم وأهانهم، ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ **بكم** ﴿حَكِيمٌ ﴾ في فعله وأمره .

مَدَنيّة التوبة آياتها (١٢٩)

الآية الثانية والتسعون(١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[التوبة:٢٣].

الشـرح:

مسألة: أن يكون ولاؤك لله، وبغضك لله، وبراؤك في الله عَزَّ وَجَلَّ من المسائل المهمات فإذا فعلت ذلك فأنت المؤمن المتقي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ ﴾ صلبيةً ويدخل فيهم الاجداد، ﴿ وَإِخْوَانَكُمْ ﴾ ويدخل فيهم أبناء العم وأبناء الخال، ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ نصراء وأحبابًا، ﴿ إِنِ اسْتَحَبُّوا ﴾ إذا استحبوا ورضوا: ﴿ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ أما إذا دخلوا في الإيمان فإخوانكم في الدين وإخوانكم في النسب، وآباؤكم في النسب وإخوانكم في الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يُسْلِمُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ**» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، لكن النهي هنا: عن إخوة الكافرين، ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ ﴾ ينصرهم ويحبهم ويودهم، ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

الكافرون على تفصيلٍ في المسألة: إن كانت محبتهم ونصرتهم لدينهم الباطل المحرف فهو كفر أكبر مُخرج من الملة، وإن كان غير ذلك فهو معصية لقول الله

تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[آل عمران:٢٨].

الآية الثالثة والتسعون (٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٢٨].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لمن آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ ﴾ الكافرون الذين يعبدون غير الله: ﴿ نَجَسٌ ﴾ نجاسة معنوية لا تطهرها البحار ولا الأنهار، وليست بنجاسة حسية كما يظن البعض فإن ثمامة بن أُثال رُبِطَ في المسجد قبل إسلامه، والأسارى كانوا في المسجد ولم تكن فيهم النجاسة بمعنى: أن من مسهم يجب أن يغسل يده أو ما أصابهم من لباسه وشأنه، ﴿ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ وهذه خاصة بالمسجد الحرام والحرم أجمع، وأما بقية المساجد فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم ثمامة بن أُثال في المسجد؛ لعله أن يسمع الإسلام والقرآن ويستجيب لدعوة الملك العلام، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ

المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» **متفق عليه**، ﴿ **بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا** ﴾ أي: العام التاسع، حيث جاء أبو بكر وعلي ببراءة، ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ** ﴾ بطردهم وردهم: ﴿ **عَيْلَةً** ﴾ فقرًا وحاجة، ﴿ **فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ** ﴾ ويوسع لكم في أرزاقكم وأعطيتكم وهباتكم، ﴿ **إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ** ﴾ بمصالحكم وبجميع أفعالكم وشأنكم، ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ في أفعاله وما قضاه وقدره.

وفي هذه الآية: بيان لما عليه أهل الإسلام الذين قال عنهم النبي **صلى الله عليه وسلم** : «**الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ**» **متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه**، وفي رواية: «**الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ**» **أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه**، أو إن كان المسلم جنبًا، ومحدثًا، أو حيًا، أو ميتًا فإنه لا ينجس، والكافر نجس ونجاسته معنوية وإن اغتسل

بالبحار والأنهار، واستخدم جميع الأشنان ما رُفِعت نجاسته؛ ولذلك يوم القيامة لا يكون له إلا عذاب النار وبئس القرار؛ لأنها نجاسة متأصلة في قلبه فحصل بها الفساد العريض، ولو أن الناس يأخذون بما دلت عليه هذه الآية ويقع منهم بغض المشركين والإعراض والبعد عنهم والنهي والنأي عن التشبه بهم؛ لحصل الخير العظيم، في حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» .

وفيها: أن الغنى من الله إن شاء أن يعطيك أعطاك، وإن شاء أن يمنعك منعك.

الآية الرابعة التسعون(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة:٣٤].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ محذرًا لأهل الإيمان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ

﴿ علماء اليهود، ﴿ وَالرُّهْبَانِ ﴾ عُباد النصارى، ﴿ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ يأخذونها بغير حقها ولا يدفعونها في وجهها، [وقد جاء في قصة إسلام سلمان الفارسي: وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ» أخرجه أحمد، والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «**لَا يَحِلّ مَالُ اِمْرِئٍ مُسْلِم إِلّا بِطِيبَةٍ مِنْ نَفْسه**» **أخرجه أحمد**، ﴿ وَيَصُدُّونَ﴾ **ويمنعون** ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ طريقة الله بإنفاقها للمنع من الدخول في دين الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٣٦]، فكم هي القوانين التي وضعتها الدول الكافرة والحكومات البائرة من أجل أن يضعف الإسلام، ومع ذلك يأبى الله إلا أن يتم نوره، فالإسلام في علو وأهله في تمكن وإن ضعفوا في الأمور المادية والأمور العسكرية، لكن بقاء القوة الإيمانية والعقيدة الصالحة هو الذي يغيظ الكفار، اجعلوهم يملكون الدنيا بما فيها من ذهبها

ومجوهراتها ونفطها؛ لكنهم في غيظ شديد بسبب أنك على عقيدة صحيحة، هذا الذي يغيظهم ويسوؤهم، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[الفتح:٢٩]، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[البقرة:١٢٠]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ ﴾[البقرة:١٠٥]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾[النساء:٨٩]، فاعرف مقدار نعمة الله عليك يا مسلم، ولا تكن نظرتك دنيوية قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف:٣٣]، يعني: تكون سقفهم، والأبواب من فضة، وفرشهم وكراسيهم فيها الذهب الكثير، لكن ابتلى الله عَزَّ وَجَلَّ الناس بعدم ذلك حتى لا يصير حالهم إلى الكفر جميعًا فالدنيا لا عبرة بها، فدين الإسلام يبقى ما بَقِيَّ أهل التوحيد، وأهل السنة، وأهل الصلاح، وأهل العلم.

ودين الإسلام ينصر بالعمل بالقرآن والسنة ومنهج السلف وإن ذهبت الأموال وقلت الرجال، فما دام الإسلام يُعمل به فالمسلمون في خير.

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ يعني: إذا بلغ النصاب ولم يدفع زكاته فهو كنز، أما إذا دفع زكاته فليس بكنز، كما صح عن ابن عمر رضي الله عنه ﴿ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في الأوجه الشرعية التي شرعها الله، ﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾ أخبرهم، ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ موجع يوم القيامة.

﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[التوبة:٣٥]، قال بعض أهل العلم: السبب في كي الوجه ثم الجنب ثم الظهر: أن الفقير إذا جاء إلى الغني فسأله تبعر وجهه، ثم أعرض بجنبه، ثم ولاه ظهره، فيكون الجزاء يوم القيامة على قدر أفعاله في الدنيا.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا أُقْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا يَوْمَئِذٍ جَمَّاءُ وَلَا مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: " إِطْرَاقُ فَحْلِهَا، وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا، وَمَنِيحَتُهَا، وَحَلَبُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ " متفق عليه .

الآية الخامسة والتسعون(٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[التوبة:٣٨].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ ﴾ عتاب للمؤمنين الذين أبوا الخروج مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك ﴿ **إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا** ﴾ **اخرجوا** ﴿ **فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ للغزو والقتال، ﴿ **اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ** ﴾ يعني: أحببتم البقاء والإقامة، في أرضكم ومساكنكم ﴿ **أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ** ﴾ هذا لا يكون، لا بد أن تكون الآخرة هي المقدمة، فتقديم الدنيا هو فعل الكفار ﴿ **فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ مهما كَثُرَ وتنوع.

فانظر في الدنيا هل يمكن أن تبقى بدون جوع؟ هل يمكن أن تبقى بدون عطش؟ لا بد تعطش حتى وأنت في البيت والثلاجة عندك، والمطبخ مليء، وأحيانًا ما تجد من يطبخ، وأحيانًا تعجز عن القيام للشرب، ربما كنت نائمًا ما تقوم إلا وأنت عطشان، أو كنت في عمل ما تصل إلى الدكان إلا وأنت في حالة، مع ما يأتيك أيضًا من التعب والنصب والأسقام وغير ذلك؛ لكن الجنة: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى** ﴾[طه:١١٨-١١٩]، ولا تبأس ولا تشقى، ولا تموت وتحيى، فنسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** الجنة، والله لو لم يكن إلا هذه الآية لرغبتنا في الجنة وجعلتنا نجري على رؤوسنا فضلًا عن أرجلنا إليها جريًا بالعمل الصالح .

الآية السادسة والتسعون(٥):

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[التوبة:٧٣].

الشــرح:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ هذا أمر من الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبيه الكريم محمد الصادق الأمين،

وهو أمر لأمراء المسلمين وحُكامهم في كل زمن وحين: ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ الأصليين المعروفين من اليهود، والنصارى، والهندوس، والبوذيين ومن إليهم من عُباد الأصنام والأوثان الذين حاربوا الله بالشرك وأظهروا التنديد واعتقدوه دينًا، ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر والإجرام، وما أكثرهم في هذا الزمان، إذا كان الحسن البصري في زمانه يقول: والله لو كان للمنافقين ذيول ما استطعنا أن نمشي فكيف بهذا الزمان؟ فالاشتراكيون، والناصريون، والبعثيون، والعلمانيون، والحداثيون، والباطنية، والرافضة، وعُباد القبور من الصوفية كلهم أهل نفاق، فالله عَزَّ وَجَلَّ أمر بجهادهم، ولم يجاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسنانه مع أن الله عز وجل قد حرضه عليهم بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]، وإن استطاع ولي الأمر أن يُقيم عليهم حد الردة فعل حتى لا تُرفع لهم قائمة، وهم أشد على أهل الإسلام من اليهود والنصارى، فلو أتيت إلى أي عامي يعرف اليهودي، والنصراني، لكن هذا الذي يظهر أن الإسلام دينه، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيه ثم يطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وهذا أحد أوجه الجهاد؛ لأن الجهاد مراتب:

الأولى: جهاد النفس.

الثانية: جهاد الشيطان.

الثالثة: جهاد الكفار.

الرابعة: جهاد المنافقين.

﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: شد عليهم حتى ينزجروا عما هم فيه من الباطل؛ لأنك إذا رحمتهم تمردوا عليك، ﴿ وَمَأْوَاهُمْ ﴾ يوم القيامة: ﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] .

هذه الآية وما فيها تُسمى عند كثير من الناس بآية السيف، ويحكمون بها على كثير من الآيات مثل: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾[فصلت:٤٠]، ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[الإسراء:٨٤]، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون:٦]، إلى غير ذلك على أنها منسوخة، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤/ ١٥٦):

أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَى النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ: سَيْفٍ لِلْمُشْرِكِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [التَّوْبَةِ: ٥] وَسَيْفٍ لكفار أَهْلِ الْكِتَابِ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التَّوْبَةِ: ٢٩] وَسَيْفٍ للمنافقين جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَسَيْفٍ لِلْبُغَاةِ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ [الْحُجُرَاتِ: ٩] وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يُجَاهَدُونَ بِالسُّيُوفِ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ قَالَ: بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

فَلْيَكْفَهِرَّ فِي وَجْهِهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ وَالْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَأَذْهَبَ الرِّفْقَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَاغْلُظْ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِالْكَلَامِ وَهُوَ مُجَاهَدَتُهُمْ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ وَالرَّبِيعِ مِثْلُهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ مُجَاهَدَتُهُمْ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لِأَنَّهُ تَارَةً يُؤَاخِذُهُمْ بِهَذَا وَتَارَةً بِهَذَا بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ، واللهُ أَعْلَمُ. اهـ

الآية السابعة والتسعون(٦):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لمعاشر المؤمنين في كل زمن وحين: أن يتقوا الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور، ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلتكن مع الصادقين قولًا، وفعلًا، واعتقادًا فإن هذا من أسباب ثباتهم، ومن أسباب رفعتهم، ومن أسباب علو شأنهم، فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» متفق عليه، فكثير من الناس انحرفوا بسبب مجالسة السيئين:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

والقاعدة: من خفيت علينا بدعته، لم تخفَ علينا أُلفته.

ومن جالس جانس، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**» متفق عليه، وهكذا كما تكون مع الصادقين حسيًا كن معهم معنويًا، فكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في اعتقاداتهم، وكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في محبتهم ونصرتهم لله ولرسوله ولدينه، وكن مع الصحابة رضوان الله عليهم في التأسي برسول الله **صلى الله عليه وسلم** .

والصادقون عند التفصيل هم: المهاجرون، كما قال تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[الحشر:٨]، والأنصار هم المؤمنون.

وبهذه الآية احتج أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم على الأنصار لما قالوا: منا أمير ومنكم أمير، قالوا: لا يكون، أليس الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[التوبة:١١٩]، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، هذا هو دين الله، فيأتي رافضي أثيم ويقول: الصحابة أخذوا الخلافة على علي بن أبي طالب، لو كانت الخلافة لعلي بن أبي طالب لسلموها له على طبق من ذهب، وكانوا لهم نِعمَ الطائعين والمستجيبين، لكن أنت في غفلة عن سيرة إمامك، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

وَجعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «**أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا**» فَأَخَذَ بِيَدِهِ العَبَّاسُ فَقَالَ: أَلاَ تَرَاهُ، أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ الثَّلاَثِ عَبْدُ العَصَا، وَاللهِ إِنِّي لَأُرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيُتَوَفَّى فِي وَجَعِهِ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي وُجُوهِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ المَوْتَ، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْأَلَهُ: فِيمَنْ يَكُونُ الأَمْرُ، فَإِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَمَرْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا، قَالَ عَلِيٌّ: «**وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمْنَعُنَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا، وَإِنِّي لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَدًا**» أخرجه البخاري (٦٢٦٦)، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يُشير بالخلافة لأبي بكر رضي الله عنه مثل حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، في مسلم: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ - قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ - قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»، فلا يُلبس علينا في ديننا، ولا يأتيك واحد ويقول لك: أسئلة حيرت علماء السنة، والله ما حيرت علماء السنة ولا تُحير عوام السنة، إنما تُحير الذين هم عمائم على بهائم لا يفقهون من الإسلام إلا رسمه، ولا يعلمون بأحكامه.

وتتعجب من العوام الذين هم أتباع كل ناعق، كلما سمعوا عبارة أثرت فيهم.

فلا يؤثر فيك الباطل، أفضل هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأحق هذه الأمة بالخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي كما جعلهم الله، وكما اختارهم خيرة الأمة على هذا الأمر، هذا هو ديننا، قال شيخ الإسلام: فمن أبى غير ذلك فهو أضل من حمار أهله.

الشاهد: هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ أن نكون مع الصادقين، ولا يستقيم أن تكون مع الصادقين وأنت كذاب كأن تجلس معهم وأنت في داخلك الكذاب أو مبتدع ضال، أو مُحب للمبتدعين الضالين، أو تعتقد غير عقيدة المسلمين هذا ما يصلح، كون الإنسان يكون مع الصادقين ظاهرًا وباطنًا محبته، ووده، ونصرته، ومجالسته لهم، ولا تجالس أهل البدع وتقول: إيماني في قلبي، وأنا محب لله ومحب لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، ومحب للقرآن والسنة، نقول: لا يجتمعان دين الرسول والكفر والبدعة والصد، والله المستعان .

الآية الثامنة والتسعون(٧):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[التوبة:١٢٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين الموحدين المحبين لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله وللمؤمنين: ﴿ قَاتِلُوا ﴾ في حال جهادكم مع ولي أمركم: ﴿ الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ الأقرب فالأقرب الذين كفرهم الله ورسوله **صلى الله عليه وسلم** ، فلا يُستدل بهذه فالآية كما يستدل بها الدواعش وأصحاب القاعدة على أنها في شأن قتال من يكفرونهم من المسلمين، الآية في شأن الكافرين الذين كفرهم الله وكفرهم رسوله **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ يَلُونَكُمْ ﴾ أي: يقربون منكم وتستطيعون الوصول إليهم، وهذا في حال قوة المسلمين ويُسمى بجهاد الطلب؛ لأن الجهاد

ينقسم إلى قسمين:

الأول: جهاد دفع.

الثاني: جهاد طلب.

فجهاد الدفع في حال ضعف المسلمين، إذا غزاهم الكفار واجهوهم ودافعوا عن أنفسهم بكل ما استطاعوا، وأما جهاد الطلب في حال قوة المسلمين، وكان للمسلمين في الزمن الماضي غزوتان صائفة في الصيف وشاتية في الشتاء.

﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ شدة عدم رحمة؛ لأنهم يستحقون ذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح:٢٩]، قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٠٨):

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا الْكُفَّارَ أَوَّلًا، فَأَوَّلًا الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ إِلَى حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ، وَلِهَذَا بَدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ وَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالطَّائِفَ وَالْيَمَنَ وَالْيَمَامَةَ وهجر وخيبر وحضر موت وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقَالِيمِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَدَخَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتَجَهَّزَ لِغَزْوِ الرُّومِ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الإسلام لأنهم أَهْلَ الْكِتَابِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ ثُمَّ رَجَعَ لِأَجْلِ جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وذلك سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ اشتغل في السنة العاشرة بحجة الْوَدَاعِ، ثُمَّ عَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عليه بعد حجته بِأَحَدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا، فَاخْتَارَهُ اللهُ لِمَا عِنْدَهُ.

وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَزِيرُهُ وَصَدِيقُهُ وَخَلِيفَتُهُ أَبُو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ مَالَ الدِّينُ مَيْلَةً كَادَ أَنْ يَنْجَفِلَ فَثَبَّتَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ، فَوَطَّدَ الْقَوَاعِدَ وَثَبَّتَ الدَّعَائِمَ، وَرَدَّ شَارِدَ الدِّينِ وَهُوَ رَاغِمٌ، وَرَدَّ أَهْلَ الرِّدَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ الزَّكَاةَ مِمَّنْ مَنَعَهَا مِنَ الطَّغَامِ، وَبَيَّنَ الْحَقَّ لِمَنْ جَهِلَهُ، وَأَدَّى عَنِ الرَّسُولِ مَا حَمَلَهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي تَجْهِيزِ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الرُّومِ عَبَدَةِ الصُّلْبَانِ، وَإِلَى الْفُرْسِ عَبَدَةِ النِّيرَانِ، فَفَتَحَ اللهُ بِبَرَكَةِ سِفَارَتِهِ الْبِلَادَ، وَأَرْغَمَ أنف كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَنْ أَطَاعَهُمَا مِنَ الْعِبَادِ. وَأَنْفَقَ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رسول الله وَكَانَ تَمَامُ الْأَمْرِ عَلَى يَدِي وَصِيِّهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ الْفَارُوقِ الْأَوَّابِ، شَهِيدِ الْمِحْرَابِ، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَأَرْغَمَ اللهُ بِهِ أُنُوفَ الْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ، وَقَمَعَ الطغاة والمنافقين وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَمَالِكِ شَرْقًا وَغَرْبًا.

وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ بُعْدًا وَقُرْبًا: فَفَرَّقَهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.

وَالسَّبِيلِ الْمَرْضِيِّ. ثُمَّ لَمَّا مَاتَ شَهِيدًا وَقَدْ عَاشَ حَمِيدًا. أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شهيد الدار.

فكسى الإسلام رئاسته حلة سابغة. وامتدت فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ حُجَّةُ الله البالغة. فظهر الْإِسْلَامُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. وَعَلَتْ كَلِمَةُ الله وظهر دينه. وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها. وكلما عَلَوْا أُمَّةً انْتَقَلُوا إِلَى مَنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مِنَ الْعُتَاةِ الْفُجَّارِ، امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التَّوْبَة: ١٢٣] وَقَوْلُهُ تعَالَى: وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً أَيْ وَلِيَجِدَ الكفار منكم غلظة فِي قِتَالِكُمْ لَهُمْ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ رَفِيقًا لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ غَلِيظًا عَلَى عدوه الكافر.

كقوله تَعَالَى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ [الْمَائِدَة: ٥٤] وقوله تَعَالَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: ٢٩] وقوله تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ [التَّوْبَة: ٧٣ وَالتَّحْرِيم: ٩] وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم قال: «أَنَا الضَّحُوكُ الْقَتَّالُ» يَعْنِي أَنَّهُ ضَحُوكٌ فِي وَجْهِ وَلِيِّهِ قَتَّالٌ لِهَامَةِ عَدُوِّهِ، وَقَوْلُهُ: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ أَيْ قَاتِلُوا الْكُفَّارَ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَكُمْ إذا اتَّقَيْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ لَمَّا كَانَتِ الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي غَايَةِ الِاسْتِقَامَةِ وَالْقِيَامِ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى لَمْ يَزَالُوا ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ. وَلَمْ تَزَلِ الْفُتُوحَاتُ كَثِيرَةً وَلَمْ تَزَلِ الْأَعْدَاءُ فِي سَفَالٍ وَخَسَارٍ.

ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتَنُ وَالْأَهْوَاءُ وَالِاخْتِلَافَاتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ طَمِعَ الْأَعْدَاءُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا، فَلَمْ يُمَانِعُوا لِشُغْلِ الْمُلُوكِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ فَأَخَذُوا مِنَ الْأَطْرَافِ بُلْدَانًا كَثِيرَةً، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا حَتَّى اسْتَحْوَذُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَلِلَّهِ لأمر مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، فَكُلَّمَا قَامَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأَطَاعَ أَوَامِرَ اللهِ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ وَاسْتَرْجَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِحَسَبِهِ وَبِقَدْرِ مَا فِيهِ من ولاية الله. والله المسؤول الْمَأْمُولُ أَنْ يُمَكِّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَوَاصِي أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ وَأَنْ يُعْلِيَ كَلِمَتَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ إنه جواد كريم. اهـ

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ معية نصر وتأييد وحفظ وكلاءة.

فمعية الله عَزَّ وَجَلَّ تنقسم إلى قسمين:

الأولى: معية عامة لجميع المخلوقات، فالله معهم بعلمه، وبصره، وقدرته، وسلطانه لا يعجزه شيء، وغير ذلك من خصائص ربوبيته .

الثانية: معية خاصة للمؤمنين، وهي تقتضي النصر، والتأييد، والحفظ، والكلاءة.

والحمد لله

مكية **سورة يونس** آياتها (١٠٩)

الآية التاسعة والتسعون(١):

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس:٢٣].

الشـــرح:

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ من الغرق ونحوه من البداء ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل ﴿ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي بالفساد .

والبغي: ذنب عظيم يدل على ضعف الخوف من العلي الكريم، والنبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «لَا تَبْغِ وَلَا تَكُنْ بَاغِيًا»، لا تبغي على غيرك سواءً بالقول أو

بالفعل أو حتى باعتقاد السوء فيه وهو بريء من ذلك.

وهنا يُحذر الله عَزَّ وَجَلَّ من البغي بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: ضرر بغيكم عائد إلى أنفسكم فأنت المتضرر الأول من معصية الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنت المتضرر الأول من الظلم: «**الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه، «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» أخرجه أبو داود عن أبي بكرة رضي الله عنه، فكم من إنسان يكون في أُبهته، وسلطانه، وغناه، وقوته فإذا بغى على غيره عاد ذليلًا حقيرًا مهانًا، وربما سُلِبَ منه المُلك والسلطان والمال فيعود في حالة سيئة، وهذا أمر ربما قد سمعتم به كثيرًا، أعرف من كان ضابطًا كبيراً وكانت له صولة وكلمة، فجاءه رجل مسكين يشكو فدفعه من على باب الإدارة، وإذا به من يومه أُصيب بشيء في جسده، وضعفت كلمته، وقل احترام الناس له، والآن هو في حالة طيبة من حيث العبادة والإقبال على الخير؛ لكن ما زال معلولًا من جراء ذلك الأمر الذي حصل منه، ولعلكم قد سمعتم بحديث جابر: أن امرأةً كانت تحمل على رأسها جرة، فجاء شاب فدفعها حتى انكسرت جرتها ووقعت على الأرض، ثم ألتفتت إليه وقالت: من لك يوم أن نقف بين يدي الديان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**لَا قَدَّسَ اللهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُها حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا وَهُوَ لَا يُتَعْتِعُهُ**».

﴿ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: ما أنتم فيه من البغي والتطاول والكبر إنما هو متاع الحياة الدنيا ثم يزول، ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ مآبكم، ﴿ فَنُنَبِّئُكُمْ ﴾ نخبركم ونجازيكم: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ليس فقط إخبارًا مجردًا، بل إخبار وعقوبة نسأل الله السلامة

والعافية.

الآية المائة (٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للناس يحثهم ويحضهم ويرغبهم على الاستجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ﴾ ذكرى وعظة: ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الذي خلقكم ورزقكم ويريد لكم التوفيق والهداية، ﴿ وَشِفَاءٌ ﴾ عافية وسلامة ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ القلوب من أمراض الحسد، والغل، والخوف، والكفر، الشك، والنفاق، ﴿ وَهُدًى ﴾ هداية إلى الطريق الصحيح، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ يرحم الله به: ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فهذه الآية دليل على فضل القرآن والعمل به والدعوة إليه.

الآية الواحدة بعد المائة (٣):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:١٠٤].

الشـرح:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ ﴾ في ريب، ﴿ مِنْ دِينِي ﴾ الإسلام، ﴿ فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ من الأصنام والأوثان فإن هذا من الشرك الباطل، والظلم العظيم، والبغي الجسيم، ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ اعبدوا خالقكم، ورازقكم، ومحييكم، ومميتكم، ﴿ وَأُمِرْتُ ﴾ أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ المنقادين لدين رب العالمين، فإذا دعاك المبلطون إلى طريقتهم إياك أن تتشكك أو تضطرب، بل ليكن بينك وبينهم البراءة، والغالب إنما يُصيب الشك ضعيف الإيمان، والعلم، والاستقامة، ومع ذلك أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم أمرهم حتى لا يطمعوا فيه، يعني: ما قال لهم: إن كنتم في شك من دينين علموني، وجهوني انصحوني، لا ولكن: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[يونس:١٠٤]، أنتم في وادٍ ونحن في آخر، نحن على يقين من أمرنا، وعلى يقين من دعوتنا، وكما قال مالك: اذهب إلى شاك مثلك، فالإنسان يكون ثابتا ثبوت الجبال الرواسي، فالإسلام عقيدة وقول وفعل، لكن كثير من الأمور يضطرب فيها الناس؛ بسبب ضعف الاستقامة، يأتيه أحدهم فيُلبس عليه: الديمقراطية عبارة عن شورى وإذا به مع الديمقراطية، بعد أيام يأتيه آخر يقول له: الانتخابات ما هي إلا اختيار الرجل الصالح، ومن باب الحل والعقد وهذا كذب، الانتخابات فيها: مساواة الرجال بالنساء، والأبرار بالفجار، والمؤمنين بالكفار، وتعتمد على الكثرة ما يعتمدون على الكفاءة وعلى الصلاح والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يوسف:١٠٣]، تترشح فلانة المغنية وفلان المطوع، وإذا بالمنتخب المغني والمغنية، والفاسق والفاسقة؛ ولذلك ما تشاهدون من التفلت

الأمني، والتفلت الاقتصادي، والتفلت السياسي؛ بسبب أن الأمر وُسِد إلى غيره أهله أصلًا، بسبب وجود النظام الديمقراطي، هذا النظام الذي فتك بالشعوب والأمم بعد الثورة الفرنسية، وهكذا الثورة الأمريكية، والثورة الإنجليزية، ثم صُدِرَ إلى الثورة المصرية، والثورة المصرية صدرته إلى البلاد الإسلامية، وإلا كانت الديمقراطية في عهد أفلاطون وأرسطو وأبقراط منحصرة في مدينة أثينا اليونانية، كانت دولتهم لا تزيد عن خمسة ألف، إذا زادت عن خمسة ألف واحد يموت، أو يُطرد، أو يُقتل، قالوا: نحن نحكم أنفسنا بأنفسنا فتكون الدولة خمسة ألف؛ وهذا من جلهم، ثم جاءوا في آخر الزمان يريدون أن يُطبقوا هذا النظام وهو نظام طاغوتي، نظام قائم على الإجرام، قائم على الفرقة، قائم على تمزيق وحدة الصف، وإذا تأملنا حقيقته فلا حرية ولا إخاء ولا مساواة مع أن هذه من مبادئهم، حرية للزناة، للكفرة، للوطة، شُرَّاب الخمور، لكن هل يحق للمسلم أن يبني مسجدًا ويحيي فيه السنن؟ هل يجيزون للمرأة أن تخرج بخمارها وحجابها؟ وللرجل أن يُربي أبناؤه وبناته على أحسن القيم وخير الأحوال؟ هل يُجيزون نشر الإسلام؟ الواقع أن هذا غير موجود بل ضده فقل، ومع ذلك يدعون إلى الحرية الفردية، الحرية المُطلقة التي تُجيز للإنسان الشر، أما المسلم فلا قيمة له عندهم، وهكذا يقولون: المساواة وتجد ما عندهم من الاستضعاف للسود الذين هم على مذهبهم وطريقتهم وكفرهم، ما بالك إذا كان هذا الأسود انضاف إليه الإسلام؟ ويدعون إلى الإخاء وهم إنما يدعون إلى أخوتهم الكفرية، وأما البغي على الأمة الإسلامية فحدث ولا حرج، فإذًا: إياك أن تكون متشككًا تشكك البطالين الجاهلين بدين رب العالمين، يعني: شعب مثل اليمن

امتدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «**الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، هرعوا خلف الديمقراطية كأنها الحق الذي لا باطل فيه، وها هي قد أوصلتهم إلى أسوأ الأحوال، وإن لم يتوبوا إلى الرحيم المتعال ستوصلهم إلى أسوأ من ذلك، وقد قال علي بن عبد الله صالح كلمة أصاب في بعضها وأخطأ في آخرها قال: الديمقراطية سيئة، وأسوأ منها عدم وجودها، الكلمة الأخيرة باطلة، والأولى حق وصواب وكان قوله عن تجربة.

وكان شيخنا مقبل رحمه الله تعالى يقول: يا علي عبد الله صالح ستكون أول ضحايا الديمقراطية، وفعلًا الديمقراطية أخرجت له المتظاهرين، وأخرجت له من نزعه من على الكرسي، وأدخلت الحوثيين إلى صنعاء، وأوصلتهم إلى مشارف عدن لولا أن سلم الله عز وجل، قضيتنا في اليمن والفساد الحاصل فيه مع الديمقراطية، وما جاء جراء ذلك فإنما هو امتداد لها وسيئة من سيئاتها، فإذا أراد المسلمون السلامة لدينهم فليعودوا وليتوبوا إلى الله، وليتركوا هذه المبادئ الهدامة مبادئ الشر والفساد.

انظروا إلى فرنسا لما قام أصحاب السترات الصفر بالثورة قمعوهم بالسجون، انظروا إلى أمريكا التي تدعي أنها راعية الديمقراطية حين قام أصحاب ترامب ودخلوا إلى مجلس النواب ما زالوا يُحاكمونهم وأودعوهم السجون، بينما لو قُتل واحد في البلاد الإسلامية أزاحوا الحاكم والوزارات؛ لتعلموا أنهم ما هم حول الشعوب هم حول تدمير الشعوب، وفي المثل البلاء موكل بالمنطق، وهذا مثل عليه أدلته من القرآن والسنة، فعن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: إِنَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، فَتَكَلَّمَ، جَلَدْتُمُوهُ، أَوْ قَتَلَ،

قَتَلْتُمُوهُ، وَإِنْ سَكَتَ، سَكَتَ عَلَى غَيْظٍ، وَاللهِ لَأَسْأَلَنَّ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَتَكَلَّمَ، جَلَدْتُمُوهُ، أَوْ قَتَلَ، قَتَلْتُمُوهُ، أَوْ سَكَتَ، سَكَتَ عَلَى غَيْظٍ، فَقَالَ: «اللهُمَّ افْتَحْ وَجَعَلَ يَدْعُو»، فَنَزَلَتْ آيَةُ اللِّعَانِ: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ هَذِهِ الْآيَاتُ، فَابْتُلِيَ بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَجَاءَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَاعَنَا فَشَهِدَ الرَّجُلُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، ثُمَّ لَعَنَ الْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، فَذَهَبَتْ لِتَلْعَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْ، فَأَبَتْ، فَلَعَنَتْ، فَلَمَّا أَدْبَرَا، قَالَ» لَعَلَّهَا أَنْ تَجِيءَ بِهِ أَسْوَدَ جَعْدًا "، فَجَاءَتْ بِهِ أَسْوَدَ جَعْدًا» متفق عليه .

فكان هؤلاء يقولون: يسقط النظام وفعلًا سقط النظام، فلا نظام في الداخلية، ولا نظام في الأمن، ولا نظام في الصحة، ولا نظام في التربية، ولا نظام في الطرق، ولا نظام في شيء يسقط النظام وسقط النظام .

واعلموا أن كثيرًا من الناس دخلهم الشك والريب فيما هم عليه من الاستقامة من دين الإسلام وأخذوا بمثل هذه الدعوات، وستذهب الديمقراطية ويأتون بغيرها كما كان قبل ذلك الاشتراكية، وكما كانت بعد ذلك الناصرية والبعثية، والآن ينادون إلى العولمة وإلى غير ذلك من المبادئ، فما سينتهي شر الكفار لكن ليكن شعارنا هذه الآية قولًا وفعلًا واعتقادًا: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ من طريقي الذي أعبد الله به، من طريقي الذي أتعامل به مع الغير، من طريقي في معاشي وجميع شأني: ﴿ فَلَا

أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾، وهذا كقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون:٦]، ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ فأستقيم على أمره في ليلي ونهاري، وسري وجهاري، وحضري وسفري وحالهم ما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[الحج:٣٨]، ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: إذا أردت الخير العظيم في الدنيا والآخرة فكن من المؤمنين الموحدين.

الآية الثانية بعد المائة (٤):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾[يونس:١٠٨].

الشـرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أهل مكة وغيرها ممن يصلهم خطابك: ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ ﴾ وهو القرآن والإسلام، ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الذي خلقكم ورزقكم، ﴿ فَمَنِ اهْتَدَى ﴾ استقام على الإسلام وأخذ به، ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ وينفع نفسه وإلا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ غني عن العالمين، كما في الحديث الآخر: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[فاطر:١٥]، ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ انحرف، ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ يظلم نفسه وإلا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يضره ذلك: «يَا

عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ بحفيظ لأعمالكم إنما يحفظها الله عَزَّ وَجَلَّ فيجازيكم عليها يوم القيامة .

وتأملوا أن جميع النداءات في سورة يونس: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾؛ لأن السورة مكية؛ ولأن الأمور التي تدعو إليها هذه الآيات أمور عامة يشترك فيها المؤمنون والكفار، فكلهم بحاجة إلى ترك البغي، وكلهم بحاجة إلى سماع الموعظة والذكرى، وكلهم بحاجة إلى ترك الشك والريب حتى يقع منهم الإسلام والانقياد، وكلهم يُخبر بأن أعمالهم لأنفسهم، والله عَزَّ وَجَلَّ حين أمرهم بها لم يأمرهم لحاجته إليها؛ لأن الإنسان بطبيعته إذا شعر أن غيره يحتاج إليه ربما يأخذه شيء من العزة، حتى الابن إذا رأى الأب يحتاج إليه ربما تجد الابن يتعالى قليلًا، والزوجة إذا رأت الزوج يحتاج إليها ربما يجد منها ذلك، لكن إذا رأوه مستغنيا يتوددون إليه، ولله المثل الأعلى يعني: عبدته أو كفرت به هو غني عنك إنما تنفع نفسك بعبادتك له، وتضر نفسك بكفرك به، تنفع نفسك بطاعتك له، وتضر نفسك بمعصيتك له.

سورة هود

مكيّة — آياتها (١٢٣)

الآية الثالثة بعد المائة (١):

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[هود:٤٤].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للسماء وهي غير مكلفة، وللأرض وهي غير مكلفة لكن لا مانع أن تسمع نداء الله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء:٤٤].

﴿ وَقِيلَ ﴾ أي: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ اشربي ما فيك من الماء وصيريه إلى جوفك، ﴿ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ أمسكي الماء الذي ينزل منك، ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ ذهب واختفى بعد أن كان قد غطى البسيطة، ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ في إهلاك الكافرين، ﴿ وَاسْتَوَتْ ﴾ السفينة وعلت ﴿ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ جبل الجودي، قرب الموصل والله أعلم، ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ سحقًا وهلاكًا: ﴿ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الكافرين في الدنيا والآخرة .

الآية الرابعة بعد المائة (٢):

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[هود:٤٦].

الشـرح:

لما قال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾[هود:٤٥]، ﴿

﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي: ليس على عملك وطريقتك، وليس من المسلمين، ولا يعني هذا أنه ولد زنا معاذ الله فنساء الأنبياء مصونات عن هذا الأمر، وإنما ليس من أهل الأعمال الصالحة وليس من أهل الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ وفي قراءة: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيرَ صَالِح) أي: عمله غير صالح ومثل هذا لا يُرفع عمله إلى السماء ولا يُسلم، ﴿فَلا تَسْأَلْنِ﴾ تطلب مني ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ نهي أن يسأله ما لا يجوز له، وإذا كان هذا العتاب لنبي كريم وأحد أولي العزم من الرُسل فكيف بغيره ممن قد يتجرأ على الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي هذا دليل على أن الرؤية جائزة لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يعتب على موسى لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]، أي: في الدنيا، بينما نوح لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾[هود:٤٥]، قال: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ﴾ أُذكرك: ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

ثم قال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود:٤٧].

الآية الخامسة بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[هود:٤٨].

الشـرح:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ﴾ هذا نداء من الله لنوح حين أغرق الكفار، ﴿اهْبِطْ﴾ من السفينة،

﴿ بِسَلَامٍ ﴾ سلامة: ﴿ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ عظيمات وهبات جليلات بعد أن سلمهم، ﴿ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ أي: من المسلمين طوائف، ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ إلى أجل مسمى وهم الكفار، ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ شديد موجع في الدنيا والآخرة .

الآية السادسة بعد المائة(٤):

قال تعالى:﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[هود:٧٦].

الشـرح:

وذلك: أن إبراهيم عليه السلام لما أخبره الله بهلاك قوم لوط أخذته الشفقة عليهم، فالأنبياء والرُسل عندهم رحمة وشفقة على أممهم ويؤملون الهداية لهم؛ لكن لله عَزَّ وَجَلَّ الحكمة البالغة والحجة الدامغة إذ يُهلكهم إذا جاء أجلهم وحصل كفرهم وإعراضهم.

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ النبي الكريم والرسول العظيم، ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ السؤال والاعتراض عن إهلاك قوم لوط، ﴿ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بعذاب قوم لوط وهلاكهم، ﴿ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ عنهم، وفعلًا صبحهم الله عَزَّ وَجَلَّ بعذاب فجعل عاليها سافلها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢] .

سورة الحجر

مكية — آياتها (٩٩)

الآية السادسة بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[الحجر:٣٢].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لإبليس اللعين حين أبى أن يسجد لآدم عليه السلام عاتبه الله و: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ ﴾ وهو من الجن، ﴿ مَا لَكَ ﴾ ما الذي يمنعك: ﴿ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[ص:٧٦]، وهنا يقول: ﴿ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[الحجر:٣٣].

ونستفيد من هذا النداء : أن المُعرض عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ يُخشى عليه، إذا كان إبليس طُرد من الرحمة وصار كافراً بسبب تمرده عن سجدة امتنع عنها فكيف بالذي لا يُصلي بالمرة، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يعتمر؟ وكيف كذلك بالمشركين المنددين؟

سورة مريم

مكية — آياتها (٩٨)

الآية السابعة بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[مريم:٧].

الشـرح:

كان هذا النداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لزكريا عليه السلام حين سأله الولد: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم:٥-٦].

قال: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ ﴾ نخبرك بأنه سيكون لك غلام: ﴿ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يكن أحد قد سُميَّ بهذا الاسم من قبل.

وفعلًا خلق الله هذا الغلام وأوجده بعد أن كان أبواه في ضعف شديد: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[مريم:٨-٩].

الآية الثامنة بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[مريم:١٢-١٥].

الشـرح:

﴿ يَا يَحْيَى ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ ليحيى بعد أن أوجده وخلقه، ﴿ خُذِ الْكِتَابَ ﴾ التوراة، ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ اعمل بها وطبقها واستقم عليها، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ لموسى عليه

السلام: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾[الأعراف:١٤٥]، وقال لبني إسرائيل: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾[البقرة:٦٣]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ آتاه النبوة والحكمة وكان صبيًا صغيرًا.

وأيضًا: ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ تحنن الله عليه وأكرمه، ﴿ وَزَكَاةً ﴾ زكاة ووفقه وسدده، ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مراقبًا لله في السراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ٣٩] .

مع ذلك ﴿ وَ﴾ وهو ﴿بَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ طائعـًا لهما، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ﴾ في نفسه ﴿جَبَّارًا ﴾ عاصيًا معرضًا متعاليـًا، ﴿ عَصِيًّا ﴾ شديد العصيان.

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي: أنه سالم من النقائص والعيوب الخاصة بالإنسان في هذه الحالات، وقد قُتِلَ عليه السلام، وذكروا في سبب قتله أمورًا منها: أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أراد أن يتزوج بعض محارمه فنهاه فذبحه لذلك.

الآية التاسعة بعد المائة(٣):

قال تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[مريم:٥٢].

الشــرح:

وهذا في حق موسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[مريم:٥١-٥٢].

﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ النداء بصوت عالٍ مرتفع، والنجاء من صوت قريب خافت، ففي هذه الآية: إثبات صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه متكلم بحرف وصوت متى شاء وكيف شاء بما شاء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]، والطور قد يراد به الطور الجبل القريب من بيت المقدس، وقد يُراد به الجبل المغُطى بالعشب والشجر وهكذا طور سيناء الذي هو الجبل الذي في سيناء، وهذا المراد في هذا الموطن، والله أعلم .

وكان مما نداه الله به: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٤، ١٥] .

سورة طه

مكيّة — آياتها (١٣٥)

الآية العاشرة بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[طه:١١-١٢].

الشـرح:

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾ أي: لما أتى النار حيث ذهب لأخذ نار لزوجته تستدفئ بها وتُنير له الطريق، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٧ – ٩]، فلما أتى تلك النار: ﴿ نُودِيَ ﴾ ناداه الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا مُوسَى ﴾ نبي بني إسرائيل، ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ هذا دليل على أن المتكلم هو الله ما هي الشجرة، فلو كانت الشجرة كما يقول المعطلون المبطلون لقالت: يا موسى ربك الله، لكن هذا يقول: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾[طه:١٤]، ثم يأتي المبتدعة ويقولون: المتكلم هي الشجرة، أو كلام خلقه الله في الشجرة نعوذ بالله من الضلال، ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ بعضهم استدل بهذه الآية على عدم جواز الصلاة في النعال وهذا قول الجهلاء، وإلا فالصلاة في النعال متفق عليها حتى عند الشيعة، ذكرها الهادي يحيى بن حسين المعتزلي في كتابه الأحكام، ولكن من جهل شيء عاداه، بعضهم قال: قال له: ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ لأنها من جلد حمار ونحو ذلك ولا دليل إلا أن الله أمره أن يخلع نعليه فيتعبد لله بخلع النعلين، ونحن أمرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم أن نصلي في نعالنا فمن السنة الصلاة في النعال، ومع ذلك إذا كانت ستُحدث فتنة لجهل الناس فلا يُصلى فيها، لكن ينبغي أن نعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حافيًا ومتنعلًا وقال: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ وَصَلُّوا فِي نِعَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا فِي خِفَافِهِمْ**» أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال

بعض أهل العلم: لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حافيًا ومنتعلًا لكانت الصلاة في النعال واجبة لهذا الحديث: "خالِفُوا اليهودَ فإنَّهم لا يُصَلُّون في نِعالِهم ولا خِفافِهم" أخرجه أبو داود عن شداد بن أوس رضي الله عنه، ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وادي قريب أو في بلاد الشام، لكن لا يجوز أن يُشد إليه الرحل لحديث: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولما ذهب أبو هريرة رضي الله عنه أنكر عليه أبو بصرة الغفاري قال: لو علمت ما تركتك تذهب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» أخرجه أحمد، فلا تُشد الرحل لا إلى جبل الطور ولا إلى الخليل، ولا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى قبر هود ولا إلى غير ذلك من القبور.

الآية الحادية عشرة بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ [طه:٤٠].

الشـرح:

هذا إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ بما كان من شأن موسى بعد أن ألقته أمه في التابوت، فألقاه اليم عند بيت فرعون، فأخذه فرعون بمشورة امرأته على أن يُربيه عسى أن

ينفعهم أو يتخذونه ولدًا: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[القصص:١١]، يعني: تلمسي خبره.

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ ﴾ لأنه أبى أن يرضع من المرضعات اللاتي قُدمن له، وهذا من رحمة الله حتى يُرد إلى أمه، ﴿ فَرَجَعْنَاكَ﴾ رددناك ﴿إِلَى أُمِّكَ ﴾ إكرامًا لك ولها، ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ برجوعك وسلامتك من القتل، بل وفرعون يُعطي النفقة، وهذا من عجيب مكر الله بالكافرين، ففرعون ذبح بني إسرائيل خوفًا من هذا الغلام، ثم لما جاء الأمر الموعود وإذا بالغلام يُربى في بيته ويُعطي نفقة تربيته ويقوم على شأنه، فإذا أراد الله شيئًا أمضاه، ﴿ وَلا تَحْزَنَ ﴾ لشدة حزن الأم ووجدها على ولدها، فإذا أذهب الله منك الحزن هذه نعمة عظيمة، ﴿ وَ) اذكر إذ ﴿قَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ أي: بعد أن بلغ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾[القصص:١٤-١٥]، ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ سلمه الله مما كاد يلحقه من الهلكة حيث خرج إلى مدين، ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ جاء في هذه العبارة حديث ابن عباس وهو حديث طويل ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والحديث فيه ما يثبت وفيه ما لا يثبت، وبعضهم يجعله مرفوعًا وبعضهم يجعله من قبيل الموقوف، وكثير مما فيه من العبارات يدل عليها ظاهر القرآن، ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ كثيرة ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ الله أعلم بُعدها، منها عشر سنين يرعى لهم وتزوج فيهم، ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ رجعت على أمر قد قدره الله، فيجوز أن تأتي بالنداء قبل الكلام

ويجوز أن تأتي به بعد الكلام: يا موسى اذكر: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ ﴾ ويجوز أن تقول كما في هذا: ﴿ يَا مُوسَى ﴾ وقصة موسى من القصص العظيمة التي لو تدبرها الناس لعلموا عظيم ما يقاسيه الأنبياء والمرسلون من أجل تبليغ دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

الآية الثانية عشر بعد المائة(٣):

> **قال تعالى:** ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[طه:٨٠-٨١].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ ممتنًا على بني إسرائيل: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ ﴾ نجيناكم، ﴿ مِنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون، ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ يعني: على أن يقع منهم التوبة والإنابة ورفع الله عليهم الطور حتى يدخلوا في الباب سُجدًا ويقولون: حطة فأبوا أن يقولوا ذلك، وطلبوا النظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، فَصُعِقُوا ثم أحياهم الله، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ ﴾ شيء مثل العسل، ﴿ وَالسَّلْوَى ﴾ طائر السُّمَّاني أو قريب منه فكانوا يشربون من العسل الذي هو المن، ويأكلون من اللحم، ومع ذلك ما أعجبهم فطلبوا من قثائها وثومها وعدسها وبصلها، والطور: هو كل جبل عليه شجر، ﴿ كُلُوا ﴾ الأمر للإباحة والامتنان، ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ ﴾ حلالات: ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ أعطيناكم، ﴿ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ من الطغيان: وهو مجاوزة الحد، ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ ﴾ ينزل بكم: ﴿ غَضَبِي ﴾ إثبات صفة الغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ أي: من غضب الله عليه فقد هلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الزخرف:٥٥]، فالله عَزَّ وَجَلَّ يرضى عن المؤمنين ويدخلهم دار رضوانه، ويغضب على الكافرين ويعذبهم بالمهانة في النار والجحيم.

الآية الثالثة عشرة بعد المائة(٤):

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[طه:١١٧].

الشــرح:

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ هذا خطاب من الله عَزَّ وَجَلَّ لآدم عليه السلام محذرًا له من إبليس: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ﴾ يتربص بك الدوائر، ﴿لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ أيضًا، ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بمكره ووسوسته وتلبيسه، ﴿فَتَشْقَى﴾ يلحقك الشقاء في الدنيا، وفعلًا استطاع أن ينتصر في هذا وأكل آدم من الشجرة، فأهبطه الله عَزَّ وَجَلَّ وامرأته إلى الأرض، وأُمر الناس بالتكليف عند ذلك، فمن أطاع الله دخل الجنة، ومن عصاه وكفر كان من أهل النار.

وكان بعد ذلك وعد من الله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[طه:١١٨-١٢٠]، ولكن الواقع فيما وقع فيه لحكمة أرادها الله، وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى،

اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ " فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» متفق عليه.

سورة الأنبياء

مَكيّة — آياتها (١١٢)

الآية الرابعة عشرة بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[الأنبياء:٦٩].

الشــرح:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ وذلك: حين ألقوا إبراهيم عليه السلام في النار؛ لإحراقه بسبب تكسيره لأصنامهم وآلهتهم فسلمه الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا هو النداء الثاني من الله عَزَّ وَجَلَّ لغير المُكلفين في القرآن، تقدم معنا: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[هود:٤٤]، وهذه الآية الثانية.

سورة الحج

مَدَنيّة — آياتها (٧٨)

الآية الخامسة عشرة بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج:١-٢].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للناس بتقواه، والدخول في دينه، والأخذ بأمره، والابتعاد عن نهيه وزجره، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ بمعنى: اعبدوا ربكم ووحدوه بالتزام المأمور وترك المحظور، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾ أي: ما يقع من الزلازل يوم القيامة والأهوال: ﴿ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ مهول شديد على الأنفس.

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ تذهل المرأة المرضع عن ولدها بينما في الدنيا قد تحرق نفسها في سلامة ولدها، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ تضع الحوامل ما في بطونها، ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ﴾ أي: في مشيهم وفي تصرفاتهم؛ لشدة الأهوال التي تنزل بهم ولا يتحملونها، ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ وهذا حين يُنادي الله عَزَّ وَجَلَّ آدم فيقول: «يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الْمَوْلُودُ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج: ٢]، قَالَ: فَيَقُولُونَ: فَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَمِنكُمْ وَاحِدٌ»، أو كما قال صلى الله عليه

وسلم من حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين وجاء عن غيره.

الآية السادسة عشرة بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[الحج:٥].

الشــرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ في شك، ﴿ مِنَ الْبَعْثِ ﴾ والنشور يوم القيامة: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ فالدليل على البعث والنشور: أنا خلقناكم: ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ولا يعجز الله شيء، وهذه خلقة آدم عليه السلام، ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ وهو ما يقع من التناسل بين الذكر والأنثى حيث تختلط ماء الرجل بماء المرأة فتكون مشيج، ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهي مثل قطعة اللحم الصغيرة التي تكون من الدم، ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ قطعة لحم بغير عظام، ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ مصورة وغير مصورة، ثم بعد ذلك يخلق الله عَزَّ وَجَلَّ العظام ويتكون الإنسان على هيئته وشكله: ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ لنوضح ونجلي لكم قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ يبقى في الرحم تسعة أشهر وربما ستة أشهر، وربما فوق ذلك ودون ذلك لكن هذا أقل الحمل ستة أشهر والمعتاد تسعة أشهر، ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ معلوم يعلمه الله، وقد

أعلم به الكتبة، فعن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا " متفق عليه، ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ صغيرًا يحتاج إلى رعاية وقيام بشأنه لا يستطيع أن يُزيل الأذى من نفسه، ولا يستطيع أن يصلح له مكانًا لنومه، ولا يستطيع أن يفعل شيئا بل ربما لو دخل عليه قط لأكله في ذلك الحال، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ يحفظه ويرعاه برعاية أمه له حتى أنها تقوم من الليل عدة مرات؛ لإرضاعه ولإصلاح شأنه ولا تمل وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بالطفل، ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ تبلغوا الحُلم والعقل، فلا يلزم من البلوغ بلوغ الأشد، فقد يبلغ الأشد في أربعين سنة، في ثلاثين سنة في أقل في أكثر، والبلوغ ربما كان في خمسة عشر سنة، ﴿ وَمِنْكُمْ ﴾ من الناس: ﴿ مَنْ يُتَوَفَّى ﴾ يموت قبل أن يصل إلى الهرم يموت شابًا أو طفلًا أو كهلًا، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ يعود إلى أدنى العُمر حتى لا يستطيع أن يُطهر نفسه ولا أن يغسل ثوبه ولا يفقه شيئًا من أموره، والنبي **صلى الله عليه وسلم** كان يستعيذ من هذا الحال بقوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْهَرَمِ» متفق عليه، ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ينسى العلوم والفهوم، وربما أُصيب بأمراض تؤدي إلى نسيانه لأهله،

وإلى نسيانه لما هو عليه، وامرأة كانت بمكة وتتخيل أنها في خيمة وأن الغبار دخل البيت وتكلمهم هكذا غلقوا الباب من الغبار، أزيلوا الغبار، وحين يدخل عليها ولدها ما تدري أنه ولدها، ويدخل عليها زوجها ويخاطبها ما تدري أنه زوجها، فالإنسان إذا لم يحفظ الله عَزَّ وَجَلَّ له عقله يعود إلى أرذل العمر، ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ يابسة قاحلة لا خضرة فيها ولا ماء، ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ﴾ المطر، ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ أنبتت عشبها واخضرت أشجارها: ﴿ وَرَبَتْ ﴾ ظهرت بركتها، ﴿ وَأَنْبَتَتْ ﴾ رد الإنبات إليها من حيث: أنها محل النبات وإلا المنبت هو الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ جميل في منظره وفي مطعمه ومخبره.

فهذه الأدلة تدل على أن الله قادر على أن يحيي الموتى من بعد موتهم وتغير أحوالهم.

الآية السابعة عشرة بعد المائة(٣):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[الحج:٤٩-٥٠].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ يا أهل مكة ويدخل فيها بقية الناس، ﴿ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ ﴾ أخوفكم من عذاب الله وبطشه، ﴿ مُبِينٌ ﴾ بكلام واضح بيّن لا إشكال فيه، ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد **صلى**

الله عليه وسلم نبيًا، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ انقادوا ظاهرا وباطنا بالأعمال الصالحة، ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ تجاوز عن العيوب وستر لها، وتوفيق لما في المستقبل، ﴿ وَرِزْقٌ ﴾ رزق حسي: وهو المال والبنون وما إليهم، ورزق معنوي: وهو العلم والعمل والإيمان، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ عظيم النفع، وقد تُفسر الآية: بأن لهم الجنة، وتُفسر بزيادة إيمانهم.

الآية الثامنة عشرة بعد المائة(٤):

> **قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾**[الحج:٧٣].

الشــرح:

هذا مثل ضربه الله عَزَّ وَجَلَّ لعباد الأصنام والأوثان فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وعوه وتدبروه، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ تعبدون، ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ من الأصنام والأوثان، ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ﴾ يوجدوا من العدم: ﴿ ذُبَابًا ﴾ هذا الكائن الصغير الضعيف الحقير، ﴿ وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ لو اجتمع من بأقطارها فضلًا عن هذه الحجارة الصماء البكماء، ﴿ وَ ﴾ **مما يدل على عجزهم** ﴿إِنْ يَسْلُبْهُمُ﴾ **يأخذ عليهم** ﴿الذُّبَابُ شَيْئًا ﴾ ولو يسيرًا، ﴿ لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ مع أنه بين أيديهم، ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ الذي يريد أن يتحصل على ما فقد وهو الصنم، ﴿وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ضعف المطلوب وهو الذباب، وهؤلاء يعبدون أصنامًا لا تنفع ولا تضر ضعيفة، ويتركون

عبادة الواحد القهار مصرف الليل والنهار الذي لا يُعجزه شيء.

الآية التاسعة عشرة بعد المائة(٥):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج:٧٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ استجابوا لله، ﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ أي صلوا، وإنما ذُكر الركوع والسجود؛ لأنه أشهر أركان الصلاة، ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ وحدوه وأفردوه بما يجب له، ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ في جميع شأنكم، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ في ديناكم وأخراكم.

وهذه آية عامة جامعة: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فالصلاة خير، والتوحيد خير، الصدقة خير، والنصيحة خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خير، وطلب العلم من أفضل الخير، وبر الوالدين خير، وصلة الأرحام خير، والإحسان إلى الجيران خير فكل ما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به ففعله خير، وكل ما نهى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه فتركه خير: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، تحصلون على المطلوب وتأمنون من المرهوب، والله المستعان .

سورة المؤمنون

مكية — آياتها (١١٨)

الآية العشرون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[المؤمنون:٥١].

الشـرح:

جاء في حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**: «وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[المؤمنون:٥١]. وَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[البقرة:١٧٢]» **أخرجه مسلم** .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾ جمع رسول: وهو من أرسله الله عَزَّ وَجَلَّ بشرع يدعو الناس إلى توحيده وإلى إفراده بما يجب له، ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ الحلالات التي أباحها الله لكم وأذن لكم فيها، ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ بادروا إلى الطاعات والقربات والمبرات،﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فيجازيكم على أعمالكم الصالحة.

سورة النور

مَدَنية — آياتها (٦٤)

الآية الواحد والعشرون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور:٢١].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أقروا لله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ﴿ لا تَتَّبِعُوا ﴾ تتابعوا: ﴿ خُطُوَاتِ ﴾ فتن وزلات وبلاوي: ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ الرجيم إنه عدو لكم، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ منكم، ﴿ فَإِنَّهُ ﴾ أي الشيطان أو المتابع له ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ما فحش من القول والفعل، ﴿ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ما أنكره الشرع وأشده الشرك، ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وهدايتكم وتوفيقكم إلى الإسلام والخير، ﴿ وَرَحْمَتُهُ ﴾ لكم بإخراجكم من الشرك والضير، ﴿ مَا زَكَا ﴾ طهر وصلح ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ ما وقعت الزكاة لأحدكم، كان الإنسان بعيد عن سماع الحق والهدى وقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾[الأعلى:١٤]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[الشمس:٩]، وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا**» أخرجه مسلم، وقد قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[الجمعة:٢]، في آيات كثيرات يُخبر الله عَزَّ وَجَلَّ: أنه أرسل رسله لزكاة العباد، فلولا توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ يكون كافرًا، مشركًا، مبتدعًا، منددًا نسأل السلامة، ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي ﴾ يوفق ويهدي ويرشد: ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده ممن علمه أهلًا، ﴿ وَاللهُ سَمِيعٌ ﴾ لدعاء عباده، ولأقوالهم، ﴿

﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

الآية الثانية العشرون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النور:٢٧].

الشـرح:

وهذا من آداب الاستئذان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ معناه: أن بيوتكم تدخلونها بدون إذن، ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ تستأذنوا، ويُسلم وهو على جانب من الباب لا يُطلق بصره إلى الداخل، وقد قال رسول الله صلة الله عليه وسلم: «إنما جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر» متفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وطريق الاستئذان أن يقول: السلام عليكم أنا فلان إن احتاج إذا ذكر اسمه أأدخل، ف عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَأَلِجُ (٣) ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ: " اخْرُجِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الِاسْتِئْذَانَ، فَقُولِي لَهُ: فَلْيَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ؟ "، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟ قَالَ: فَأَذِنَ، أَوْ قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: بِمَ أَتَيْتَنَا بِهِ؟ قَالَ: " لَمْ آتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، أَتَيْتُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» الحديث أخرجه أحمد .

فإن أذنوا له دخل وإلا رجع، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: «**الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ**»، ﴿ وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ حتى يدخل عليهم الأُنس والسلامة، إلا إذا كان قد أُذِنَ لك إذنًا مُطلقًا كما أذن النبي **صلى الله عليه وسلم**

لعبد الله بن مسعود قال له: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ» أخرجه مسلم، أما إذا وجد الحجاب مسدول على باب الباب لا يدخل، فبعضهم يقول: يا أخي ادخل متى شئت؛ لكن بشرط: أن يكون من محارم النساء حتى لا يدخل على نساء الناس، أو يكون في مجلس لا اختلاط فيه ولا دخول على المحارم، ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أي: الاستئذان والسلام، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون.

﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[النور:٢٨]، ما تقول لماذا ردني؟ قد يكون مشغولاً، وقد يكون مريضاً، وقد يكون بيته ضيقاً.

ثم قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾[النور:٢٩]، لا بأس إذا كان مثل المجلس، ومثل سكن الطلاب، والمكتبة أمور عامة؛ لكن مع العفة، مع عدم الأذى للغير.

الآية الثالثة والعشرون بعد المائة(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[النور:٥٨].

الشـرح:

وهذه آية جامعة في طريقة الاستئذان في البيوت حتى لمن هو من أهل الدار: ﴿ يَا

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ قد يكون الرجل مع زوجته في وضع لا يجوز لأحد أن يدخل عليه، ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ﴾ أيضًا يستأذنوا في بعض المواطن، مع أنه مثلًا: يجوز له أن يدخل؛ لكن بعض المواطن تحتاج إلى استئذان: مواطن القيلولة، النوم، ﴿ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ﴾ كانت قيلولاتهم ورحاتهم في تلك الأوقات، ﴿ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ ﴾ لأن الإنسان قد يكون نائمًا مع أهله، أو أبناؤه أو بناته نائمات، وربما النائم يقع منه ما يقع من خروج بعض جسمه ونحو ذلك، فيحتاج أن يستأذن حتى وإن كان يجوز له الدخول مُطلقًا لكن يستأذن، فأبو هريرة رضي الله عنه كان يستأذن على أمه، ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ القيلولة، ﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ﴾ لأن هذه مظنات؛ لأن يكون الرجل على حال يحتاج فيه إلى ستر نفسه، ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ هذا إذا كانوا محارم، أما غير المحارم فلا يجوز أن يدخل على النساء لا في هذا الوقت ولا في غيره؛ ﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: يطوف بعضكم على بعض صغار السن، وهكذا الموالي والعبيد، والإماء، ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ ﴾ يوضع ويُجلي لكم: ﴿ الآيَاتِ ﴾ البينات الشرعيات، ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ بما يصلحكم، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أمره ونهيه.

ثم كانت التتمة: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[النور:٥٩]، يعني: إذا كَبُرَ الأطفال وخرجوا عن سن الصغر يستأذنوا كغيرهم.

وسورة النور هي سورة الآدب ففيها آداب جميلة عظيمة، لو أخذ الناس بها لصلح

حالهم ومآلهم .

مكيّة **سورة النمل** آياتها (٩٣)

الآية الرابعة والخامسة والسادسة والعشرون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[النمل:٩-١٠].

الشـرح:

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ النار ﴿ نُودِيَ﴾ ناداه الله ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي أن هذا محل مقدس ﴿ وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عن النقص والعيب .

﴿ يَا مُوسَى ﴾ نداء لكليمه موسى عليه السلام، ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللهُ ﴾ أي: المتكلم حقيقةً هو الله: ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ القوي الغالب، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره وفعله.

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ آية بينة على أنك رسول كريم، ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴾ بعد أن كانت يابسة، ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ كأنها ثعبان، ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع يعني: ولى إلى الخلف خشي على نفسه من تلك الحية، ﴿ يَا مُوسَى ﴾ ناداه الله مرة أخرى: ﴿ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[النمل:١١]، والمعنى لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف الظالمون .

مكية	# سورة القصص	آياتها (٨٨)

الآية السابعة والعشرون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[القصص:٣٠-٣٥].

الشـرح:

هذا في شأن موسى عليه السلام حيث رأى النار: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ﴾، ناداه الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ مِنْ شَاطِئِ ﴾ جانب: ﴿ الْوَادِ الأَيْمَنِ ﴾ الجهة اليمنى للوادي، ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ﴾ ومن بركتها: سماع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ منها، وحصول الخير لموسى عليه السلام عندها، ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي: لم تكن الشجرة هي المتكلمة ولكن المتكلم هو الله حيث قال: ﴿ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فلو كانت الشجرة هي المتكلمة كما يقول المبتدعة؛ لكان الخطاب: يا موسى إن الله ربُّ

العالمين .

ثم أمره الله: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ جاء في سورة طه: أنه سأله: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[طه:١٧-٢٠]، ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴾ تضطرب في الأرض، ﴿ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ ثعبان عظيم، ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ خائفًا، ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يلتفت ويرجع، ﴿ يَا مُوسَى ﴾ ناداه الله مرةً أخرى، ﴿ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ لا يُصيبك شر ولا بلاء.

ثم جعل الله له آيةً أخرى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ والجيب: هو مقدمة الرداء الذي على الصدر، كما قال تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور:٣١]، أي: مقدمة الصدور، ﴿ تَخْرُجْ ﴾ يدك ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ من غير برص؛ لأن البياض الشديد برص وهو مرض؛ لكن هذه تخرج بيضاء مضيئة تدل على أنها آية، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ إذا تخوفت اضمم إليك جناحك يعني: اليدين تُضم فيذهب الخوف، ﴿ فَذَانِكَ ﴾ الذي تقدم: ﴿ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ آيتان من ربك ، العصا تحولت إلى حية، وهكذا إدخال اليد في الجيب، ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ حاشيته، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ كافرين.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ وذلك: أنه قتل القبطي خطأ.

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ يقولون: هذه أعظم شفاعة في التاريخ؛ لأنه شفع فيه أن يكون نبيًا رسولًا، فاستجاب الله شفاعته، قيل: السبب في لثغة موسى عليه السلام: أنه أكل من الجمرة في بيت فرعون والله أعلم، ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِي ﴾ كما

قال: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾[طه:٢٩-٣٤]، وبهذه الآية استدل العلماء على أن الداعي إلى الله يحتاج إلى من يعينه ويناصره ويكون معه: ﴿ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ أي: يكون لي ردئًا وعونًا يصدقني فيما أقول، فإذا قلت لهم: إني رسول الله يقول: نعم هو رسول الله، ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾.

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ نقويك بأخيك، ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ حجة ظاهرة، ﴿ فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ بأذى، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة طه: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[طه:٤٦]، وعدهم ألا يُصابا بأذى لا قتل، ولا ضرب، ولا سجن، وهذا والله من الآيات العظيمات ففرعون الذي بلغ به البطش أن يقتل الأطفال الصغار لم يرحم ولم يشفق عليهم، يأتي عنده موسى وهارون ليسا معهما حرس ولا سلاح ولا شيء، ويدعوانه إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ وهو يزعم أنه الرب، ومع ذلك لم يصل إليهما منه أذى؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد وعد بحفظهما: ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾ حججنا الظاهرة، ﴿ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ لفرعون ومن معهم، وفعلًا أغرقهم الله بعد ذلك.

الآية الثامنة والتاسعة والعشرون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ

كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ﴾[القصص:٦٢-٦٦].

الشـرح:

﴿ وَ ﴾ اذكر يا محمد: ﴿ يَوْمَ ﴾ القيامة حين: ﴿ يُنَادِيهِمْ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ من أين الأصنام، والأوثان، والآلهة التي زعمتم أنها شريكة لي؟ ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ بقولكم: أنهم آلهة وأنهم ينفعونكم ويشفعون لكم.

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ الكفار: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ هؤلاء الذين كنا السبب في إغوائهم: ﴿ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ حرفناهم عن الصراط المستقيم كما كنا منحرفين عنه، وهذه من البراءة، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾[البقرة:١٦٦-١٦٧]، وهذا يحصل كثيرًا: فالشيطان يتبرأ من عباده وأعوانه، وهكذا الكفار كل يتبرأ: ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾[سبأ:٣١-٣٣]، ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ برأ بعضهم من بعض لكن هذه البراءة لا تنفع، في ذلك اليوم ولو كانت في الدنيا كانت نافعة، أما في

الآخرة: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف:٦٧]، ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ هذه المعبودات تقول: ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾، كما جاء في قوله: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾[سبأ:٤١]، فكانت عبادتهم للجن؛ ولذلك فقد كانوا يسمعون من الأصنام والحجارة كلامًا، وربما يجدون منها شيئًا فالجن تدخل في تلك الحجارة كما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لهدم العزى: فَأَتَاهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَتْ عَلَى تِلَالِ السَّمُرَاتِ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّدَنَةُ ـ وَهُمْ حُجَّابُهَا ـ أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى خَبِّلِيهِ، يَا عُزَّى عَوِّرِيهِ، وَإِلَّا فَمُوتِي بِرَغْمٍ، قَالَ: فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى»، أي: أنه قتل العزى، فهي كانت شيطان داخل الشجر، وربما يأكلون بعض طعامهم، وربما نادوهم، فكانوا يعبدون الجن في الحقيقة .

﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ يقال لهم: ادعُ شركاؤكم يشفعون لكم، ينجوكم من هذا العذاب، ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ كما كانوا في الدنيا لا ينفعون ولا يضرون، كذلك في الآخرة لا ينفعون ولا يضرون، ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ عيانًا حيث تُسحب النار لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وقد قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾[الشعراء:٩١]، انظر إلى هذا الموقف حين يجتمعون في ذلك الصعيد يرون النار تُسحب إليهم سحبًا وتقرب إليهم ليلقوا فيها،

ولكن ليس لهم إلا أن يبقوا، ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ إلى سبيل السلامة لكن لا سلامة.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ لإقامة الحجة عليهم، ﴿ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين أرسلتهم إليكم.

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ اختلفت عليهم الأنباء والاعذار، بعضهم يقولون: ﴿ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ ﴾[المائدة:١٩]، وبعضهم يقول: ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾[السجدة:١٢]، وبعضهم يقول: كنا وكنا، ﴿ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وجاء في بعض المواطن: أنهم يتساءلون، فيُحمل على أنهم في هذا الموطن لا يتساءلون، وفي بقيتها يتساءلون.

الآية الثلاثون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ للهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[القصص:٧٤-٧٥].

الشــرح:

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يُخبر تعالى ويُكرر أنهم يناديهم: ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ من الأصنام: ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الذين كنتم تدعونهم وتعبدونهم وتتوسلون بهم.

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ عليهم من أنفسهم، فالأنبياء يشهدون على أممهم، وأمة محمد تشهد على جميع الأنبياء، والملائكة يشهدون، وكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فيه ما

كان من شأنهم، ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا ﴾ هلموا: ﴿ بُرْهَانَكُمْ ﴾ على أن لله شركاء ونظراء ومثلاء، ﴿ فَعَلِمُوا ﴾ عند ذلك ولا ينفعهم هذا العلم: ﴿ أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ هو الإله المعبود بحق، ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ذهب عنهم وتولى: ﴿ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ يكذبون.

سورة العنكبوت

مكيّة — آياتها (٦٩)

الآية الواحدة والثلاثون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت:٥٦].

الشــرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين إذا ضُيق عليهم في بلدة أن ينتقلوا إلى بلدة أخرى لعبادته؛ وليبشروا من الله عَزَّ وَجَلَّ بالفرج والرزق الواسع الهني والخير العميم العظيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]، ﴿ يَا عِبَادِيَ ﴾ المراد بها العبادة الممدوحة التي هي عبادة التذلل والخضوع، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ انقادوا، ﴿ إِنَّ أَرْضِي ﴾ التي هي ملكه يتصرف فيها كيف يشاء ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف:١٢٨]، ﴿ وَاسِعَةٌ ﴾ يمكنكم الفرار بدينكم، وفعلًا

الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن جاءتهم مثل هذه الآيات فروا بدينهم إلى الحبشة، وفروا بدينهم إلى المدينة، ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ وحدون.

قال الحافظ في فتح الباري (٦/ ١٩٠) تحت حديث (٣٠٧٧):

قَوْلُهُ بَابُ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ: أَيْ فَتْحِ مَكَّةَ أَوِ الْمُرَادُ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ حُكْمَ غَيْرِ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ حُكْمُهَا فَلَا تَجِبُ الْهِجْرَةُ مِنْ بَلَدٍ قَدْ فَتَحَهُ الْمُسْلِمُونَ أَمَّا قَبْلَ فَتْحِ الْبَلَدِ فَمَنْ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ الْأَوَّلُ قَادِرٌ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنْهَا لَا يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ دِينِهِ وَلَا أَدَاءُ وَاجِبَاتِهِ فَالْهِجْرَةُ مِنْهُ وَاجِبَةٌ الثَّانِي قَادِرٌ لَكِنَّهُ يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ دِينِهِ وَأَدَاءُ وَاجِبَاتِهِ فَمُسْتَحَبَّةٌ لِتَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا وَمَعُونَتِهِمْ وَجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْأَمْنِ مِنْ غَدْرِهِمْ وَالرَّاحَةِ مِنْ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرِ بَيْنَهُمُ الثَّالِثُ عَاجِزٌ يُعْذَرُ مِنْ أَسْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ فَتَجُوزُ لَهُ الْإِقَامَةُ فَإِنْ حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَكَلَّفَ الْخُرُوجَ مِنْهَا أُجِرَ. اهـ

مكيّة — سورة لقمان — آياتها (٣٤)

الآية الثانية والثلاثون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾[لقمان:٣٣].

الشـرح:

لقمان: رجل صالح وليس بني على الصحيح، قيل: بأنه عبد نوبي كان له سيد فقال له: اذْبَحْ لِي شاةً. فَذَبَحَ لَهُ شاةً، فقال لَهُ: ائْتِنِي بِأطْيَبِ مُضْغتَيْنِ فِيها. فَأتاهُ بِاللِّسانِ والقَلْبِ، فَقالَ: أما كانَ شَيْءٌ أطْيَبَ مِن هَذَيْنِ؟ قالَ: لا، فَسَكَتَ عَنْهُ ما سَكَتَ، ثُمَّ قالَ لَهُ: اذْبَحْ لِي شاةً. فَذَبَحَ لَهُ شاةً، فقال لَهُ: ألْقِ أخْبَثَها مُضْغتَيْنِ، فَرمى بِاللِّسانِ والقَلْبِ، فقالَ: أمَرْتُكَ أنْ تَأْتِيَنِي بِأطْيَبِها مُضْغتَيْنِ، فَأتَيْتَنِي بِاللِّسانِ والقَلْبِ، وأمَرْتُكَ أنْ تُلْقِيَ أخْبَثَها مُضْغتَيْنِ، فَألْقَيْتَ اللِّسانَ والقَلْبَ. فَقالَ: إنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأطْيَبَ مِنهُما إذا طابا، ولا بِأخْبَثَ مِنهُما إذا خَبُثا

ومن شأنه: أنه قيل له: اعطني رمانة حلوة فأتاه برمانة حامضة أو مزة فقال له: كذا، قال: ما جعلتني عليها آكلًا إنما كنت لها حارسًا، أي: أنه لا يُميز بين المز من الحلو؛ لأنه لم يطعم ولم يأكل، بخلاف كثير من الناس إذا اشتغل مع واحد في بقالة يأكل ولا يُبالي ولا ينظر ما أكل وما خرج، بل ربما يُكرم الضيوف من مال الغير ويُعطي المساكين من مال الغير إلى غير ذلك، فينبغي للإنسان أن يكون عفيفًا عن أموال الناس.

وله قصص عظيمة ذكر منها ابن كثير في تفسيره الشيء العظيم، ومنها الوصايا التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ عنه، وهذه من أعظم الوصايا: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ ﴾[لقمان:١٣-١٤]، يعني: آيات عظيمات تتلى من قول هذا الرجل الصالح، وفي الحديث: «إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»، من حديث ابن عمر عند أحمد وسنده حسن، لكن أظن فيه كلام من حيث الوقف ونحو ذلك؛ لكنها كلمة عظيمة: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا

اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»، استودع الله نفسك، أبناءك؛ ولذلك صح: أن المسافر إذا سافر يُقال له: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»، إلى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ وحدوا الله واعبدوه وافردوه بما يجب له، ﴿ وَاخْشَوْا يَوْمًا ﴾ خافوا يوم القيامة حيث: ﴿ لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[فاطر:١٨]، وفي الحديث: «أَمَا إِنَّهُ لا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ» أخرجه أحمد عن أبي رمثة رضي الله عنه، بل: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾[عبس:٣٤-٣٦]، بل ربما يكون الوالد خصم لولده، والولد خصم لأبيه في ذلك اليوم، والزوجة الشفيقة تكون خصماً، وتُطالب بمثاقيل الذر من حسناتك إن كنت قد أسأت إليها، وولدك يُطالبك أيضًا بمثاقيل الذر إذا كنت قد ظلمته بغير وجه حق، والوالد كذلك، وهو يوم شديد الوقع، ﴿ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ بالبعث والنشور ومجازاة الناس على أعمالهم، ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ تفتنكم عن طاعة ربكم، ﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ الشيطان وأماني الشيطان.

مَدَنيّة — سورة الأحزاب — آياتُها (٧٣)

سُميت بهذا الاسم؛ لأن الأحزاب والقبائل تحزبوا على النبي **صلى الله عليه وسلم** لاستئصاله، فحفظه الله وردهم خائبين، كما قال تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

﴾[الأحزاب:٢٥].

الآية الرابعة والثلاثون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[الأحزاب:١].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ نادى الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه بالنبوة وهذا دليل على علو شأنه وعلى رفيع منزلته إذ لم يناديه باسمه أو بكنيته، والنبو: مأخوذة من النَبوة والارتفاع، ﴿ اتَّقِ اللهَ ﴾ والأمر له أمر لأمته، فتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ خير زاد وخير لباس، وهي دليل على المكارم: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات:١٣]، وتقوى الله تكون: بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ فيما يطلبونه منك ويأملونه، ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فطاعة الكفار والمنافقين مهلكة فإنهم يوردونك الموارد، كما قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، وبهذا يعلم المسلمون أنهم مستهدفون من الكفار، فإذا كانوا قد طمعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بغيره، حتى قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤] ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بما يصلحكم وبكل شيء، ﴿ حَكِيمًا ﴾ في أمره ونهيه، فحين ينهاك عن طاعة المنافقين والكافرين فهذا لمصلحتك الدينية والدنيوية: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[البقرة:١٠٥]،

﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[الممتحنة:٢].

الآية الخامسة والثلاثون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[الأحزاب:٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ينادي الله المؤمنين ويذكرهم عظيم نعمه عليهم، ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ومن أجلها: السلامة من الأحزاب الذين تجمعوا بِعُدَدِهِم وعَدَدِهِم؛ لاستئصال المسلمين، بل زاد الأمر أنهم تمالؤوا مع قريظة، فجاءت الأحزاب من ثلاث جهات، وتمالؤوا مع قريظة فنقضت العهد وجاءت من الجهة الرابعة، فصار المسلمون في مثل البوتقة قد أُحيط بهم من كل جانب؛ ولكنهم لم ييأسوا من روح الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ من الكافرين كثير عَدَدهم كثيرةٌ عُدَدُهم، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ جند من جند الله، فكيف إذا أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم جميع جنوده أو بعض جنود، وإنما أرسل عليهم ريحًا وأيضًا أرسل منها شيئًا يسيرًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ» **متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنه**، الصبا: هي الريح الشرقية، والدبور: هي الريح الغربية، وكان من شأن هذه الريح: أنها قلعت خيامهم، وأكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وسلم الله عَزَّ وَجَلَّ المسلمين، ﴿ وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ الملائكة، ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يرى ما هم فيه من ضيق الحال، وحفر الخندق، وشدة

الجوع حتى قال جابر بن عبد الله لزوجه: ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا لَا صَبْرَ لِي عَلَيْهِ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقٌ قَالَ: فَطَحَنَّا الشَّعِيرَ، وَذَبَحْنَا الْعَنَاقَ، وَسَلَخْتُهَا، وَجَعَلْتُهَا، فِي الْبُرْمَةِ وَعَجَنْتُ الشَّعِيرَ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَبِثْتُ سَاعَةً، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ الثَّانِيَةَ فَأَذِنَ لِي، فَجِئْتُ، فَإِذَا الْعَجِينُ قَدْ أَمْكَنَ، فَأَمَرْتُهَا بِالْخَبْزِ وَجَعَلْتُ الْقِدْرَ عَلَى الْأَثَافِيِّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّمَا هِيَ الْأَثَافِيُّ، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: إِنَّ عِنْدَنَا طُعَيِّمًا لَنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقُومَ مَعِي أَنْتَ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ مَعَكَ، فَقَالَ: «وَكَمْ هُوَ؟» قُلْتُ: صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقٌ، فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ وَقُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْقِدْرَ مِنَ الْأَثَافِيِّ، وَلَا تُخْرِجِ الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ» ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «قُومُوا إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ»، قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ حَيَاءً لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَقُلْتُ، لِامْرَأَتِي: ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ قَدْ جَاءَكِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، فَقَالَتْ: أَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَكَ: كَمِ الطَّعَامُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَدْ أَخْبَرْتَهُ بِمَا كَانَ عِنْدَنَا، قَالَ: فَذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَجِدُ، وَقُلْتُ: لَقَدْ صَدَقْتِ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَدَخَلَ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا تَضَاغَطُوا»، ثُمَّ بَرَّكَ عَلَى التَّنُّورِ وَعَلَى الْبُرْمَةِ، قَالَ: فَجَعَلْنَا نَأْخُذُ مِنَ التَّنُّورِ الْخُبْزَ، وَنَأْخُذُ اللَّحْمَ مِنَ الْبُرْمَةِ، فَنُثَرِّدُ وَنَغْرِفُ لَهُمْ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : «لِيَجْلِسْ عَلَى الصَّحْفَةِ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ» فَإِذَا أَكَلُوا كَشَفْنَا عَنِ التَّنُّورِ، وَكَشَفْنَا عَنِ الْبُرْمَةِ، فَإِذَا هُمَا أَمْلَأُ مما كَانَا، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّمَا فَتَحْنَا التَّنُّورَ وَكَشَفْنَا عَنِ الْبُرْمَةِ، وَجَدْنَاهُمَا أَمْلَأَ مَا كَانَا حَتَّى شَبِعَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الطَّعَامِ،

فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ، فَكُلُوا وَأَطْعِمُوا» فَلَمْ نَزَلْ يَوْمَنَا نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ» متفق عليه.

فانظروا إلى فرج الله الذي جاءهم به نصرهم، وأطعمهم، وسلمهم، فكان عليمًا بحالهم.

الآية السادسة والثلاثون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٢٨-٢٩].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حين وقع بينه وبين نسائه ما يقع بين الرجل وبين امرأته، وفي هذه تعزية لنا معشر الناس إذا وقع خلاف بيننا وبين أزواجنا فهاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع بينه وبين أزواجه حتى أنه وجد عليهن وهجرهن شهرًا؛ لشدة ما وقع في قلبه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند البخاري (٥٨٤٣) ومسلم قَالَ: لَبِثْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ، عَنِ المَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلْتُ أَهَابُهُ، فَنَزَلَ يَوْمًا مَنْزِلًا فَدَخَلَ الأَرَاكَ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ امْرَأَتِي كَلاَمٌ،

فَأَغْلَظَتْ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: وَإِنَّكِ لَهُنَاكِ؟ قَالَتْ: تَقُولُ هَذَا لِي وَابْنَتُكَ تُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: إِنِّي أُحَذِّرُكِ أَنْ تَعْصِي اللهَ وَرَسُولَهُ، وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا فِي أَذَاهُ، فَأَتَيْتُ أُمَّ سَلَمَةَ فَقُلْتُ لَهَا، فَقَالَتْ: أَعْجَبُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، قَدْ دَخَلْتَ فِي أُمُورِنَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ؟ فَرَدَّدَتْ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِمَا يَكُونُ، وَإِذَا غِبْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ أَتَانِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَنْ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اسْتَقَامَ لَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَلِكُ غَسَّانَ بِالشَّأْمِ، كُنَّا نَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنَا، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِالأَنْصَارِيِّ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، قُلْتُ لَهُ: وَمَا هُوَ، أَجَاءَ الغَسَّانِيُّ؟ قَالَ: أَعْظَمُ مِنْ ذَاكَ، طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، فَجِئْتُ فَإِذَا البُكَاءُ مِنْ حُجَرِهِنَّ كُلِّهَا، وَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَعِدَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، وَعَلَى بَابِ المَشْرُبَةِ وَصِيفٌ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِي، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ، «فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ مِرْفَقَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِذَا أُهُبٌ مُعَلَّقَةٌ وَقَرَظٌ» فَذَكَرْتُ الَّذِي قُلْتُ لِحَفْصَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَالَّذِي رَدَّتْ عَلَيَّ أُمُّ سَلَمَةَ، «فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَبِثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ نَزَلَ»، فلما قضى النبي **صلى الله عليه وسلم** تسعة وعشرين يومًا قالت عائشة: أعدهن خرج وبدأ بها، وخيرها بهذا التخيير: ﴿ **إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ** ﴾ أعطيكن منها، ﴿ **وَأُسَرِّحْكُنَّ** ﴾ أطلقكن، ﴿ **سَرَاحًا جَمِيلًا** ﴾ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ

النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا» أخرجه مسلم؛ ولذلك قال ابن عباس: التخيير ليس بطلاق، فإن النبي **صلى الله عليه وسلم** قد خير نسائه،

فالشاهد: ﴿ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ وبهجتهما وما فيها: ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ وأعطيكن منها ما يسره الله، ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أطلقكن، ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ وهذا الذي ينبغي أن الإنسان إذا لم يستقم حاله مع زوجته أن يُسرحها سراحًا جميلًا:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[البقرة:٢٢٩].

ثم قال: ﴿ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ بشرهن الله بالأجر العظيم والخير العميم.

ثم كان ما في:

الآية السابعة والثامنة والثلاثون بعد المائة(٤):

قال تعالى:﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٠-٣٤].

الشـرح:

هذه آيات عظيمات فيها بركات كثيرات لمن أخذ بها لا سيما من نساء المسلمين:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ ﴾ الزنا، وهُنَّ محفوظات من هذا بحمد الله؛ لكن هذا على التهديد كما قال الله لنبيه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر:٦٥]، ولم يُشرك، ﴿ مُبَيِّنَةٍ ﴾ ظاهرة واضحة، ﴿ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ في الدنيا بالرجم والآخرة؛ بالعذاب بسبب هذا الجرم العظيم، ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ﴾

لا يُعجزه شيء.

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ ﴾ تقوم على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ وعلى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ وهذا هو الواقع منهن رضوان الله عليهن، ﴿ نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ يُضاعف لها الأجر مرتين، فإذا كانت مثلها من النساء تُعطى حسنة هي تُعطى حسنتين، وإذا كانت لتلك الحسنة بعشر أمثالها سيكون لها الحسنة بأكثر من ذلك، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا ﴾ في الآخرة: ﴿ رِزْقًا ﴾ عطاءً واسعًا: ﴿ كَرِيمًا ﴾ جميلًا من كل ما لذ وطاب، وهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ومعه في منزلته لكن منزلة التابع؛ ولذلك أخطأ ابن حزم وذهب إلى تفضيل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم على غيرهن من الصحابة بالنظر إلى الحُكم الأخروي وهذا خطأ؛ فإن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وهن لهن مراتب عالية: خديجة بُشرت ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وغيرها كذلك بُشر بالخير.

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ يعني: الشأن يختلف، فلو كانت زوجة رجل من عوام الناس أو من سقط الناس وفعلت أمرًا لم يكن مثل زوجة رجل مُعتبر في المجتمع وتفعل أمرًا مستقبحًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم خير الأمة، فلو وقع من نسائه شيء والحمد لله لم يقع كان الأمر أسوأ من ذلك: ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ فيجب أن يكون أمرهن على أحسن الحال؛ فلذلك قال: ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ أي: مع غير الزوج، الكلام مع غير الزوج ليس بحرام مُطلقًا، إنما الحرام: الخضوع بالقول، الذي يؤدي

إلى فتنة المرأة وفتنة الرجل، أما بالمعروف فلا حرج، ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ مرض شهوة وتعجب أن كثيراً من الناس يقول له: يا فلان لا تدخل بين النساء الاختلاط حرام، يقول: أنتم قلوبكم مريضة أنا قلبي نظيف، هذا ما هو صحيح، لو كان قلبه نظيفًا؛ لابتعد عن خُلطة النساء، فالرجل مسكين أمام المرأة، حتى قيل لسفيان الثوري: ما معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٢٨]؟ قال: يمر بالمرأة فينظر إليها ويعلم أنه لا يناله منها شيئًا، ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ قولًا موافق للشرع لا خضوع فيه ولا ليونة ولا خنا.

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ هذا هو الأصل: أن المرأة تقر في البيت، فالعمل ليس من شأن المرأة لا سيما ما يتعلق بالوظائف، فهذه الوظائف دخيلة على المجتمع المسلم، فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[النساء:٣٤]، والآن المرأة تتوظف، فتحتاج أن تنفق على نفسها وتحتاج أن تنفق على أبنائها، وربما تتنمر على زوجها؛ لأنها صارت ذات شأن، بينما الواقع: أن الواجب عليهن أن يكون قرارهن في البيوت، ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ من التزين، والتطيب، والخروج بين الناس، والاختلاط بهم، وعدم العفة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ» أخرجه النسائي عن أبي موسى رضي الله عنه، ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ ﴾ المفروضة في وقتها وهيئتها طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَآتِينَ الزَّكَاةَ ﴾ المفروضة إن بلغت أموالكن النصاب، وهذا أمر عام لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولغيرهن، ﴿ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في الأمر والنهي، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ ﴾ بهذه الأوامر والنواهي

لكن: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ وهذا دليل على أن أهل البيت أعم من آل البيت فليس كما يقول الرافضة، فزوجاته من أهل البيت وهن مطهرات مبرءات من كل ما تهمن به من هؤلاء الفسقة الفجرة الكفرة، فالله عَزَّ وَجَلَّ قد أذهب عنهم الرجس: وهو الخنا والباطل، والنبي صلى الله عليه وسلم عَمِلَ بخصوص هذه الآية وإلا فعمومها دخول نسائه فيها: أنه دعا الحسن والحسين وعلي وفاطمة ثم جمعهم معه وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾، وغلا الرافضة فقال بعضهم:

لِـــي خمســـةٌ أطفِـــي بهـــمْ ... نَـــارُ الجَحِـــيمِ والحَاطِمَـــة

المُصـــــطفَى والمـــــرتضَى ... وابنيهمـــــا والفاطِمـــــة

﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من الذنوب والمعاصي والمخالفات.

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ القرآن والسنة، وذكرها بالعمل بها، ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ يلطف بعباده حيث أعطاهم مثل هذه الأوامر ونهاهم عن هذه الزواجر، ﴿ خَبِيرًا ﴾ عليم بما يُصلح أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم.

الآية التاسعة والثلاثون بعد المائة(٥):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بذكره في جميع

الأحوال، وقد طبق النبي **صلى الله عليه وسلم** هذا الأمر، فكان يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ على كل أحيانه، ومن أكثر من ذكر الله أكثر الله له فعن عبادة بن الصامت أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ » **أخرجه الترمذي**، ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ نزهوه في صبحكم ومسائكم عن المعائب والنقائص، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المتعال وهو العظيم الكبير الواسع: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١].

وقد امتدح الله الذاكرين في غير ما موطن: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[آل عمران:١٩١]، وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الذكر من الفوائد الشيء الكثير، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم في الوابل الصيب من أن للذكر مائة فائدة، ثم ذكرها .

الآية الأربعون بعد المائة(٦):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ نداء للنبي **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ بعثناك إلى

الناس، ﴿ شَاهِدًا ﴾ عليهم، ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ لهم بما لهم عند الله من الفضائل والمكارم، ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ منذرًا لهم من عذاب الله وبطشه وغضبه.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ ﴾ إلى توحيده وطاعته فيدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ أي: بإذن الله؛ ولهذا قال شيخ الإسلام: من دعا إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ فقد أشرك، ومن دعا إلى الله بغير إذنه فقد ابتدع، مثل: جماعة التبليغ، والجماعات الحزبية، ومثل الجماعات المتصوفة، والجماعات الرافضية وإن زعموا أنهم يدعون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فهم يدعون إلى الله على غير إذن الله، وعلى غير طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تُقبل الدعاوى ولا تُقبل الدعوة ولا تكون ناجحة إلا إذا كانت مبنية على أمرين:

الأول: دعوة إلى الله لا دعوة إلى شيخ، لا إلى حزب، لا إلى قبيلة، لا إلى جنس، لا إلى لون، لا إلى طائفة، دعوة إلى الله: أن نعبد الله عَزَّ وَجَلَّ على وفق ما في كتاب الله وعلى وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثاني: وأن تكون الدعوة أيضًا بإذن الله، فلا تستحدث شيئًا لم يأذن الله به، وقد ذكر أنه كان في منطقة فيها كثير من اللصوص والسراق والزناة وأصحاب الزور والفجور، فقام واتخذ طبلًا ودُفًا، وجمعهم على شيء من الأناشيد الزهدية فانقطع كثير منهم عن الكبائر التي كانوا يتعاطونها وأقبلوا على هذه البدعة، فسُئِل شيخ الإسلام عن هذا الأمر قال: هذا لا يجوز، هذا بدعة، هذه دعوة إلى الله بغير إذنه، فلا بد أن تدعو إلى الله ولا بد أن تدعو إلى الله بإذنه، فمثلًا: الأناشيد التي يسمونها الإسلامية وهي مثل الأغاني هذه دعوة إلى الله بغير إذنه دعوة باطلة، الدعوة إلى الله

بواسطة التلفاز والدشوش وما يُسمونها بالمسلسلات الإسلامية هذه دعوة باطلة؛ لأنها دعوة بغير إذن الله، دعوة بما حرم الله، الدعوة إلى الله بالحزبية، بالديمقراطية، بالانتخابات هذه دعوة باطلة، لا بد أن تكون الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة، ندعو إلى إفراد الله بالعبادة ونمتثل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ﴿ وَسِرَاجًا ﴾ شبهه بالشمس، ﴿ مُنِيرًا ﴾ شبهه بالقمر، وهذا دليل على أن الخلق في ظلمة إلا من أخذ طريقه واقتفى أثره وسلك سبيله صلى الله عليه وسلم .

الآية الواحدة والأربعون بعد المائة(٧):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[الأحزاب:٤٩].

الشـرح:

هذه الآية مهمة وكثير من الناس يجهلها؛ لأن المرأة إذا تزوجت إما أن تُطلق قبل الدخول، وإما أن تُطلق بعد الدخول، فإن كان الطلاق بعد الدخول فيكون العدة ثلاثة قروء إن كانت تحيض، أو وضع الحمل إن كانت حاملاً، أو ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض يائسة أو صغيرة، أما إذا كان الطلاق لغير المدخول بها، عقد على امرأة ثم طلقها: ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ فيجوز أن تُزوج ولو بعد الانتهاء من كلمة: أنتِ طالق، يقول أبوها أو وليها لفلان: زوجتك ابنتي فإن قال: قبلت صارت زوجة، وهذه مسألة يجهلها الكثير، وبعضهم بنى عليها مسألة تدل على الغلط

العظيم، وهي مسألة: ما إذا تزوج رجل امرأةً ثم مات عنها قبل أن يدخل بها، فيزوجنها من أخيه أو يزوجونها من غير في فترة العدة فهذا لا يجوز، فالمرأة الغير مدخول بها إذا مات زوجها قبل أن يدخل بها لا بد أن تعتد أربعة أشهر وعشرًا ولها المهر كاملًا ولها الميراث، كما هي فتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بوع بنت واشق، فهذه مسائل مهمة، نُسأل أحيانًا وتتعجب إما من المخالفة أو من الجهل بها.

فالله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ دليل على أنه لا يجوز نكاح الكافرات إلا ما كان من الكتابيات إن كن محصنات، ﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ فيه: أن الذي يُطلق المرأة قبل الزواج ما هو طلاق، وبعضهم يقول: إن تزوجت ابنة فلان فهي طالق، هذا ليس بطلاق يُطلق امرأة ليست في عصمته وإن ذهب إليه بعض الفقهاء لكنه قول غير صحيح، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ المراد بالمساس هنا هل هو الجماع أم الخلوة؟ جمهور العلماء: على أنه لو اختلى بها كان في حكم المساس، ومعنى الخلوة: أن يكون هو وهي في مكان ليس معهم أحد، كأن تُغلق عليهم أبواب، أو تُرد عليهم ستائر يجلسون فيها فترة من الزمن؛ لا، عند ذلك الصحيح أنها تُعتبر مدخول بها وإن قالت بأنه لم يُجامعها أو قال هو: بأنه لم يُجامعها، فقول جمهور العلماء: على أنها مدخول بها، ﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ وكم لها من المهر؟ لها النصف إن طلقها، انظر إلى اختلاف الحُكم، فبمجرد أن يوصد هو وهي الباب فإن طلقها لها المهر كاملًا، بينما إن طلقها قبل الدخول بها لها نصف المهر، وإن طلقها بعد الخلوة بها عليها العدة، وإن طلقها قبل ذلك ليس عليها عدة، ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ أي: اعطوهن شيء من المتاع، ﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ طلقها

بتسريح جميل كقوله فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بإحسان .

الآية الثانية والأربعون بعد المائة(٨):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٠].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ أي: اللاتي تزوجتهن بعقد ومهر، ﴿ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن، ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ كمارية القبطية وغيرها ﴿ مِمَّا أَفَاءَ﴾ أعطاك ﴿اللهُ عَلَيْكَ ﴾ الفيء قد يُطلق على الغنيمة، وقد يُطلق على المال المأخوذ بالصلح، ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ أيضًا أباح الله الزواج من بنات العم، ﴿ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ ﴾ من بنات العمات، ﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ ﴾ الأقارب، لكن هل تزوج منهن؟ الذي يظهر أنه لم يتزوج، عُرضت عليه ابنة حمزة لكن كان قد رضع وهو وأبوها من ثويبة، فكانت ابنة أخيه من الرضاعة، ﴿ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ وهذا لا يكون إلا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فلا يجوز لامرأة أن تهب نفسها لغير النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يقع الآن في كثير من المجتمعات من الزواج السري: وهي أن

المرأة تتولى العقد بنفسها هذا زواج باطل، فإن المرأة لا تكون ولية لنفسها، ولا تكون ولية لغيرها، وعائشة رضي الله عنها حين أرادت أن تزوج بعض جواريها أرسلت إلى بعض أوليائها الذكور أن يقوموا بهذا الأمر، فلو كان الأمر جائزًا للمرأة لقامت به عائشة، فليتفطن لهذا المسألة وإن كانت بحمد الله قد تكون غير منتشرة في اليمن إلا أنها منتشرة في كثير من الدول الخليجية، وبلاد الشام، ومصر وكثير من البلدان، تعمد المرأة إلى تزويج نفسها فربما تذهب إلى قاضي من هؤلاء القضاة الذين لا يُبالون بشرع الله، ويسمونه زواج عرفي فإذا زوجت المرأة نفسها فزواجها باطل، يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**» **أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه** ، وتزويج المرأة لنفسها يُعتبر زنا، ليس بنكاح وإنما هو سفاح، ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بمعنى: أن هبة المرأة نفسها لا يكون إلا للنبي **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ يعني: مما يجب عليهم ومما يجوز لهم، ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ من جواز وطئهن ولو بغير عقد ولو كن أكثر من أربع، ﴿ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ أي: فيما أباح الله له من الحلال الطيب، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين والمستغفرين ﴿رَحِيمًا ﴾ بعباده المؤمنين، ومن ذلك ما يشرع لهم .

الآية الثالثة والأربعون بعد المائة(٩):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ

إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ وكانوا قبل ذلك يدخلوا قبل فرض الحجاب، ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وهذا بعد ضرب الحجاب، ﴿ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ غير منتظرين وناظرين إلى طبخه ونحو ذلك، ﴿ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ﴾ مع غض البصر، ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ في الأرض خارج بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تحتاج المرأة إلى الخروج والدخول، ﴿ وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ أحاديث النساء، لكن إذا كان في البيت مجلس فلا حرج أن يجلسوا فيه ويبقوا على الحديث، أما الصحابة فكانت بيوتهم ضيقة وكانوا يجلسون وربما تحدثوا مع النساء قبل فرض الحجاب.

وسبب نزول هذه الآية: ما جاء في البخاري أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا النَّاسَ، طَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ» قَالَ: «فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَقِيَ ثَلاَثَةٌ، وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا» قَالَ: «فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَرْخَى الحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ» وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ يستحي أن يقول لهم: اخرجوا، ﴿وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يذكر مثل هذه المسألة حكمًا عامًا للأمة، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي: سألتم النساء أمرًا من الأمور، ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ حتى لا تقع الفتنة بينكم وبينهن، ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم ﴿أَطْهَرُ﴾ أزكى وأسلم ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فالقلوب ضعيفة والشبه خطافة، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ صلى الله عليه وسلم بالبقاء في بيته بعد الأكل، ﴿وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عند ابن أبي حاتم فِي بيان قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ هَمَّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بَعْضَ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بعده، قَالَ رَجُلٌ لِسُفْيَانَ: أَهِيَ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قَدْ ذكروا ذلك.

قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٠٣):

ولهذا اجتمع الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها مِنْ بَعْدِهِ، لِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ دَخَلَ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا فِي حَيَاتِهِ: هَلْ يَحِلُّ لِغَيْرِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَأْخَذُهُمَا هَلْ دَخَلَتْ هَذِهِ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَمْ لَا؟ فَأَمَّا مَنْ تَزَوَّجَهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَمَا نَعْلَمُ فِي حِلِّهَا لِغَيْرِهِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ نِزَاعًا، وَاللهُ أَعْلَمُ. فهن محرمات ولسن بمحارم، يعني الآن: الأم محرمة ومحرم،

والأخت محرمة ومحرم، والخالة محرمة ومحرم؛ لكن زوجات النبي **صلى الله عليه وسلم** محرمات ولسن بمحارم، بمعنى: أنه لا يجوز الزواج بهن ولا يجوز الخلوة بهن، لكن هذا الحكم قد ذهب بموتهن وفي معنى قوله: ﴿ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ لأنهن زوجاته في الآخرة، وأيضًا إكرام لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ ﴾ الزواج بهن ﴿ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا ﴾ أتمه وقبحه .

الآية الرابعة والأربعون بعد المائة(١٠):

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٦].

الشــرح:

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ في هذه الآية: حض من الله *عَزَّ وَجَلَّ* للمؤمنين أن يكثروا من الصلاة على النبي **صلى الله عليه وسلم** ، ومن صلى على النبي **صلى الله عليه وسلم** صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا» أخرجه مسلم عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، والصلاة من الله ذكر النبي **صلى الله عليه وسلم** في الملأ الأعلى، والصلاة من غير الله *عَزَّ وَجَلَّ* هي الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[التوبة:١٠٣]، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَلاَةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ، تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ، لاَ

يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَالمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، وَقَالَ: أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ " متفق عليه، وأكمل الصلاة عليه ما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ» متفق عليه، وعن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» أخرجه الترمذي .

الآية الخامسة والأربعون بعد المائة(١١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٩].

الشـرح:

في هذه الآية حث من الله **عَزَّوَجَلَّ** لرسوله **صلى الله عليه وسلم** على أمر النساء بالحجاب وتغطية الوجه: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾**، المطهرات المبرءات

المتقيات المؤمنات، ﴿ وَبَنَاتِكَ ﴾ التي بُشرت فاطمة رضي الله عنها: بأنها سيدة نساء العالمين، ﴿ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ كالرميصاء، والغميصاء، وأسماء ومن إليهن ومع ذلك أُمرن بالحجاب فكيف بنساء هذا الزمان؟ من باب أولى، ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ﴾ أي: مما يلبسن من اللباس ويسترن وجوههن وجيوبهن، ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ ﴾ هذا دليل على أنه يجب تغطية الوجه، وهذا رد على من أجاز كشف الوجه في الحجاب، وأن الوجه ليس بعورة، مع أنه مبني على حديث ضعيف حديث أسماء رضي الله عنها: «**يا أسماء إن المرأةَ إذا بَلَغَتِ المَحِيضَ لم يصْلُحْ أن يُرى مِنهَا إلا هذا وهذا**» أخرجه أبو داود، هذا حديث ضعيف منكر لا يجوز الاحتجاج به ولا الأخذ به؛ لأن هذه الآية ترد عليه: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ لو كانت كاشفة الوجه لعرفت، وهكذا أباح الله عَزَّ وَجَلَّ النظر إلى المخطوبة؛ لأن النساء يحتجبن، ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ أي: لما كان قبل ذلك، ولمن تاب وأناب.

الآية السادسة والأربعون بعد المائة(١٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب:٦٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ﴾ هذا أمر من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين أن يكونوا مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على أحسن الأوجه

والمحامل: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، والحديث في الصحيحين ولا مطعن فيه، ولا عبرة بمن يُنكر مثل هذه الأحاديث.

ويجوز للرجل أن يغتسل عريانًا إذا كان وحده، وإن اغتسل بملابسه فهو أولى، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ» أخرجه أبو داود من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه ، ﴿ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ أي: من الزور، ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا ﴾ عبدًا مرضيًا طائعًا.

الآية السابعة والأربعون بعد المائة(١٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ أي: تكلموا بالحق، والهدى، والنصيحة، والأمر بالمعروف، واجتنبوا الكذب والزور، والبهت، والغيبة، والنميمة، والأمر بالمنكر.

فإذا وقع منكم القول السديد: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ فلا تعملون إلا الخير، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ إن أخطأتم وأذنبتم، ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ فَقَدْ فَازَ ﴾ أفلح في دنياه وأخراه: ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ لا بعده ولا مثله، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء:٦٩].

وفي هذا يقول الشاعر:

فَـإِنْ لَـمْ تَجِـدْ قَـوْلًا سَـدِيدًا تَقُولُـهُ فَصَـمْتُكَ عَـنْ غَيْـرِ السَّـدَادِ سَـدَادُ

وهذه الآية كان يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الحاجة كما في حديث ابن مسعود عند أبي داود وغيره، وقد تقدم.

سورة سبأ

مَكيّة — آياتها (٥٤)

سُميت: سبأ؛ لما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ من قصة سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ﴾[سبأ:١٥]، وكانت دولتهم في اليمن في مأرب.

الآية الثامنة والأربعون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سبأ:١٠-١١].

الشـرح:

هذه الآية الثالثة التي ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ فيها الجماد: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ ﴾ النبي الكريم من بني إسرائيل أبو سليمان عليهما السلام، ﴿ مِنَّا فَضْلًا ﴾ عظيمًا منة النبوة والرسالة والملك، ﴿ يَا جِبَالُ ﴾ نادى الله عَزَّ وَجَلَّ الجبال، ﴿ أَوِّبِي ﴾ سبحي، ﴿ مَعَهُ ﴾ وشاركيه فيما هو فيه من التغني بالزبور ونحو ذلك، ﴿ وَالطَّيْرَ ﴾ أي: ونادى الطير أن تُشاركه في هذا الخير، ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ سخر له الحديد يتشكل على الهيئة التي يُريد بدون كثير كلفة.

﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾ دروع، ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ أي: في الثقوب التي تدخل فيها المسامير بحيث لا تكبر ولا تصغر، ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ من التوحيد فما دونه، ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ مطلع.

سورة فاطر

مكيّة — آياتها (٤٥)

وتُسمى: بسورة الملائكة.

الآية التاسعة والأربعون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[فاطر:٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يذكروا نعم الله عز وجل، فالمفرد إذا أُضيف أفاد العموم، ونعمه كثيرة: حسية ومعنوية، فمن المعنوية: الإسلام، ومن الحسية: الشراب والطعام، ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾ يعني: هل لكم خالق غير الله: ﴿ يَرْزُقُكُمْ ﴾ يعطيكم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾؟، وهذا استفهام على سبيل الإنكار، ﴿ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا شريك له في ملكه، ولا في خلقه، ولا في عبادته، ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ تُصرفون عن الحق والهدى؛ بسبب إعراضكم عن طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

الآية الخمسون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾[فاطر:٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للناس: ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ ﴾ وهو الآخرة، والبعث والنشور: ﴿ حَقٌّ ﴾ لا يتخلف ولا يتغير، ﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ ﴾ تفتننكم، ﴿ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ وتلتهون بزخرفها وزينتها عن طاعة الله، ﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾

الشيطان، وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ» أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يُؤْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ» أخرجه أحمد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

الآية الواحدة والخمسون بعد المائة(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[فاطر:١٥].

الشـرح:

هذه دعوة إلى عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه غني على عرشه وإنما ابتلانا واختبرنا بطاعته وعبادته فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ سواء كثرت أموالكم أم قلت، كنتم ملوكًا أو رعية، ﴿ إِلَى اللهِ ﴾ في جميع أحوالكم، في دنياكم وأخراكم، ويوم بعثكم ونشوركم، فلو منعك الله الطعام لَمُتَ جوعًا، ولو منعك الشراب لَمُتَ عطشًا، بل أعظم من ذلك ما يذكر أنه: جاء رجل إلى هارون فقال له: يا هارون أرأيت لو عطشت حتى كدت أن تموت واشترط عليك رجل نصف ملكك على كأس من الماء، قال: أعطيه، قال: فإن مُنع البول ولم يخرج منك إلا بالشطر الثاني من ملكك قال: أُعطيه، قال: فَمُلك لا يُساوي شربة ماء لماذا تغتر به؟ المعنى: أن الإنسان فقير إلى الله في جميع أحواله ولحظاته سواءً كانت أمواله كثيرة أم قليلة، بينما الله عَزَّ وَجَلَّ

هو الغني عُبِدَ أم كُفِر، شُكِر أم أُعرِض عنه، أُطيع أم عُصي.

وتتمة الآية: ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[فاطر:١٦]، خير منكم، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[محمد:٣٨]، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ثقيل، بل هو سهل إذ لا يعجزه شيء .

مكية — سورة يس — آياتها (٨٣)

وما جاء من الأحاديث في فضلها مثل: «**اقْرَؤوا يس عَلَى مَوْتَاكُمْ**»، «**وَيس قَلْبُ الْقُرْآنِ**»، كلها لا تثب، ولا أعلم حديثًا يثبت في فضلها، وفي المناطق التي فيها التشيع بدعة: أنهم يقرؤونها بين مغرب وعشاء كل ليلة من رمضان، ويقرؤونها على غير طريقة القرآن، يعملونها مثلما يفعلون بالزوامل في المناطق الشمالية، الزوامل في الأعراس يجتمع ناس من هنا وناس من هنا وذاك يقول: كذا كذا، وذاك يرد عليه، وهؤلاء هكذا: ﴿ يس ﴾[يس:١]، والثاني يقول: ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾[يس:٢]، والثالث يقول: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[يس:٣-٤]، ومن هذه الأمور التي يفعلونها، ما أنزل الله بها من سلطان، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[المزمل:٤]، ما قال يُهذى به، والله المستعان.

الآية الثانية والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[يس:٦٠-٦١].

الشــرح:

هذا نداء يكون في الآخرة، ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ أهل الموقف: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ ألم آمركم: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾، بل توحدوا الله عَزَّ وَجَلَّ فأبيتم وأعرضتم، ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: الشيطان، ﴿ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ عدوًا ظاهر بيّن لا يريد لكم الخير في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي ﴾ وحدوني، ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ طريق قويم.

قوله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[يس:٣٠]، لم أذكرها؛ لأنهم اختلفوا فيها: هل القائل هو الله عَزَّ وَجَلَّ؟ أو القائل غير الله عز وجل؟

وأيضا في معناها ما جاء في تفسير البغوي (٧/ ١٦):

قَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْنِي يَا حَسْرَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالْحَسْرَةُ: شِدَّةُ النَّدَامَةِ، وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَكَآبَةً عَلَى الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرُّسُلِ.

وَالْآخَرُ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْهَالِكِينَ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ قَالُوا: يَا حَسْرَةً أَيْ: نَدَامَةً عَلَى الْعِبَادِ، يَعْنِي: عَلَى الرُّسُلِ الثَّلَاثَةِ حَيْثُ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ، فَتَمَنَّوُا الْإِيمَانَ حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ. اهـ

سورة الصافات

مكية — آياتها (١٨٢)

وتُسمى بسورة الملائكة أيضًا.

الآية الثالثة والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[الصافات:١٠٤-١٠٧].

الشـرح:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ نادى إبراهيم بصوت سمعه، وهو إبراهيم بن آزر أبو الأنبياء الثاني، فإن الأنبياء بعده من ذريته.

﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ من أنه يذبح ولده وهي قوله تعالى مخبراً عنه: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[الصافات:١٠٢]، ورؤيا الأنبياء وحي، فما يأتيك الشيطان على أنك تذبح ولدك وتقوم تذبحه، تقول: أصدق الرؤيا، ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ فداه بذبح عظيم؛ بسبب إحسان إبراهيم، فسلم له الولد وأثابه وجعل شعيرة الهدي باقية إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سورة ص

مكية آياتها (٨٨)

الآية الرابعة والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[ص:٢٦].

الشـرح:

﴿ يَا دَاوُدُ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لنبي الله داود: وهو من خيرة أنبياء بني إسرائيل، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليه الزبور، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾ يقوم بطاعة الله والدعوة إليها ويحقق التوحيد: ﴿ فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل والإنصاف، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ لا تمل إلى ما يجر إليه الهوى، وإنما يلازم الإنسان الحُكم بالكتاب والسنة، وهذا النداء وإن كان لفظه خاصًا بداود عليه السلام إلا أنه عام في جميع الْحكام، فيجب عليهم أن يلازموا الإنصاف وعدم الإجحاف مع القريب والبعيد، ومع العدو والصديق، ﴿ فَيُضِلَّكَ ﴾ يحرفك: ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ طريق الله، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ طريقه وشرعه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ موجع يوم القيامة، ﴿ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ يوم القيامة، فلم يعملوا له، وسُميّ بيوم الحساب؛ لأن الناس يُحاسبون على أعمالهم وعلى مثاقيل الذر قال تعالى: ﴿ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[البقرة:٢٠٢].

الآية الخامسة والخمسون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[ص:٧٥].

الشـرح:

هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لإبليس عليه لعنة الله حيث أمره الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسجد لآدم فأبى واستكبر وزعم أنه خير منه، فقال الله له: ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وهو آدم عليه السلام خلقه الله بيديه، وغرس جنة عدن بيديه، وخط التوراة بيديه كما في حديث ابن عمر وله حُكم الرفع، وفيه: إثبات صفة اليدين لله عَزَّ وَجَلَّ، وهي من الصفات الذاتية الخبرية: يدان حقيقيتان، من فسرهما بالقوة أو القدرة أو النعمة فتفسيره باطل يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ»، كما في حديث ابن عمر، ومما يدل على إثبات اليدين حقيقةً: أنه يأخذ بهما ويبسطهما ويهزهما، وقد جاء في الحديث وصف الأصابع، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ»، وهكذا الكف فعن أبي هريرة رضي الله عنه : «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ» أخرجه مسلم، ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:٣٤]، فالكبر من أعظم الصوارف عن الحق، كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[الأعراف:١٤٦]، ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ المتعاظمين في أنفسهم وهذا من الهلكة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» أخرجه أحمد .

سورة الزمر

مكية — آياتها (٧٥)

الآية السادسة والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر:١٠].

الشـرح:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين الموحدين المنقادين المستسلمين، ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ فعلوا الحسنى، فأحسنوا مع الله بالتوحيد، وأحسنوا مع غيره: ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، والإحسان: أن تبعد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا أكمله وإلا فهو شامل لجميع أنواع إحسان سواء كان بالقول والفعل وحتى الاعتقاد، ﴿ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ سعة في الرزق، وهدوء للبال، وانشراح للصدر،

وطمأنينة للقلب، ونصر وغير ذلك، ﴿ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ﴾ أي: إذا ضُيق عليهم في بلد فلهم أن ينتقلوا إلى غيره مهاجرين، كما قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت:٥٦]، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وهذا وعد من الله عَزَّ وَجَلَّ لمن صبر فإنه يظفر وينال هذا الجزاء العظيم يوم القيامة، سواءً كان صبره على أقدار الله عَزَّ وَجَلَّ، أو كان صبره على طاعة الله وعن نواهي الله عز وجل.

وفيها: فضيلة الصبر حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» **أخرجه مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه** ، ويُنال الصبر بالتصبر: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ»، أي: يعود نفسه عدم التسخط وسيجد البركة في ذلك.

الآية السابعة والخمسون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾[الزمر:١٦].

الشــرح:

الشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده بملازمة المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور.

وأما أول الآية فهو وصف لحال أهل النار: ﴿ لَهُمْ ﴾ لأهل النار ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ﴾ تغشى وجوههم، والحال كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ

﴾[الأعراف:٤١]، فراش من نار، ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[الأعراف:٤١]، أغطية تُعطيهم من النار، فهنا يقول: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ﴾ نار محرقة سوداء شديدة، ﴿ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ أينما ذهبوا فهم في نار أكلهم نار، وشربهم نار، ولبسهم نار، وجميع شأنهم نار: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾[النبأ:٢٤-٢٥]، والآن لو دخل إنسان في نار يموت مباشرة أو قرب منها حتى لا يجد موضع نفسه يموت، بل لو أحرقت بعض جلده أو بعض جسمه ربما مات، ولكن في الآخرة جعلها الله عذابًا دائمًا: ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[الأعراف:٤١]، ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[إبراهيم:٥٠]، ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾[الحج:١٩-٢١]، يحاولون الخروج منها فيُردون: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[الحج:٢٢]، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾[البلد:٢٠]، مغلقة، بل: ﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾[الهمزة:٩]، يوضعون في مثل الأعمدة، ويُمددون في النار تمديدًا مع تكبيلهم بالسلاسل العظيمة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾[الحاقة:٣٠-٣٢]، ﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي ذكر من عذاب أهل النار ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ المؤمنين فينزجرون ويرعوون خوفًا على أنفسهم من هذه النار التي أمر الله باتقائها، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران:١٣١].

الآية الثامنة والخمسون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾[الزمر:٥٥].

الشـرح:

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ يَا عِبَادِيَ ﴾ نداء لعباد الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ بالمعاصي والسيئات، ﴿ لا تَقْنَطُوا ﴾ تيأسوا: ﴿ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ مهما كثرت ذنوبكم فإن الله عَزَّ وَجَلَّ غفار لمن تاب وأناب ولو كان مُشركًا، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال:٣٨]، والمصيبة: أن يموت الإنسان على الشرك أو البدعة أو الكبيرة هذه هي المصيبة، أما ما دام في الحياة فمن تاب تاب الله عليه، ﴿ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ لمن تاب وأناب، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء:٤٨]، فهذه الآية في حق من مات على شركيات لا يغفرها الله، ومن مات على معاصي وسيئات دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، أما هذه الآية فهي في حال الحياة فمهما فعل الإنسان من باطل وتاب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بتوبة مستوفية للشروط تاب الله عليه؛ لأن الآية نزلت في قوم زنوا فأكثروا، وقتلوا فأكثروا، وفعلوا أمورًا كثيرة فقالوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فأنزل الله

عَزَّ وَجَلَّ الآية أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه .

فعن عمر رضي الله عنه قال: «**كنا نقول ما لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيئا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة أنزل فيهم** ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **والآيات بعدها قال عمر فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام بن العاص فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال: فألقى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو بالمدينة**» أخرجه الحاكم (٣٦٢٨)، فإياك أن تنقط من رحمة الله وأن تبتعد عن التوبة الإنابة؛ لعظيم ذنب اقترفته، ما دامت روحك في جسدك قبل أن تغرغر أو تطلع الشمس من مغربها فعليك بالرجوع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وستجد: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ غفور يستر، رحيم يعفو ويصفح ويوفق ويسدد.

وهذا من رحمة الله بعباده المؤمنين: أنه لم يغلق عليهم باب التوبة، وإلا لو أُغْلق هذا الباب لهلكنا، ما منا إلا وهو مذنب ومفرط وعاصي وعنده قصور، لكن جعل الله عَزَّ وَجَلَّ بابًا قِبل المغرب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس منه، فإذا أسرفت بالليل تب في النهار، وإذا أسرف بالنهار تب في الليل، بل لو تبت بعد الذنب مباشرة توبة صحيحة قُبلت إن شاء الله: «**إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» أخرجه

مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه .

﴿ وَأَنِيبُوا ﴾ ارجعوا، ﴿ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ خالقكم، ورازقكم، ومدبركم، ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ استسلموا له بالتوحيد وانقادوا له بالطاعة، وكونوا على براءة من الشرك وأهله، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ الأليم الموجع، ﴿ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ ليس لكم من ناصرين، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾[الطارق:١٠]، ولا تُمنعون من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ إن أراد أن يبطش بكم.

﴿ وَاتَّبِعُوا ﴾ تابعوا: ﴿ أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ القرآن والسنة كله وحي الله أنزله الله على محمد **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ على حين غرة، ﴿ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ أنه العذاب، ولا تشعرون بأسباب السلامة، وهذا كقول الله: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[الأعراف:٩٧-٩٩].

سورة فصلت

مَكيَّة — آياتها (٤٥)

الآية التاسعة والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾[فصلت:٤٧].

الشـرح:

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا يعلمها إلا هو، كما قال: ﴿ لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾[الأعراف:١٨٧]، وقال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾[النازعات:٤٢-٤٥]، وقال: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[الأحزاب:٦٣]، ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ الثمرة حين تخرج من عذقها وتبدأ في النضوج، ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى ﴾ سواءً أنثى الإنسان أو أنثى الحيوان، ﴿ وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ سواءً كان ذكرًا أو أنثى، بل إنه يعلم ما سيكون من شأنهم من صلاح أو فساد، من خير أو شر، من سلامة أو مرض لا تخفى عليه خافية، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يوم القيامة ينادي جميع الناس ويدخل في النداء أهل الإشراك: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها من دون الله، ﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ ﴾ أعلمناك، ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ ما منهم من مطلع، وهذا دليل على أن أصنامهم وأوثانهم ومعبوداتهم لا تنفعهم من الله شيئًا.

مكية — سورة الزخرف — آياتها (٨٩)

الآية الستون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[الزخرف:٦٨].

الشـرح:

﴿ يَا عِبَادِ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده في يوم القيامة، ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ﴾ مما تقدمون عليه، ﴿ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم فهم في خير عظيم، وقد جاء هذا الوعد للمؤمنين في مواطن:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩]، وقال: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وغيره .

ومنها ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي يعلى: «هُمْ نَاسٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى يَتَحَابُّونَ فِي اللهِ، وَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، مَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنُوا» .

سورة محمد

مَدَنيّة — آياتها (٣٨)

الآية الرابعة والخمسون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد:٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ ﴾هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين الموحدين: أن النصر حليفهم ما نصروا الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيف يُنصر الله وهو القوي الغالب الذي لا يعجز؟ بامتثال أمره وشرعه، وهذا كقول النبي **صلى الله عليه وسلم** : « يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه، فالله غني عن العالمين، لكن على الإنسان أن ينصر دين الله إن أراد أن ينصره الله، وأن يلتزم شرع الله إن أراد أن ينصره الله، فقيد نصر الله لهم بنصرهم لأنفسهم بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ عند ملاقاة عدوكم: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[آل عمران:١٢٦].

الآية الثانية والستون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[محمد:٣٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ﴾ هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ يحث فيه المؤمنين على التزام طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: «مَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ» أخرجه مسلم، ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ لأن طاعته طاعة لله عَزَّ

وَجَلَّ، وفي طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم الخير العظيم فهي سبب الرحمات، وسبب رفع الدرجات، ودليل على مسألة الاستجابة لله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال تعالىَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال:٢٤]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤] ﴿ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ أي: يقع أحدكم في الردة فيبطل عمله؛ بسبب كفره بالله وكفره برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] ، فيكون حبوط بهذا القيد، وهو الموت على الكفر والعياذ بالله عز وجل .

وبهذا تعلم: أن العمل يحتاج إلى أن يُحافظ عليه وإلا فإنه قد تعمل الحسنة وتذهب وتؤخذ منك لسبب أو لآخر؛ لكن عليك أن تكون محافظًا على الأعمال الصالحات وعلى طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم إن رُمْتَ لنفسك الخير وأردت لها السؤدد.

سورة الحجرات

مَدَنيّة — آياتُها (١٨)

الآية الثالثة والستون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الحجرات:١].

الشـرح:

فيها ستة نداءات، خمسة تتعلق بالمؤمنين وواحد بالناس.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أقروا لله بالوحدانية، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ﴿ لا تُقَدِّمُوا ﴾ تتقدموا وتعارضوا ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أمرًا أو نهيًا لم يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ به ولم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ينهى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه أو ينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم يجب الوقوف عليه والأخذ به والأخذ بطريقته، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل المأمور ترك المحظور، ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأفعالكم.

قال السعدي في تفسيره (ص: ٧٩٩):

هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر [الله] عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله،

متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، و [أن] لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي [الشديد] عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان .

ثم أمر الله بتقواه عمومًا، وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات .

وفي ذكر الاسمين الكريمين -بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه- حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال . اهـ

الآية الرابعة والستون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾[الحجرات: ٢].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنه فعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلاَفِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ» أخرجه مسلم، واستحب العلماء وأخذوا من هذه الآية: أنه لا يُرفع صوت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبره بل ولا على سنته، فينبغي أن تكون متواضعًا متذللًا، ﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ أي: لا يخاطبه كأنك تخاطب واحداً عادياً، فالرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا الله أن نعزره ونوقره، كما قال تعالى: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[الفتح:٩]، تسبحوا الله؛ وفي حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه لما دخل ذلك الأعرابي: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْنَا: وَيْحَكَ، اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، فَإِنَّكَ قَدْ نُهِيتَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَغْضُضُ مِنْ صَوْتِي» متفق عليه، أعرابي ما يعرف ما للنبي صلى الله عليه ولم من الحق كما يعرفه من لازمه كثيرًا، ﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ تذهب حسناتها: ﴿

وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

أخرجه مسلم .

الآية الخامسة والستون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[الحجرات:٦].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا أهل الإيمان: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ أي: مطعون بعدالته لم يتبين كذبه بعد؛ لأن الخبر يأتي عن ثلاثة:

الأول: من صادق، فنقبل خبره.

الثاني: من كاذب، فنرد خبره.

الثالث: فاسق، فنتثبت في خبره إن وافقه غيره قُبل وإلا رُدَ.

﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ جاء في قراءة: (تَثَبتوا)، ﴿ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ يتضررون منكم إما بحرب أو نحوه على خبر كاذب، ﴿ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾، وبهذه الآية استدل العلماء: على وجوب التثبت في نقل الأخبار، وأنهم لا يروون الحديث عن كل من هب ودب، وإنما ينقلون الأحاديث عن الأثبات والثقات ومن عُلِمت عدالته ورُفِعت جهالته، وبهذا أيضًا يؤخذ باب منهج الجرح والتعديل، وعلى أن أهل الباطل يُحذر منهم وتُرد مروياتهم، بينما الثقة يُقبل خبره.

يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ لِيُحتَاطَ لَهُ، لِئَلَّا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ فَيَكُونَ -فِي نَفْسِ الْأَمْرِ- كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا، فَيَكُونَ الْحَاكِمُ بِقَوْلِهِ قَدِ اقْتَفَى وَرَاءَهُ، وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنِ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْ هَاهُنَا امْتَنَعَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبُولِ رِوَايَةِ مَجْهُولِ الْحَالِ لِاحْتِمَالِ فِسْقِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَبِلَهَا آخَرُونَ لِأَنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ خَبَرِ الْفَاسِقِ، وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّقِ الْفِسْقِ لِأَنَّهُ مَجْهُولُ الْحَالِ.

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ. وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طُرُقٍ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ رِوَايَةِ مَلِكِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ ضِرَار، وَالِدُ جُويرية بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ دِينَارٍ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ الْحَارِثَ بْنَ ضِرَارٍ الْخُزَاعِيَّ يَقُولُ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ بِهِ، وَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقْرَرْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ، ويُرسل إليَّ رَسُولُ اللهِ رَسُولًا

لإبَّان كَذَا وكَذَا لِيأْتِيَكَ بِمَا جمعتُ مِنَ الزَّكَاةِ. فَلَمَّا جمعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَهُ، وبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن يَبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتُبِسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَلَمْ يَأْتِهِ، فظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سُخْطَة مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بسَرَوات قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَقَّت لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ، وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُلْف، وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سُخْطَةٍ كَانَتْ، فَانْطَلِقُوا فَنَأْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرِق -أَيْ: خَافَ- فَرَجَعَ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ وَأَرَادَ قَتْلِي. فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَعْثَ إِلَى الْحَارِثِ. وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَلَ الْبَعْثُ وفَصَل عَنِ الْمَدِينَةِ لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ، فَقَالُوا: هَذَا الحارث، فلما غَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بُعثتم؟ قَالُوا: إِلَيْكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ. قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً وَلَا أَتَانِي. فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟ ". قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلَا أَتَانِي، وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتُبِسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ كَانَتْ سُخْطَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَنَزَلَتِ الْحُجُرَاتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: {حَكِيمٌ}. اهـ

الآية السادسة والستون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[الحجرات:١١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾، نهى الله عن السخرية؛ لشدة ضررها ولعظيم خطرها، لا تسخر من غيرك لا لجماله ولا لشيء من شأنه، فلولا فضل الله عليك أنك مثله وربما تعجز عن إصلاح نفسك، فلا الرجال يجوز لهم أن يسخروا من الرجال والنساء، ولا النساء يجوز لهن أن يسخرن من الرجال أو النساء، ﴿ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ في الدين والمنزلة عند الله، ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢١٦]، قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن صحابي فقير: «لَهَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» أخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه، ﴿ وَلا نِسَاءٌ﴾ يسخرن ﴿مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ في الصفات، وفي الإيمان، وفي الأخلاق، ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ يعني: لا تتلامزوا بالأقوال السيئة، ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾ التي يبغضها كأعرج، وأحول، لا سيما إذا كان يبغضها، أما إذا كان لا يبغضها لا حرج أو كان على سبيل التعريف، يقول لك: أين فلان؟ تقول: من الأعرج؟ فيقول: نعم؛ لأن الناس يختلفون، ﴿ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ أي: التنابز من الفسوق صاحبه فاسق في حال إيمانه، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ﴾ من السخرية والاستهزاء والتنابز، ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الذين يستحقون العقوبة.

قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٧٦):

يَنْهَى تَعَالَى عَنِ السُّخْرِيَةِ بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وغَمْص النَّاسِ" وَيُرْوَى: "وَغَمْطُ النَّاسِ" وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقِرِ لَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ ، فَنَصَّ عَلَى نَهْيِ الرِّجَالِ وَعَطَفَ بِنَهْيِ النِّسَاءِ. اهـ

الآية السابعة والستون بعد المائة(٤):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[الحجرات:١٢].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا ﴾ احذروا وابتعدوا عن: ﴿ كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ﴾ لأن أكثره حدس مبني على غير اليقين، وكل إنسان قد يظن بغيره على ما في نفسه عليه أو مما هو يتعاطاه؛ فلذلك ينبغي للإنسان أن يكون حذرًا من الظنون الفاسدة، فعن عمر **رضي الله عنه** يقول: من أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وسريرته إلى الله، ومن لم يُظهر لنا خيرًا لم نؤمنه ولم نقربه وإن قال بأن سريرته حسنة» أخرجه البخاري، ﴿ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ نهي عن التجسس، وهذه الخصلة صارت لها وظيفة وصار لها أتباع، ولا يُمنع أن الإمام يجعل من يترصد أهل الباطل، من أهل التكفير والتفجير، ويعلم من أحوالهم ما يؤدي إلى كبح ضررهم هذا قد يتعين، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يُرسل العيون في شأن حروبه ونحو ذلك، لكن المذموم التجسس على المسلمين عمومًا مع أن ظاهرهم السلامة، وربما وكلوا جواسيس يتجسسون على مساجد أهل السنة والجماعة ويكون الجاسوس إما اشتراكي، وإما رافضي، وإما علماني، وإما مبتدع ضال ممن يبغض هذه الطائفة وإذا به يرفع التقارير الكاذبة المزورة، وهؤلاء عندهم وعندهم وذاك مسكين يُصدق يرفع له الرتبة ويزيد له المعاش وما يدري أن صاحبه كاذب، وإلا كان شيخنا مقبل يقول: لو كان الجواسيس يرفعون كل ما يسمعون يعني: بالصدق بدون زيادة ولا نقصان؛ لكانوا دعاة إلى الله، يرفع تقرير إلى مديريه: اليوم تكلم الشيخ عن التوحيد، وذكر أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واليوم أعطى محاضرة في الصلاة فلو أنكم تأخذون بمثل هذه المحاضرات وتلزمون الناس بطاعة الله أمر طيب، واليوم أمر بالحجاب ودعا إلى الحجاب، فيكون داعيًا إلى الله، لكن المشكلة أنه جاسوس كذاب، فالتجسس حالة سيئة؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ» متفق عليه، وابن مسعود رضي الله عنه يقول: نُهينا عن التجسس، وإن يظهر لنا شيء عملنا به» أخرجه أبو داود، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا

مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ: لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتبَّعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، تَتبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، فَيَفْضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه .

﴿ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ والغيبة: ذكر أخاك بما يكره في غيبته، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ» متفق عليه ، ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾؟ هذا لا يكون، بل لا يستطيع أن يأكل لحم أخيه وهو حي، فكيف يأكل لحم منتن لحم ميت، فالمغتاب حاله كحال هذا، ويُعذب في قبره يخدش وجهه بأظفار من حديد، فعن أنس رضي الله عنه عند أبي داود قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: "لما عُرِج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكُلون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم"، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن تاب وأناب ورجع، وتكون التوبة من الغيبة بالاستغفار للأخ وذِكره بخير مما ذُكر فيه من قبل، ولا يطلب عفوه إلا إذا كان قد بلغته الغيبة، أما إذا كان لم تبلغه فلا يخبره فربما أدى إلى ضيق صدره، لكن يقول: عفا الله عن أخي، أو يقول لإخوانه الذين اغتابه عندهم: كنت أقول فيه كذا وكذا وظهر لي غير ذلك، أو يرسل إليه برسالة عامة أطلب منك العفو والمسامحة، أمور نحتاجها جميعًا.

الآية الثامنة والستون بعد المائة(٥):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات:١٣].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ يُخبر الله عَزَّ وَجَلَّ: ألا مفاضلة بين الناس في شأن ما يتعلق بأنسابهم، وما يتعلق بنوعهم هذا من الناحية الدينية؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾[الإسراء:٧٠]، ويقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[التين:٤]، فهذه أمور يشترك فيها الناس جميعًا، لكن الفضل بين الناس بالتقوى، وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الجملة الذكور أفضل من الإناث، لكن من آحاد الإناث من هي أفضل من ملايين الذكور، كما قال بعضهم:

ولـو كُـنَّ النّسـاءُ كمَـنْ فقـدْنا ... لفضّـلتُ النّسـاءَ علـى الرِّجَـالِ

وَمَا التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ ... ولا التّـذكيرُ فَخْـرٌ للهِـلالِ

فعائشة بملايين، وفاطمة بنت محمد بملايين إن لم يكن بمليارات إلى غير ذلك، وهكذا جنس العرب في الجملة أفضل من جنس العجم، لكن ليس معنى ذلك: أن كل واحد من آحاد العرب أفضل من آحاد العجم، فمن العجم من هو أفضل من ملايين العرب لا سيما إذا كان العربي مشرك مندد، فمن العجم علماء، وأئمة، وأتقياء ممن نصر الله بهم الدين، ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾ الشعوب في العجم، ﴿ وَقَبَائِلَ ﴾

القبائل في العرب، وقيل غير ذلك، ﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾ يعرف بعضكم بعضًا ويقع التزاور والتناكح والاعانات ونحو ذلك، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الكرامة بالتقوى، ﴿ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بجميع شأنكم.

سورة الرحمن

مكيّة وقيل: مدنية — آياتها (٧٨)

الآية التاسعة والستون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾[الرحمن:٣٣-٣٥].

الشـرح:

هذه الآية استدل بها أصحاب الهيئة الجديد: على ما يتعلق بصعود القمر، وأن المراد بالسلطان هنا: العلم، والذي عليه أهل التفسير: أن هذه الآية تحدٍ من الله عَزَّ وَجَلَّ للكافرين يوم القيامة: إن استطاعوا أن يفروا من عذاب الله.

فيقول تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ ﴾ الجماعة، ﴿ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ هم المكلفون، ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا﴾ تفروا وتخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فرارًا من الله عَزَّ وَجَلَّ ومن عذابه ومقته وغضبه، ﴿ فَانفُذُوا ﴾ اهربوا وفروا، ﴿ لا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ إلا بحجة وقوة وذلك ممتنع.

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بأي نعم الله يقع التكذيب.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ يوم القيامة، ﴿شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ﴾ أجزاء من النار ومن النحاس الحار فلا يقع النصر ولا السلامة.

سورة الحديد

مَدَنيّة — آياتها (٢٩)

الآية السبعون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الحديد:٢٨].

الشــرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ بفعل المأمور وترك المحظور، ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد **صلى الله عليه وسلم** واتبعوه: ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطيكم، ﴿كِفْلَيْنِ﴾ حظين: ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط يوم القيامة، وهكذا نور معنوي في الدنيا، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ متجاوز، ﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده.

وممن يؤتون أجرهم مرتين: ما جاء عن أَبِي مُوسَى، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ

مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ " متفق عليه وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم .

سورة المجادلة

مَدَنيّة — آياتها (٢٢)

الآية الواحدة والسبعون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[المجادلة:٩].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ ﴾ أي: تحدثتم فيما بينكم، ﴿ فَلَا تَتَنَاجَوْا﴾ **فلا تتحدثوا** ﴿بِالإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْعُدْوَانِ ﴾ بما هو خلاف الشرع، وما هو من الغيبة والنميمة والبغي، ﴿ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ التمالؤ على معصية الرسول **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ ﴾ وهو ملازمة الإحسان، ﴿ وَالتَّقْوَى ﴾ البُعد عن المعاصي والإجرام، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ يوم القيامة فتجازون على أعمالكم.

الآية الثامنة والسبعون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلة:١١].

الشـرح:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ مخاطبًا للمؤمنين وحاثًا لهم على جميل الآداب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ حتى يدخل أحدهم بينكم، ﴿ فَافْسَحُوا ﴾ بحيث يُزاحم بعضهم بعضًا قليلًا حتى لا يبقى أحدهم خارج المجلس أو في وسط المجلس إلا لحاجة، ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ما شاء في دنياكم وأخراكم، ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا ﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من المصالح ﴿فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ وهذه من أعظم الآيات التي تدل على فضيلة العلم، وأنه من أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة، ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذه الآية لشمر من أراد الله عَزَّ وَجَلَّ والدار الآخرة، وهم داخلون في قوله: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم خصهم بالذكر؛ لبيان علو منزلتهم على غيرهم: ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾ في الدنيا فهو المقدم للصلاة، والمقدم في الخطبة، وعند الموت هو المقدم في قبره، كما في حديث جابر: «أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»، فيقدمونه في اللحد أخرجه البخاري، وهكذا في الآخرة: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» أخرجه أبو داود عن ابن عمرو رضي الله عنه ، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أي: مطلع.

الآية التاسعة والسبعون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[المجادلة:١٢].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ هذه الآية منسوخة نسخها الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان مبدأ الأمر: أن من أراد أن يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقدم صدقة للمساكين والمحتاجين، ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ عند ربكم وأرفع لدرجاتكم، ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ﴾ ما تتصدقون به، ﴿ فَإِنَّ اللهَ ﴾ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ غَفُورٌ ﴾ متجاوز، ﴿ رَحِيمٌ ﴾ موفق للخير.

سورة الحشر

مَدَنيّة — آياتها (٢٤)

وتُسمى بسورة بني النضير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم فيها؛ حيث أرادوا قتله، ونقضوا العهد والميثاق .

الآية الثمانون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ

لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[الحشر:٢].

الشـرح:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ وهم يهود بني النضير، ﴿ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ حيث ذهبوا إلى الشام، ﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ﴾ لقوتهم ومناعتهم وكثرتهم، ﴿ وَظَنُّوا ﴾ استيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ﴾ فلا تستطيعون الوصول إليهم، لكن الله عَزَّ وَجَلَّ قذف في قلوبهم الرعب وهزمهم، ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ أي: من أنفسهم، ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف والجُبن والهلع وحالهم أنهم: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ، فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخرجوا بما حملته إبلهم، فكانوا يحملونها ما يخربون به من البيوت، ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قطعت النخل فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَحَرَّقَ»، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ:

وَهَـانَ عَلَـى سَـرَاةِ بَنِـي لُـؤَيٍّ ... حَرِيـقٌ بِـالْبُوَيْرَةِ مُسْـتَطِيرُ

متفق عليه .

فَقُطِع بعضه وحُرِق بعضه وتُرِكَ بعضه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[الحشر:٥]، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... فَمَا فَعَلَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ ... غَدَاةَ تَحَمَّلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
تَرَكْتُمْ قِدْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا ... وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
وَقَدْ قَالَ الْكَرِيمُ أَبُو حُبَابٍ ... أَقِيمُوا قَيْنُقَاعُ وَلَا تَسِيرُوا
وَقَدْ كَانُوا بِبَلْدَتِهِمْ ثِقَالًا ... كَمَا ثَقُلَتْ بِمَيْطَانَ الصُّخُورُ

﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾ اتعظوا، ﴿ يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ يا أصحاب القلوب المبصرة، فكم من مبصر بالعين أعمى بالقلب، فالذي يُريده الله عَزَّ وَجَلَّ أن نتفكر بقلوبنا وأن نتعظ، انظر كيف كانوا قبيلة قوية يهابهم من حولهم، فلما عصوا الله وعصوا رسوله صلى الله عليه وسلم خرجوا أذلة حقراء فهذه هي المصيبة، انظروا إلى ما يقع الآن بالأمة في فلسطين سواءً ما كان في غزة أو في غيرها، يضربهم اليهود بأقوى وأشد الأسلحة وهم في ضعف وقلة منعة، ولو تأملنا السبب في ذلك لوجدناه ضعف الاستقامة، وضعف الانقياد، وضعف التوحيد، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد:٧]، وكثير من الشعب العربي عمومًا والشعب الفلسطيني خصوصًا إلا ما رحم ربي عندهم تعلق بالقبور، عندهم تعلق بالسِحر، عندهم سفور، عندهم الأغاني، بل في كثير من البلاد الإسلامية الخمور، ويقول لك: يريد نصراً، أنى يأتي النصر، اليهود مشركون وكثير من هؤلاء عندهم شرك، اليهود عندهم تبرج وكثير من المسلمين عندهم تبرج، اليهود عندهم الأغاني وكثير من المسلمين عندهم الأغاني، اليهود عندهم الخمور وكثير من المسلمين عندهم الخمور، اليهود عندهم الديمقراطية وكثير من المسلمين عندهم الديمقراطية، اليهود عندهم الاختلاط وكثير

من المسلمين عندهم الاختلاط، اليهود أكلة الرباء وكثير من المسلمين يأكلون الربا والبنوك في كل بلد، إذًا: ما بقي إلا أن اليهود في السلاح أقوى من هؤلاء، فالنصر في مثل هذا بقوة السلاح، لكن لو تمسك المسلمون بدينهم حقًا وصدقًا، ظاهرًا باطنًا عند ذلك يكون ما قاله الله عز وجل: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:٢٤٩]، وقال: ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ ﴾[آل عمران:١٢٥]، بالنصر والتمكين والعز والرفعة.

فهذه حركة حماس متمالئة مع الرافضة مع إيران سبابة أصحاب النبي **صلى الله عليه وسلم** ، وإيران عندها عقود وعهود ومواثيق بينها وبين اليهود، هذا أمر معلوم ما فضيحة ريقت غيت التي نزلت فيها الطائرة التي تنزل من إسرائيل تنقل سلاح بين إسرائيل وإيران في أيام الحرب العراقية الإيرانية ببعيدة، وبقية المسلمين عندهم ضعف استقامة، وضعف انقياد، عندهم ضعف متابعة لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** فتداعت عليهم الأمم وفي حديث زينب رضي الله عنها: «أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» أخرجه البخاري .

فنحن ندعو المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة إلى توبة نصوح .

فانتصار الدولة الفلسطينية يكون بالعودة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وبترك هذه اللعبة السياسية وهذه الالتفاتات إلى إيران واليهود والنصارى وغير ذلك من البلاء العريض، ومع ذلك نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرفع البلاء والمحنة عن إخواننا في فلسطين، والله إن القلوب لتتقطع لما ترى من بطش اليهود بالمسلمين في تلك البلاد، يلقون عليهم أطنان من الصواريخ والمتفجرات وهم في ضعف، والله المستعان.

وهنا تنبيه: أن ليست عداوتنا مع اليهود من أجل الأرض فقط، نعم هم اغتصبوا الأرض لكن ينبغي أن تكون العداوة لأنهم أعداء الله وأعداء رسوله **صلى الله عليه وسلم**، فاليهودي عدونا، والنصراني عدونا، أخذوا أراضينا أم أعطونا أراضيهم هم أعداؤنا في جميع الحالات واللحظات، فعلى المسلمين أن يصححوا العقائد في باب الولاء والبراء، والله المستعان .

الآية الواحدة والثمانون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الحشر:١٨].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين: أن يتقوا الله بفعل المأمور وترك المحظور، وأن يستعدوا لآخرتهم بالأعمال الصالحة: ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ من الأعمال الصالحة أو السيئة، فإن كانت من أصحاب الأعمال الصالحة يُرجى لها الخير، وإن كانت من أصحاب الأعمال السيئة يُخاف عليها الشر والضير، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ مطلع على جميع أفعالكم وأقوالكم.

وهذه الآية ربما جاء بها النبي **صلى الله عليه وسلم** في خطبة الحاجة كما في حديث جرير **رضي الله عنه** ؛ عند مسلم، وذلك لما فيها من العظة والعبرة، والحث على التزود من الخير.

وسبحان الله كم هي الآيات التي فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ﴾؛ لأن تقوى الله هي مفتاح لكل خير، وترك ذلك هو سبب لكل شر وضير، فيا أيها الذين أمنوا اتقوا الله في جميع أحوالكم ينصركم الله، ويعزكم، ويمكنكم، ويرزقكم، ويحفظكم، ويسددكم، ويدافع عنكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سورة الممتحنة

مَدَنيّة — آياتُها (١٣)

وكان نزولها بعد الحديبة.

الآية الثانية والثمانون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[الممتحنة:١].

الشــرح:

هذه الآية نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة **رضي الله عنه** ، فعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ

أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] متفق عليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ﴾ الكافر، ﴿ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الذي يتربص بكم الدوائر، ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ تنصرونهم وتحبونهم وتودونهم، ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ بالحب والرضا فهذا لا ينبغي ولا يجوز، ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وهو القرآن ومبعث النبي عليه الصلاة والسلام، ومن صنيعهم أيضًا: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ من مكة، والسبب في إخراجهم لكم: ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ ﴾ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[البروج:٨]، فكيف تفعلون ذلك: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي ﴾ لإعلاء كلمة الله، ﴿ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ طلب رضوان الله، ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ

﴿ تكتبون إليهم سرًا بما يؤدي إلى مودتهم والقرب منهم، ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ ﴾ في نفوسكم وصدوركم، ﴿ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ مما ظهر وبان منكم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ﴾ المودة لهم ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ فقد ضل وانحرف عن الطريق المستقيم وهذه الآية يستدل بها الخوارج على تكفير الحكومات، والآية فيها رد عليهم فإن الله عَزَّ وَجَلَّ نادى حاطبًا رضي الله عنه باسم الإيمان مع ما قد وقع منه من هذه المكاتبة، فنهاه الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك.

واستدل ابن القيم رحمه الله بقصة رسالة حاطب على جواز قتل الجاسوس على المسلمين، سواءً كان كافرًا أو مسلمًا إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل حاطب؛ لما تقدم وإلا فقد أقر عمر على قوله: دعني أضرب عنقه .

الآية الثالثة والثمانون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الممتحنة:١٠].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن عمرو رضي الله عنها فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما

عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبي سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلما. وجاء المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يؤمئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما نزل فيهن ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ .

قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قالت عروة قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله» أخرجه البخاري .

﴿ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ اختبروهن هل سبب الهجرة محبة الدين أم أنه طلب الزوج وغير ذلك مما تفعله النساء، ﴿ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ مطلع على ما في قلوبهن من الإيمان ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ ﴾ عرفتموهن: ﴿ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ أي: بعد الاختبار علمتم الصدق فيهن وعدم الكذب، ﴿ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ وهذا مستثنى من ذلك الصُلح: أن من

جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش يرده إليهم، ومن جاء منه إلى قريش لا يردونه إليه، استثنى الله عَزَّ وَجَلَّ النساء؛ لضعفهن وسرعة الافتتان منهن والسبب في المنع من ردهن: ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ أي: الأزواج الكفار لا يحلون للمؤمنات، ولا المؤمنات يحللن لهم، ﴿ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا ﴾ من المهور يعني: إذا جاء يُطالب بها قل له: هذا مهرك وهذا مالك وليس لك عليها سبيل، ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ ﴾ أي: بعد الاستبراء، وتستبرئ بحيضة إلا إذا أسلم زوجها قبل نكاحها فإنها ترجع إليه كما أسلم العاص بن الربيع بعد أربع سنوات ورجعت إليه زينب، ولم يُذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بعقد جديد أو مهر جديد، وأما إذا استبرأت بحيضة ولم يكن قد أسلم ولحقها وأحبت أن تتزوج فلا جناح عليها عند ذلك أن تتزوج، ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهن، فلم يكن نكاح متعة، ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ لما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ شأن المؤمنات وأنها لا تحل للكافر بحال حذر كذلك المؤمنين من البقاء مع الكافرات: ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ أي: تجعلوهن في نكاحكم بل فارقوهن حالًا، ويستثنى من هذا الكتابية اليهودية والنصرانية، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ ﴾ أي: من المهور والأموال إذا رجعن إلى قريش، ﴿ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ﴾ إذا أتين النساء إليكم، ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ جميعًا، ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ ﴾ بما هو من مصالح العباد ومن جميع الشؤون، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في تقديره وفي خلقه وفعله.

وهذه الآية كان فيها فرج بعد شدة إذ أن المرأة إذا جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة من مكة إلى المدينة ثم يقوم بردها فيها ثقل كبير على المرأة، وربما فُتِنت وربما زوجها من غير كُفء لها في الإسلام، والله المستعان.

وفي هذه الآية رد على حزب التحرير والترابي ومن إليهم الذين جوزوا زواج المسلمة من الكافر اليهودي أو النصراني مخالفين لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ ما لم يقع منهم الإسلام، وانظر إلى أم سُليم تقول: يا أبا طلحة إني مسلمة وأنت كافر، فإذا أردت الزواج بي فأسلم يكن ذلك مهري منك» أخرجه أبو داود عن أنس رضي الله عنه؛ لأنه قد عُلِم أن المسلمة لا يجوز بحال أن تكون تحت كافر، كما قال تعالى: : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾[البقرة:٢٢١]، فانظروا كيف يجوزون للمسلمة نكاح الكتابي الكافر، ثم يُكيلون التهم على أهل السنة والجماعة: أنهم هم الذين ضيعوا فلسطين وأنهم هم الذين فعلوا وفعلوا؛ لا والله ما أضاع فلسطين إلا هؤلاء الذين يقربون من اليهود والنصارى، أما أهل السنة لو كان الأمر إليهم ولديهم القدرة والاستطاعة ما تخلفوا عن إعلاء كلمة الله عز وجل.

ثم أيضًا هذه القتالات التي تقع مع أننا نتألم على المسلمين في فلسطين، ونتحسر لما نرى مما يقع عليهم كثير منها غير منضبطة، الجهاد ينبغي أن يعلنه ويقوم عليه الإمام سواء جهاد الدفع أو الطلب، وينظر الإنسان للمصلحة الشرعية في دفع البغاة أو في الصبر عليه.

ثم أنه قد تمزق المسلمون إلى دويلات وقذف الله عَزَّ وَجَلَّ في قلوبهم خوف الكفار وإلا فلو قام المسلمون قومة واحدة يستطيعون عند ذلك عمل شيء بل أشياء، لكن بسبب التمزق الذي هم عليه عجزوا ورضوا بالتنديد، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعين البلاد والعباد على طاعته.

وفي نفس الوقت الحُكام قد ضعفوا بسبب المبتدعة الحزبيين؛ لأن الحزبية جاءت من قِبل الديمقراطية والماسونية فأضعفوا البلدان والأوطان، وأضعفوا حُكامهم بسبب مكرهم وبغيهم، فتداخلت القضية وأصبح الناس في حيص بيص إلا أن الأمل في الله عظيم أن ينصر دينه ويُعلي كلمته، واليهود بغيهم يعود عليهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[يونس:٢٣]، ثم كثير من الناس يظن أنه ينصر فلسطين بالمظاهرات، نقول: المظاهرات لا تنصر فلسطين، ولا تنصر الحق، المظاهرات أصلها باطل فكيف تنصر بل تخذل وإنما هي تخدير للشعوب، يعني: إذا أرادوا أن يخدروا الشعب عمل مظاهرة يخرج إلى الشوارع يصيح فيخرج ما في نفسه وظن أنه انتصر لا سيما عندنا في اليمن يرجع يخزن وينظر في التلفزيون وهو يُظاهر: الموت لأمريكا الموت لإسرائيل وما فعل في إسرائيل وأمريكا شيئًا، والله المستعان، فإنما هو المكر والكيد، وأما القدس فلن يحررها إلا أهل السنة في الزمن الماضي: حررها عمر بن الخطاب، ثم صلاح الدين الأيوبي، ثم سيأتي أهل السنة ويحررونها، فالمبتدعة لا يأتي منهم خير للمسلمين أبدًا، والله المستعان .

الآية الرابعة والثمانون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[الممتحنة:١٢].

الشـرح:

هذه تُسمى ببيعة النساء، والنبي **صلى الله عليه وسلم** لم يُصافح امرأة قط إنما كان يُجيبهن بالكلام، وقد بايع النبي **صلى الله عليه وسلم** الرجال أيضًا على هذه البيعة.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: شَهِدْتُ الصَّلاَةَ يَوْمَ الفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ، فَنَزَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ، حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلاَلٍ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ: «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ - لاَ يَدْرِي الحَسَنُ مَنْ هِيَ - قَالَ: «فَتَصَدَّقْنَ» وَبَسَطَ بِلاَلٌ ثَوْبَهُ، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الفَتَخَ وَالخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ» أخرجه البخاري (٤٨٩٥) أخرجه مسلم (٨٨٤) .

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا – وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ كُلَّهَا – فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» متفق عليه .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ مسلمات منقادات، ﴿ يُبَايِعْنَكَ ﴾ يُعاهدنك، ﴿ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا ﴾ لا في الربوبية، ولا في الألوهية، ولا في الأسماء والصفات بل يلزمن التوحيد والسنة؛ لأن الشرك ظلم عظيم وذنب جسيم يؤدي إلى الخلود في النار، ﴿ وَلا يَسْرِقْنَ ﴾ أموال الغير المحرزة، ﴿ وَلا يَزْنِينَ ﴾ بفروجهن متعاطيات للحرام، ﴿ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ سواءً الوأد، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾[التكوير:٨]، أو غير ذلك مما يفعلنه، ﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ سواءً من الزنا أو غير ذلك، ﴿ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ الطاعة فيما استطعن وأطقن، ﴿ فَبَايِعْهُنَّ ﴾ يعني: عاقدهن على ذلك، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ﴾ مما يقع من التقصير؛ لأن النساء ضعيفات، وكان مما بايعهن عليه: ألا ينحن على الأموات، وهذا قد خالفه الكثير منهن، ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يستر ويعفو.

الآية الخامسة والثمانون بعد المائة(٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾[الممتحنة:١٣].

الشــرح:

في هذه الآية في النهي عن تولي الكفار، وقد نهي عن ذلك في أول السورة، وفي آخرها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا ﴾ الكفار، بالحب والمناصرة والرضا والمودة وشأنهم أنهم: ﴿ قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بسبب كفرهم وبغيهم، ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ لا يؤمنون بآخرة ولا بعث ولا نشور، ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ كما يئس الكفار من خروج أصحاب القبور الذين قد صاروا ترابًا ورميمًا، فعلى المسلم أن يكون بعيدًا عن كل هذه الأخلاق السيئة المردية والله المستعان.

سورة الصف

مَدَنيّة — آياتُها (١٤)

سُميت بالصف؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[الصف:٤].

الآية السادسة والثمانون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف:٢-٣].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾، هذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين يحذرهم أن يقولوا أقوالًا بألسنتهم يخالفونها بأفعالهم، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ ذامًا لليهود: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:٤٤]، فالأحرى: أن الإنسان يبدأ بنفسه:

ابْـدَأْ بِنَفْسِـكَ فَانْهَهَـا عَـنْ غَيِّهَـا ... فَـإِذَا انْتَهَـتْ عَنْـهُ فَأَنْـتَ حَكِـيمُ

فعند ذلك يستفيد الناس من الواعظ، أما إذا رأوا أنك في بُعد عن الاستقامة وإن كنت تدعو إليها بلسانك قل أن يستجيبوا لك إذ لسان حالهم يقول: لو كان خيرًا لسبقنا إليه.

ومما يذكره اليمنيون في مجالسهم: أن رجلًا كان يقول: يا أيها الناس تصدقوا، يا أيها الناس افعلوا، فذهب ولده وأخرج العشاء للمسكين، فلما رجع ولم يجد العشاء قال: أين العشاء؟ قال: أخرجته للمسكين وأنت تقول: يا أيها الناس تصدقوا قال: أنا أقول يا أيها الناس ما أقول يا أيها نحن، الشاهد: أن الإنسان يبدأ بنفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإن كان مقصرًا لا يمنع أن ينصح غيره، قال ابن النَّحَاس: لا يمنع متعاطي الكؤوس أن ينصح بعضهم بعضًا.

انظر كيف يقول تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ ﴾ بغضًا: ﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ يمقت الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الصنف ويبغضه، وربما بغضه إلى عباده.

الآية السابعة والثمانون بعد المائة(٢):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الصف:١٠-١١].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ مخاطبًا للمؤمنين: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ أرشدكم، ﴿ عَلَى تِجَارَةٍ ﴾ إلى تجارة، فعلى وإلى تأتي بمعنى واحد كثيرًا، ﴿ تُنجِيكُمْ ﴾ تسلمكم: ﴿ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ موجع في الدنيا والآخرة.

﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ربًا، ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ **صلى الله عليه وسلم** نبيًا، فتخلصون العمل لله وتخلصون المتابعة لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، ﴿ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من أجل إعلاء كلمته وإظهار دينه: ﴿ بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ قدم الجهاد بالمال؛ لأن الجهاد بالنفس لا يكون إلا مع المال، فربما إذا أراد أن ينتقل من مدينة إلى مدينة لن يستطيع إلا بمال، وإذا أراد السلاح لا يستطيع إلا بمال فالمال شأنه عظيم، قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**» **أخرجه أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه**، ﴿ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ وأكمل أنواع الجهاد: أن يُجاهد الإنسان بنفسه وماله، ثم أن يُجاهد بنفسه، ثم أن يجاهد بماله، وقد يتقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في حال القلة والحاجة، قال النبي **صلى الله عليه وسلم** : «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**»، وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا» متفق

عليه، ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ حكم الله وشرعه .

ثم من ثواب الجهاد أن الله عز وجل: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[الصف:١٢].

الآية الثامنة والثمانون بعد المائة(٣):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[الصف:١٤].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللهِ ﴾ يأمر الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين أن ينصروا دينه وينصروا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلمة: أنصار الله، وحزب الله ينبغي أن لا تكون دعاية إعلامية وكلمة ظاهرية والباطن سيء، فأنصار الله: هم الذين ينصرون دين الله، وهذا الخطاب للصحابة وقد دخلوا فيه ابتداءً وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصروه وعزروه ووقروه، ثم يأتي أُناس في آخر الزمان يُسمون بأنصار الله ويطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما دعوا إلى الشرك والتنديد، وقتلوا المسلمين، وفعلوا الأفاعيل المشينة ويُسمون أنفسهم: أنصار الله بل هم أنصار الشيطان، وأنصار الشر، وأنصار الفتنة والبلاء:

وَالـدَّعاوي إن لَـمْ تُقيمُـوا عَليها ... بيِّنـــاتٍ أَصـــحَابُها أدْعيَـــاءُ

فاليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ومع ذلك لم تنفعهم هذه الدعوى، بل هم أعداء الله ويبغضهم الله ويعذبهم الله، وقال عنهم: ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾[المائدة:٦٨]، ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ ﴾ الذين آمنوا به واتبعوه وناصروه، فالحواري: الناصر، ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ من ينصرني في تبليغ دين الله والعمل به والدعوة إليه، ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ ﴾ ظاهرًا باطنًا، ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بعيسى عليه السلام، ﴿ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ وهم اليهود، ﴿ فَأَيَّدْنَا﴾ نصرنا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ الكافر ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ عالين منتصرين، وفعلًا أن النصارى قبل مبعث النبي **صلى الله عليه وسلم** علوا على اليهود وكانوا هم أهل الظهور حتى كان اليهود في حالة استضعاف، بل إن هرقل حين رأى نجم الختان قد ظهر أمر بقتل اليهود، كان يظن أن هذا النبي سيكون منهم، فبينما رجل من العرب في الشام قضى حاجةً فرآه بعضهم أنه مختون فأُخبِر هرقل بذلك فسأله: هل تختتنون؟ قال: نعم، فعلم أن النبي **صلى الله عليه وسلم** سيكون من العرب؛ لأن الختان هو شعيرة إبراهيم عليه السلام، اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم، قيل: موضع اسمه القدوم، والصحيح: أنه بالقدوم المعروفة هذه التي يُضرب بها الخشب، لم يكن لديه آلة وأراد أن يُطبق هذه الشعيرة وهذه الفطرة فاختتن، أما النصارى إلى الآن لا يختتنون حالهم سيء في باب النجاسات ولا يتورعون أن يُجامعوا المرأة في حال حيضها، وكذلك لا يستنجون من بولهم ولا من غائطهم، واليهود إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت لا يُؤاكلوها ولا يُجالسوها ويعتبرونها نجسة، والإسلام جاء بأعدل الأمور في هذا الباب وفي غيره

فالمرأة تُجالس وتؤاكل وربما كانت مع زوجها على الفراش إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ حرم عليه غشيانها في حال حيضها.

فالشاهد: أن الله عَزَّ وَجَلَّ ينادي المؤمنين أن يكونوا أنصارًا له مع أنه غني عن العالمين؛ لكن الحال: ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد:٧]، «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

فإذا أراد المسلمون أن يؤيدهم الله عَزَّ وَجَلَّ وأن ينصرهم على عدوهم اليهودي، والنصراني، والرافضي، والبوذي، والهندوسي ما عليهم إلا أن يرجعوا إلى الله بتوبة صادقة، وأن يخلصوا له العبادة ويخلصوا لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** المتابعة، هذا هو الذي تقوى به الأمة وتنتصر وتُعَز، أما المظاهرات والسير خلف الكافرين فإنه لا يُجدي ولا يأتي بخير، وما سلط الله عَزَّ وَجَلَّ اليهود على المسلمين لكرامتهم فاليهود قد لُعِنوا وطُرِدوا من رحمة الله على لسان داود وعيسى بن مريم من زمن قديم، ولكن وقع ما وقع منهم بسبب البُعد والقصور والضعف العلمي والعملي، فالعرب قبل مبعث النبي **صلى الله عليه وسلم** لم تكن لهم دولة، كانوا عبارة عن قبائل، القبيلة القوية تأكل الضعيفة، والضعيفة تدخل تحت القوية، والقبائل التي قريب من الشام بعضها مع الفُرس وبعضها مع الروم، والبلاد اليمنية دخلها الأحباش وأخذوها وتملكوها، كان شأنهم دون في جميع الأمور حتى بعث الله عَزَّ وَجَلَّ محمدًا **صلى الله عليه وسلم** ، فلما ناصروه وعزروه ووقروه، وآمنوا به، وعملوا بأمره، وانتهوا عن نهيه وزجره أعزهم الله، غزوا فارس بعدد ليس بالكثير

بالنسبة لجنود فارس، وغزوا الروم بعدد ليس بالكثير بالنسبة لجنود الروم، وكان قد وقع بين فارس والروم أكثر من سبعمائة معركة لم يقع من أحدهم استئصال للآخر، والمسلمون في قريب من أربعة عشر سنة قضوا على الدولتين بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ ونصره وعونه ثم بسبب الاستقامة على الإسلام.

قال المغيرة بن شعبة: فخرج عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ المُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاَءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الجُوعِ، وَنَلْبَسُ الوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ» الحديث، أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة.

هرقل يقول لأبي سفيان: إن يكن ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

فنفس الأمر: على المسلمين أن يعودوا إلى الله، نحن نتألم على فلسطين ومن الذي لا يتألم على فلسطين ضعيف الإيمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه ونتألم على ما يقع للمسلمين في سوريا، والعراق، واليمن، وبورما، والهند وفي أي بلاد من بلدان الله الواسعة، لكن بسبب البُعد عن التمسك بالدين تجد الناس في حال

قيد وتكبيل، لا الحاكم يستطيع أن يفعل شيئًا، ولا المحكوم يستطيع يفعل شيئًا والسبب المعاصي، فليست القضية قضية حُكام لماذا لا يحركون الطائرات؟ ولماذا لا يحركون الأساطيل، ولماذا لم يفعلوا؟ هم مُكبلون كما نحن مُكبلين كبلتنا المعاصي والذنوب: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]، إذا أردنا من الحُكام أن يقيموا بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ كما يجب يجب علينا أن نقوم بأمر الله كما يجب وأن ندعوا لهم، وأن نوجه النصائح عند ذلك يقع النصر، ويقع الظهور، ويقع العز، فالمجتمع يعج بالمخالفين، هذا بالشرك وهذا بفساد العقيدة وهذا بالسرقة، وهذا بالزنا، وهذا بالخمر، وهذا باللواط، وهذا يُغني، وهذا يزمر، وهذا وهذا، فمجتمع هذا حاله هل تنتظر منه أن ينتصر؟ ما سينتصر، لو يكون معه القنبلة الذرية، والنووية، والهدروجينية، والقنابل الفسفورية، والقنابل الفراغية ما سينتصر؛ لأنه مهزوم من الله بسبب بالذنوب والمعاصي، قال عمر رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله.

فأسباب النصر سهلة على الجميع: نعود إلى الله نتمسك بكتابه ونأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وستجدون أن النصر حليفنا.

الشيخ الألباني رحمه الله تعالى يقول: اليهود سيخرجون من فلسطين وهذا عندنا عقيدة؛ لكن من سيخرجهم؟ سيخرجهم أهل التوحيد وأهل الإيمان، ومع ذلك حين تحدث بعضهم عن التوحيد ربما يتنكر لك، الزيارات الشركية عندهم شيء عادي وطبيعي، انظروا في شبعان كم تتوجه من الزيارات عندنا في اليمن إلى قبر هود، والعطاس، والعيدروس، والمحضار، وابن عيسى، وفلان، كم من أسماء نسميها ولا

أحد يتألم ولا أحد يقول: هذا منكر وهذا باطل مع أن هذا أعظم الباطل وأعظم الظلم في الأرض، وإذا قمت تنهاهم في خطبة جمعة عن معصية أو تأمرهم بطاعة قالوا: هذا متشدد، هذا متزمت، هذا متعنت، يتنكرون للحق وتنشرح صدورهم للباطل، كيف يقع النصر؟ هذا إذا كان عندنا كيف في فلسطين عندهم قبور كثيرة تعبد من دون الله، وفي السودان قبور كثيرة، وفي العراق قبور كثيرة، وفي إيران حدث ولا حرج، وفي أفغانستان، وفي باكستان، وفي الهند، وفي إندونيسيا بل أغلب البلاد الإسلامية ملغمة بالقبور، ملغمة بالشركيات، ملغمة بالبدع والخرافات فأنى يُنصرون وأنى يُمكنون، هذا يتعارض مع قدر الله الكوني فضلًا عن القدر الشرعي: أن أهل الباطل تكون لهم دولة مستمرة إنما هي جولة ثم يمكن الله عَزَّ وَجَلَّ لأوليائه، فلنستبشر إن تبنا إلى الله وعندنا إليه وناصرنا دينه وناصرنا سنة نبيه **صلى الله عليه وسلم**، وأحببنا أهل الإسلام، وأبغضنا أهل الكفر والطغيان، وتبنا إلى الله من المعاصي والسيئات عند ذلك سيأتي الخير العظيم.

فالنصر ليس بالكثرة ولا بالعتاد والعدة النصر من عند الله، نصر المسلمين في بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، ونصر طالوت بثلاثمائة وثلاثة عشر، فقد خرج معه آلاف مؤلفة، فلما وصلوا إلى البلدة التي يُريد عصوا الله عَزَّ وَجَلَّ بشربة ماء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾[البقرة:٢٤٩]، يعني: مختبركم بنهر: ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾[البقرة:٢٤٩]، ولن يكون في جيشي، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[البقرة:٢٤٩]، يكون معي ناصراً ومؤيداً وقائماً بالأمر، ثم أذن الله عَزَّ وَجَلَّ لمن كان في شدة عطش ونحو ذلك: أن يأخذ غرفة من ماء يجعل الله

فيها بركة، فشربوا منه جميعًا إلا قليلًا منهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدة أهل بدر، عند ذلك قالوا: ﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾[البقرة:٢٤٩]، جالوت معه آلاف، وطالوت الآلاف ذهبوا بقي طائفة يسيرة، فكان الوعد من الله: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:٢٤٩]، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ ﴾[البقرة:٢٥١]، انتصر المسلمون في وقائع كثيرة، هذه وقعة واحدة ووقعة بدر وقعة واحدة، وكم هي الوقائع التي أعز الله فيها أهل الإسلام، وأذل الله عَزَّ وَجَلَّ فيها أهل الشرك والطغيان والإجرام.

نسأل الله أن يرفع البلاء عن المسلمين، وأن يقبل بقلوبهم على طاعته وعبادته.

سورة الجمعة

مَدنيّة — آياتها (١٤)

الآية التاسعة والثمانون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[الجمعة:٦].

الشــرح:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ﴾ نصراء ومحبون ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ المؤمنين وغيرهم فهذا نداء من الله عَزَّ وَجَلَّ لليهود الذين زعموا: أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أهل الجنة، قال: إن كان الأمر كما

قلتم: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ولو تمنوه لوقع بهم؛ ولذلك رهبوا وخافوا: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة:٩٦].

فاليهود والنصارى وجميع الكفار عندهم حرص على الحياة لأنها جنتهم .

الآية التسعون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة:٩-١٠].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ وهو النداء الذي يكون عند صعود الإمام على المنبر، وهو الذي كان على عهد النبي **صلى الله عليه وسلم** ، وأما النداء الذي كان على الزوراء فإنما جعله عثمان بن عفان رضي عنه لتذكير الناس بالوقت لما كثروا، ولم يكن على عهد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولا عهد أبي بكر ولا عمر، ف عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: «كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى المِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: " الزَّوْرَاءُ: مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ " أخرجه البخاري (٩١٢) .

وهذا النداء إذا صعد الإمام على المنبر يحرم معه البيع والشراء وجميع العقود، فلا يجوز حتى عقد النكاح ولا عقد الإجارة ولا عقد البيع؛ لأن الحضور واجب على كل ذكر حر مقيم غير مريض، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ امْرَأَةٌ ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ» أخرجه أبو داود عن طارق بن شهاب رضي الله عنه، والمراد بالصلاة التي ذُكرت في هذا الموطن هي صلاة الجمعة، ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ إلى خطبة الجمعة وما كان من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ والشراء، ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي: التبكير والحضور إلى الجمعة، ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ في دينكم ودنياكم: ﴿ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ والأمر للإباحة، ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ من رزقه، ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ذكر اللسان، ويدخل فيه ذكر القلب والجوارح، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ والفلاح: هو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب.

وفي الصحيحين عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ، فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] " متفق عليه .

سورة المنافقون

مَدنيّة — آياتها (١١)

الآية الوحدة والتسعون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[المنافقون:٩].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا معشر من آمن بلسانه وقلبه وانقاد لأمر الله: ﴿ لا تُلْهِكُمْ ﴾ تشغلكم: ﴿ أَمْوَالُكُمْ ﴾ التي تطلبونها وتبحثون عنها، ﴿ وَلا أَوْلادُكُمْ ﴾ الذين تؤملون فيهم، ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ عن طاعة الله، ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ فينشغل بالفاني على الباقي ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ في الدنيا والآخرة، وسيأتي بيان ذلك في آية سورة التغابن.

سورة التغابن

مَدنيّة — آياتها (١٨)

الآية الثانية والتسعون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[التغابن:١٤].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ زوجاتكم، وللنساء الأزواج، ﴿ وَأَوْلادِكُمْ ﴾ ذريتكم، ﴿ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ من حيث أنهم يشغلونكم عن طاعة الله، وربما أوقعوكم في معصية الله، ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ كونوا على حذر من فتنتهم، ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا ﴾ وتتجاوزوا، ﴿ وَتَصْفَحُوا ﴾ لا تؤاخذوهم بما صنعوا، ﴿ وَتَغْفِرُوا ﴾ تستروا، ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لكم، وليس المراد بالعداوة هنا العداوة التي هي مظنة الاقتتال، لكن عداوة من حيث أنهم يشغلون عن طاعة الله، فكم من إنسان يترك طلب العلم من أجل زوجه أو ولده، وكم من إنسان يُشغل بالدنيا من أجل زوجه وولده؛ ولذلك أخبر الله أنهم فتنة: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[التغابن:١٥]، مع أنهم زينة، كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾[آل عمران:١٤]، وقال: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف:٤٦]، لكن الاشتغال بهم قد يُلهي عن طاعة الله ويشغل عن ذكر الله.

سورة الطلاق

مَدَنيّة — آياتها (١٢)

الآية الثالثة والتسعون بعد المائة(١):

قال تعالى: ﴿ يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۞ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ

مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾[الطلاق:١-٢].

الشـرح:

﴿ يا أيها النَّبِيُّ ﴾ ينادي الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه وهو أمر لأمته؛ لأنه قال بعدها: ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ على العموم ﴿النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ والطلاق بيد الزوج: «**إِنَّمَا الطَّلَاقُ لِمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ**»، والطلاق يكون للزوجة فلا يجوز للرجل أن يطلق زوجة غيره إلا إذا وكله بذلك، ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أي: لحال عدتهن: وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ حَيْضَةً أُخْرَى، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ يُطَلِّقُ بَعْدُ، أَوْ يُمْسِكُ» أخرجه البخاري، وهذا هو الطلاق السني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، أو يطلقها حاملًا، وأما الطلاق في طُهر جامعها فيه فهو طلاق بدعي، وهل يقع أو لا يقع؟ الصحيح: أنه يقع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا**»، والرجعة هنا هي الرجعة الشرعية لا اللغوية على ما قال بعضهم، وحسبت عليه طلقة، وأما ما جاء عند أبي داود من طريق أبي الزبير: أنها لم تحسب عليه فقد أعلها أبو داود وغيره من أهل العلم وهي مخالفة لما في الصحيحين، وقد بينا ما يتعلق بهذه المسألة بتوسع في شرحنا على عمدة الأحكام، ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ عدة الطلاق وهي: ثلاثة قروء، للمرأة التي تحيض، وللحامل بالوضع؛ لحديث أم سلمة في قصة سبيعة الأسلمية:

فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّه كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيِّ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ، فَيَسْأَلَهَا عَنْ حَدِيثِهَا، وَعَمَّا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَفْتَتْهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى عَبدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ يُخْبِرُهُ، أَنَّ سُبَيْعَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ وَهُوَ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا، تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ - فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تَرْجِينَ النِّكَاحَ، إِنَّكِ، وَاللهِ، مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، «فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «فَلَا أَرَى بَأْسًا أَنْ تَتَزَوَّجَ حِينَ وَضَعَتْ، وَإِنْ كَانَتْ فِي دَمِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَقْرَبُهَا زَوْجُهَا حَتَّى تَطْهُرَ» أخرجه مسلم .

وهكذا الآيسة أو الصغيرة التي لم تحض بثلاثة أشهر، لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وأما غير المدخول بها فليس عليها عدة كما تقدم في سورة الأحزاب، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ هذا في الطلاق الرجعي لا تخرج من البيت ولا زوجها يخرجها؛ لأنهما قد يتراجعان فيما بينهما ويصلح شأنهما، وأما الطلاق البائن فلا سُكنى ولا نفقة كما جاء

في حديث فاطمة بنت قيس: إذا جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تُطالب بالسكنى والنفقة فأخبرها ألا سكنى لها ولا نفقة، وأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وكان رجل أعمى والحديث في صحيح مسلم، ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ الزنا، فعند ذلك لا سكنى لها ولا نفقة سواءً كان الطلاق الأول أو الثاني أو الثالث، ﴿ وَتِلْكَ ﴾ أي: المذكورات من الأحكام: ﴿ حُدُودُ اللهِ ﴾ حدها الله فلا يجوز أن تُخالف وتنتهك، ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ ﴾ غير ملتفت إلى أمر الله ونهيه: ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ بالمعصية، ﴿ لا تَدْرِي ﴾ لا تعلم ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا ﴾ وهو الرجعة وبهذا الوجه استدلت فاطمة بنت قيس على عمر بن الخطاب قالت: وأي شيء يحدثهُ الله بعد ذلك، وإنما إحداث الأمرفيما كان دون الثلاث لعله أن يقع بينهما المراجعة وترجع إلى عصمته ويقوم بشأن زوجته.

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج مخيرًا بين الإمساك والفراق. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: على وجه المعاشرة [الحسنة] ، والصحبة الجميلة، لا على وجه الضرار، وإرادة الشر والحبس، فإن إمساكها على هذا الوجه، لا يجوز، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: فراقًا لا محذور فيه، من غير تشاتم ولا تخاصم، ولا قهر لها على أخذ شيء من مالها.

﴿وَأَشْهِدُوا﴾ على طلاقها ورجعتها ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدًا لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيانه.

﴿وَأَقِيمُوا﴾ أيها الشهداء ﴿الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: ائتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده ولا تراعوا بها قريبًا لقرابته، ولا صاحبًا لمحبته، ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرنا لكم من الأحكام والحدود ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فإن من يؤمن بالله واليوم الآخر، يوجب له ذلك أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة، ما تمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر، ولا يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم، أمر تعالى بتقواه، وأن من اتقاه في الطلاق وغيره فإن الله يجعل له فرجًا ومخرجًا.

فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقعه طلقة واحدة، في غير حيض ولا طهر قد وطئ فيه فإنه لا يضيق عليه الأمر، بل جعل الله له فرجًا وسعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق، والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، فكل من اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة.

ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا ومخرجًا من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجًا ومخرجًا، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها. اهـ

الآية الرابعة والتسعون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾[الطلاق:١٠].

الشـرح:

﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ ﴾ للكافرين، وهذا دليل على وجود النار الآن، ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ موجعًا، ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ ﴾ بفعل أمره واجتناب نهيه وزجره، ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يا أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي: اتقوا الله يا معاشر المؤمنين، ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ وهو القرآن والسنة، والرسول **صلى الله عليه وسلم** يذكرهم بما لهم عند الله عز وجل.

سورة التحريم

مَدَنيّة — آياتها (١٢)

الآية الخامسة والتسعون بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[التحريم:١].

الشـرح:

جاء في هذا: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يخرج بعد العصر وربما دخل عند زينب فشرب عندها عسلًا، فتمالأت حفصة عَنْ عَائِشَةَ،

قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ، وَقُلْتُ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ، فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَقُولِي لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: «لَا»، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: «سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ لَهُ، وَقُولِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَوْدَةَ قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُبَادِئَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي، وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ قَالَ: «سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ»، قَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ، قُلْتُ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ، فَقَالَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي بِهِ»، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي»، وفي رواية: أن النبي **صلى الله عليه وسلم** كان يدخل على بعض جواريه فعتبت عليه بعض نسائه فحرمها على نفسه، فعتب الله عليه هذا الفعل وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ** ﴾ سواءً كانت الجارية أو كان العسل، فلا يجوز للإنسان أن يُحرم ما أحل الله له، ومن هنا ذهب بعض أهل العلم: إلى أن الحرام طلاق، والصحيح: أنه ليس بطلاق، وذهب بعضهم: إلى أنه

يمين، والصحيح: أنه ليس بيمين، وإنما حرم النبي **صلى الله عليه وسلم** على نفسه العسل أو الجارية بصيغة اليمين، قال: «**فَوَاللهِ لَا أَقْرَبُهَا**»، أو «**وَاللهِ لَا أَشْرَبُهُ**»، فسماه الله تحريمًا من هذا الوجه وإلا قال ابن عباس: مَا أُبَالِي حُرِّمَتِ امْرَأَتِي أَوْ حُرِّمَتِ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ، ولا يلزم من حلف بالحرام كفارة على الصحيح؛ لأن اليمين المنعقدة التي تُكفر هي ما كانت بأسماء الله أو بصفاته، ﴿ **تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ أي: بهذا التحريم تطلب رضا الزوجات، والمرأة في الغالب لا ترضى لا سيما امرأة المعدد، ﴿ **وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ متجاوز وصافح وساتر.

﴿ **قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[التحريم:٢]، وهو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، كما قال الله عز وجل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩] .

الآية السادسة والتسعون بعد المائة(٢):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم:٦].

الشـرح:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يا معشر المؤمنين: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ اسعوا في سلامة أنفسكم، ﴿ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ وفي سلامة أهاليكم من أزواجكم وأبنائكم: ﴿ نَارًا ﴾ محرقة شديدة، ومن شأنها أنها: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ قيل: الأصنام، والصحيح: أن الحجارة لا تُعذب وإنما يُعذب بها الناس، وذهب بعضهم: إلى أن هذه الحجارة هي الكبريت فإنها تكون شديدة الحرارة، المهم: أن الناس يُعذبون في النار ومن أنواع عذابهم: يعذبون بالحجارة المحماة، ﴿ عَلَيْهَا ﴾ أي: على النار، ﴿ مَلائِكَةٌ ﴾ خزنة يحشونها، ﴿ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ فيهم غلاظة وشدة على الكفار لا يرحمونهم ولا يشفقون عليهم، ﴿ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنبياء:٢٦-٢٧]، ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ به، وبهذا تعلم: أن لله عَزَّ وَجَلَّ عبادًا قد سخرهم لطاعته وعبادته ومرضاته، وإنما هذا الإنسان المُكلف والجني المكلف للاختبار والابتلاء فإن أطاع الله ووحده كان من أهل الجنة، وإن عصاه وكفر به كان من أهل النار إلا أن يكون عصيانه فيما دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

الآية السابعة والتسعون بعد المائة(٣):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[التحريم:٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذا خطاب من الله عَزَّ وَجَلَّ للكافرين يوم القيامة، وليس

في القرآن خطاب للكافرين بهذا اللفظ إلا هذا، ﴿ لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ أي: يوم القيامة بحيث تقولون: ﴿ فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾[السجدة:١٢]، أو: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[الملك:١٠]، وغير ذلك من الاعترافات والاعتذارات، ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ﴾ يوم القيامة: ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا فتُعذبون على إشراككم بالخلود في النار.

الآية الثامنة والتسعون بعد المائة(٤):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[التحريم:٨].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا ﴾ ارجعوا: ﴿ إِلَى اللهِ ﴾ عَزَّ وَجَلَّ من ذنوبكم: ﴿ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ توبة صادقة قد أخلصتم فيها، قيل النصوح: أن يتوب ثم لا يرجع في الذنب، ورد هذا فإن الإنسان قد يذنب ويتوب توبةً صحيحة ثم تغلبه نفسه وشهوته وهواه وشيطانه فيعود إلى المعصية، لكن يلزمه توبةً صحيحةً أخرى بتوفر شروطها وواجباتها وأركانها، وشروط التوبة: الإخلاص، والإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العود، وأن تكون في وقت قبول التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها وقبل الغرغرة .

﴿ عَسَى رَبُّكُمْ ﴾ وعسى في حق الله موجبة، ﴿ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يتجاوز عنها ويرفع لكم الدرجات، ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي: تجري فيها الأنهار، والجنة: البستان العظيم، ويكون ذلك: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ بل يكرم ويعز ويرفع يوم القيامة، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾، لا ينالهم خزي، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[آل عمران:١٨٥]، قال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[آل عمران:١٩٢]، والذين معه أيضًا لا يخزيهم الله، بل يكرمهم ويحسن إليهم ويتجاوز عنهم، وحالهم: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ هذا على الصراط يعطي الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمن نورًا يمر به، والكافر يتقادع في النار تقادع الفراش، والمنافق يُعطى نورًا بقدر ما كان يُظهر من الإسلام، فإذا صعد على الصراط انطفأ نوره فيكون الحال كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾[الحديد:١٣]، ﴿ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ يعني: أمامهم وعن أيمانهم، ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ حتى نصل الجنة ونسلم من السقوط في النار، ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ ذنوبنا، ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزك شيء في السماوات ولا في الأرض، وبهذا تعلم أن على الإنسان أن يتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء من أسمائه وصفاته؛ وذلك أحرى أن تستجاب الدعوات.

الآية التاسعة والتسعون بع المائة (٥):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[التحريم:٩].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ بالسنان واللسان، ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ باللسان؛ لأنهم لم يُعلم أن النبي **صلى الله عليه وسلم** جاهدهم بالسنان، ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ اشدد عليهم في خطابك وفي فعلك؛ لأنهم يستحقون ذلك لكثرة إعراضهم، ﴿ وَمَأْوَاهُمْ ﴾ مآلهم: ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يصلونها: ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ مصيرهم، وهذه الآية جاءت في القرآن في موطنين: في هذا الموطن، وفي سورة التوبة.

سورة المزمل

مَكيّة — آياتها (٢٠)

الآية المئتان بعد المائة(١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[المزمل:١-٥].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ هذا نداء للنبي **صلى الله عليه وسلم** حيث أنه حين رجع من غار حراء وقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي»، ناداه الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا النداء:

وهو الدعوة إلى القيام بشأن الله من صلاة، وعبادة، ودعوة وغير ذلك كما يأتي في سورة المدثر.

﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ بهذا الأمر كانت صلاة الليل فريضة وقام الناس سنةً كاملة حتى أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ بعد ذلك التخفيف، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ نم فيه وارتاح؛ لأن للنفس حقًا.

﴿ نِصْفَهُ ﴾ قم نصف الليل في صلاة وعبادة وتهجد ليس على وسائل اللعب واللهو، ﴿ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ ما عندهم ساعات يُقدرون تقديرًا إما نصف الليل أو نصف الليل إلا قليل.

﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ يُزاد على نصف الليل، ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ اقرأه مجودًا محسنًا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الحديث: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**» أخرجه الحاكم، وفي حديث أبي موسى: «**لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**» متفق عليه .

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ من حيث العمل به والثبات عليه وإلا فهو يسير: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧]، لكن الواقع أن كثيرًا من الناس ينقطعون عن العمل، وهذا دليل على فضيلة قيام الليل، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ في شأن محمد **صلى الله عليه وسلم** : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾[الإسراء:٧٩]، وفي هذا دليل: أن الطاعة سبب لليسرية والتسهيل، فأمره الله عَزَّ وَجَلَّ حيث أخبر أنه سيلقي عليه قولًا ثقيلًا بالصلاة والدعاء والذكر، والأوامر هنا أوامر للنبي **صلى الله عليه وسلم** ولأمته، فالقول

بالخصوصية يحتاج إلى دليل.

سورة المدثر

مكيّة — آياتها (٥٦)

جاء أنها أول سورة أُنزلت من القرآن كما في حديث جابر رضي الله عنه ، والصحيح: أنها أول سورة من حيث النزول بعد فترة الوحي، وأما الأولية المُطلقة فهي لخمس آيات من سورة اقرأ.

فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصارِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ – قَالَ فِي حَدِيثِهِ -: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ﴾ [المدثر: ٢] فَاهْجُرْ – وَهِيَ الْأَوْثَانُ – " قَالَ: «ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ» متفق عليه .

فعن عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ:

اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٢]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَآهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا " متفق عليه .

الآية الواحدة بعد المئتين (١):

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[المدثر:١-٧].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ نداء لرسول الله **صلى الله عليه وسلم** لما في الصحيح من حديث عائشة: أن النبي عاد إلى خديجة ترتجف بوادره وقال: «**دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي**»، وانقطع الوحي.

ثم جاءه بعد ذلك: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ قريش وخوفهم بالله، وحذرهم من الشرك والتنديد، وبلغهم ما أوحاه الله إليك.

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ عظم ربك، وأخلص العبادة له، ووحده.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ للصلاة، فلا تجوز الصلاة في نجس من الملابس، وأيضًا طهر نفسك؛ من الشرك ونحوه، لأن الطهارة طهارة حسية وطهارة معنوية، فالطهارة الحسية: بإزالة النجس ورفع الحدث، والطهارة المعنوية: بتطهير القلب من الشركيات والبدع والخرفات وهكذا الجوارح، قال لبيد:

وَإِنِّـي بِحَمْـدِ الله لَا ثَـوْب فَـاجِرِ لَبِسْــتُ وَلَا مِــنْ غَــدْرَةٍ أَتَقَنَّــعُ

وقد فسر النبي **صلى الله عليه وسلم** الثوب بالدين كما في حديث ابن عمر: «**وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**» متفق عليه .

﴿ وَالرُّجْزَ﴾ الأصنام وما إليها من الباطل ﴿فَاهْجُرْ ﴾ جانبها وجانب أهلها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[الأنعام:٦٨].

﴿ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ إذا أعطيت لا تمنن على الناس مستكثرًا لعطائك، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، فالله هو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي أولاك وأسدى إليك هذا الخير العظيم.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ اصبر على حكمه الكوني، مما يصيبك من أذى جسمي وبدني، وكذلك ما يصيبك من أعداء الدين والمتربصين، واصبر على حكمه الشرعي من أقام الطاعة واجتناب المعصية .

وفي هذا دليل على أهمية الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وتعين ذلك، والأوامر هنا أوامر عامة يدخل فيها الدعاة إلى الله والعلماء إلى غير ذلك.

سورة الانفطار

مكية آياتها (١٩)

الآية الثانية بعد المئتين (١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾[الانفطار:٦].

الشــرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ ﴾ هذا نداء لعموم الإنسان لا سيما المسرف على نفسه، ﴿ مَا غَرَّكَ ﴾ وجرأك على الشرك والبدع والخرافات، ﴿ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ والكريم من

شأنه: أنه يعفو ويصفح ويتجاوز ويمهل؛ ولكنه إذا أخذ لم يرحم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، وكان في الأمثال العربية السائرة: (احذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته)، فمن أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ: الكريم والأكرم، كما قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[العلق:٣]، والكرم له معنيان:

المعنى الأول: العطاء والبذل.

والمعنى الثاني: الاتصاف بالصفات الجميلة العظيمة الجليلة مثل: الرحمة، والإحسان، والرضى وغير ذلك من المعاني التي تدخل تحته؛ ولذلك وصف الله العرش بأنه كريم، ومن هذا إذا قيل في شهر رمضان: كريم لا حرج، ليس معنى الكريم: أنه الذي يُعطي فقط كما يقول بعضهم، بل لفظ الكرم أعم من الاعطاء.

سورة الانشقاق

مَكيّة — آياتها (٢٥)

الآية الثالثة بعد المئتين (١):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾[الانشقاق:٦].

الشـرح:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ سائر: ﴿ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يعني: تسير من حالة إلى حالة، ومن وقت إلى وقت مع شدة عناء ومجاهدة، ﴿ فَمُلاقِيهِ ﴾ تلقاه يوم القيامة، وهذا من أدلة النظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ فإن اللُقيَّ يكون مع النظر كما هو تقرير أهل

العلم من المتقدمين والمتأخرين، ذكر هذه المسألة ابن خزيمة وغيره، وهذا على التهديد فبما أنك قادم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فكن عاملًا بالخيرات، فاعلًا للمبرات قبل أن لا تستطيع ذلك.

مكيّة سورة الفجر آياتها (٣٠)

الآية الثالثة بعد المئتين (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[الفجر:٢٧-٣٠].

الشـرح:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ وقد جاء خطاب النفس الخبيثة في السنة، وهذا خطاب لنفس، وهذا خطاب لنفس المؤمن حين يموت ويُبشر بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان، وقوله: ﴿ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ لأن الأنفس ثلاث:

الأولى: مطمئنة: وهي نفس المؤمن، مطمئنة بالإيمان منشرحة به مرتاحة إليه.

الثانية: النفس الأمارة بالسوء: وهي نفس الفاجر إذا تمحضت وقد توجد في غيره، فقد يجد الإنسان من نفسه أنها تأمره بالسوء وتؤزه عليه، لكن إذا أطاع الله عَزَّ وَجَلَّ صارت نفسه مطمئنة، ونفسه المطمئنة هي التي تحثه على الخير.

والثالثة: النفس اللوامة: إن فعل الخير لامته عليه، وإن فعل الشر لامته عليه، لماذا

فعلت؟ ولماذا لم تفعل؟ وتلومه على الترك، فالله عَزَّ وَجَلَّ خاطب النفس المطمئنة مبشرًا لها دون غيرها، والآية دليل على نعيم القبر وعذابه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ "، قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ " قَالَ: " فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ، ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَيُقَالُ لَهُ: مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السَّوْءُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ» أخرجه أحمد.

﴿ ارْجِعِي ﴾ أي: بعد موتك، ﴿ إِلَى رَبِّكِ ﴾ الذي خلقك، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ بما أولاك من النعم العظيم والآلاء الجليلة الجسيمة، ﴿ مَرْضِيَّةً ﴾ من الله عَزَّ وَجَلَّ بسبب أعمالها الصالحة، كما قال تعالى: ﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾[الغاشية:٩]، فهي راضية عن نفسها، وراضية عن فعلها، وراضية بما أولاها ربها، وهكذا الرب عز وجل قد رضي

عنها، كما في حديث أبي سعيد: « إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه .

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أي: في جملة عباد الله الذين يدخلون الجنة، والمراد بالعبودية هنا: عبودية الطاعة والقربة.

﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ الجنة التي أعدها للمؤمنين والمتقين.

ومن البدع: كتابة هذه الآية على النعش أو كذلك إحداث المخاطبة للميت بها.

سورة الكافرون

مكيّة — آياتها (٦)

الآية الرابعة بعد المئتين (١):

قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون:١-٦].

الشـرح:

سورة الكافرون تُسمى بسورة الإخلاص؛ لأن سورة الإخلاص التي هي: ﴿ قُلْ هُوَ

اللهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١]، تمحضت في الدلالة على توحيد الأسماء والصفات، وهذه تمحضت في الدعوة إلى توحيد الألوهية: وهو إفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بما يجب له، وقد مَنَّ الله عليَّ بطباعة تفسير لهما بعنوان: النبراس في تفسير سورتي الإخلاص، وكان سببه: محاضرة إلى بعض إخواننا في بلاد المغرب الأقصى، قلت فيها:

هذه السورة العظيمة تسمى بسورة الإخلاص لما فيها من الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى.

والعبادة هي رحى الدين وأسه وأساسه قال شيخ الإسلام في العبودية (ص: ٤٤): الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَالْجِهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة.

وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدَّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله.

وَذَلِكَ أَن الْعِبَادَة لله هِيَ الْغَايَة المحبوبة لَهُ والمرضية لَهُ الَّتِي خلق الْخلق لَهَا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خلقت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا ليعبدون﴾ [٥٦ الذاريات] .

وَبهَا أرسل جَمِيع الرُّسُل كَمَا قَالَ نوح لِقَوْمِهِ: ﴿اعبدوا الله مَا لكم من إِلَه غَيره﴾ [٥٩ الْأَعْرَاف].

وَكَذَلِك قَالَ هود وَصَالح وَشُعَيْب وَغَيرهم لقومهم وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَد بعثنَا فِي كل أمة رَسُولا أَن اعبدوا الله وَاجْتَنبُوا الطاغوت فَمنهمْ من هدى الله وَمِنْهُم من حقت عَلَيْهِ الضَّلَالَة﴾ [٣٦ النَّحْل].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أرسلنَا من قبلك من رَسُول إِلَّا نوحي إِلَيْهِ أَنه لَا إِلَه إِلَّا أَنا فاعبدون﴾ [٢٥ الْأَنْبِيَاء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن هَذِه أمتكُم أمة وَاحِدَة وَأَنا ربكُم فاعبدون﴾ [٩٢ الْأَنْبِيَاء] كَمَا قَالَ فِي الْآيَة الْأُخْرَى: ﴿يَا أَيهَا الرُّسُل كلوا من الطَّيِّبَات وَاعْمَلُوا صَالحا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عليم * وَإِن هَذِه أمتكُم أمة وَاحِدَة وَأَنا ربكُم فاتقون﴾[٥١-٥٢ الْمُؤْمِنُونَ].

وَجعل ذَلِك لَازِما لرَسُوله إِلَى الْمَوْت كَمَا قَالَ: ﴿واعبد رَبك حَتَّى يَأْتِيك الْيَقِين﴾ [٩٩ الْحجر]. انتهى

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾:

يقول الله عز وجل يقول لنبيه: قل يا محمد (يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) دعاهم بحرف النداء للبعيد لأنهم بعيدون عن الإسلام وعن الاستقامة وعن الخير وذكر العلماء في سبب ذلك أحاديث وآثار منها ما أخرجه الطبري جامع البيان: (٢٤/ ٧٠٣): حدثني مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ، قَالَ: ثنا أَبُو خَلَفٍ، قَالَ: ثنا دَاوُدُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطَئُوا عَقِبَهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتَ

وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: «حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ رَبِّي» فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ السُّورَةُ، وَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦] ". وهذا حديث ضعيف لا يثبت في سنده مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ وأَبُو خَلَفٍ وكلاهما ضعيف.

قوله تعالى: (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون):

فيه البراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال تعالى في المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]،

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ

رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول للكافرين (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون) أي الذي تعبدونه من الأصنام والأوثان.

لأنكم تعبدون الباطل تعبدون الأحجار والأشجار وتفعلون الظلم العظيم الذي لا يغفره الله عز وجل (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٩٨)

فَقَوْلُهُ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يَقْتَضِي تَنْزِيهَهُ عَنْ كُلِّ مَوْصُوفٍ بِأَنَّهُ مَعْبُودُهُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَا عَبَدَهُ الْكَافِرُ وَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا لَا يَكُونُ مَعْبُودُهُ الْإِلَهَ الَّذِي يَعْبُدُهُ الْمُؤْمِنُ. إذْ لَوْ كَانَ هُوَ مَعْبُودَهُ لَكَانَ مُؤْمِنًا لَا كَافِرًا. وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أُمُورًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ بَرَاءَتَهُ مِنْ أَعْيَانِ مَنْ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ. الثَّانِي: أَنَّهُمْ إذَا عَبَدُوا اللهَ وَغَيْرَهُ فَمَعْبُودُهُمْ الْمَجْمُوعُ وَهُوَ لَا يَعْبُدُ الْمَجْمُوعَ لَا يَعْبُدُ إلَّا اللهَ وَحْدَهُ. فَيَعْبُدُهُ عَلَى وَجْهِ إخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ لَا عَلَى وَجْهِ الشِّرْكِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ.

وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الْخَلِيلِ ﴿إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿إلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وَقَوْلُهُ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ بِأَنْ يُقَالَ: هُنَا نَفْيُ عِبَادَةِ الْمَجْمُوعِ وَذَلِكَ لَا يَنْفِي عِبَادَةَ الْوَاحِدِ الَّذِي هُوَ اللهُ. وَالْخَلِيلُ تَبَرَّأَ مِنْ الْمَجْمُوعِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْبَرَاءَةَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ فَاسْتَثْنَى. أَوْ يُقَالُ: الْخَلِيلُ تَبَرَّأَ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْبُودِينَ مِنْ الْجَمِيعِ فَوَجَبَ أَنْ يُسْتَثْنَى رَبُّ

الْعَالَمِينَ. وَلِهَذَا لَمَّا وَقَعَ مُسْتَثْنًى فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لَمْ يَحْتَجْ إلَى اسْتِثْنَاءٍ آخَرَ. وَأَمَّا هَذِهِ السُّورَةُ فَإِنَّ فِيهَا التَّبَرِّي مِنْ عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ لَا مِنْ نَفْسِ مَا يَعْبُدُونَ. وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللهُ: " ﴿أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ﴾ ". فَعِبَادَةُ الْمُشْرِكِ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ لَا يُقَالُ: نَصِيبُ اللهِ مِنْهَا حَقٌّ وَالْبَاقِي بَاطِلٌ بِخِلَافِ مَعْبُودِهِمْ. فَإِنَّ اللهَ إلَهٌ حَقٌّ وَمَا سِوَاهُ آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ. فَلَمَّا تَبَرَّأَ الْخَلِيلُ مِنْ الْمَعْبُودِينَ احْتَاجَ إلَى اسْتِثْنَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ تَبَرُّؤُهُ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ مَا يَعْبُدُونَ فَكَانَ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْعِبَادَةَ تَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ الْمَجْمُوعِ الَّذِينَ يَعْبُدُهُمْ الْكَافِرُونَ.

الثَّالِثُ: إنْ كَانَ النَّفْيُ عَنْ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ مَعْبُودُهُمْ لَا عَنْ عَيْنِهِ فَهُوَ لَا يَعْبُدُ شَيْئًا مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ. لِأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُمْ هُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ فَوَجَبَتْ الْبَرَاءَةُ مِنْ عِبَادَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَلَوْ قَالَ " مَنْ تَعْبُدُونَ " لَكَانَ يُقَالُ: إلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ لِأَنَّ النَّفْيَ وَاقِعٌ عَلَى عَيْنِ الْمَعْبُودِ. وَلَيْسَ إذَا لَمْ يَعْبُدْ مَا يَعْبُدُونَ مُتَبَرِّئًا مِنْهُ وَمُعَادِيًا لَهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إلَى الِاسْتِثْنَاءِ. بَلْ هُوَ تَارِكٌ لِعِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ. وَهَذَا يَتَبَيَّنُ.

بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ: وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ نَفَى عَنْهُمْ عِبَادَةَ مَعْبُودِهِ. فَهُمْ إذَا عَبَدُوا اللهَ مُشْرِكِينَ بِهِ لَمْ يَكُونُوا عَابِدِينَ مَعْبُودَهُ. وَكَذَلِكَ هُوَ إذَا عَبَدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا مَعْبُودَهُمْ.

الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّهُمْ لَوْ عَيَّنُوا اللهَ بِمَا لَيْسَ هُوَ اللهُ وَقَصَدُوا عِبَادَةَ اللهَ مُعْتَقِدِينَ أَنَّ هَذَا هُوَ اللهُ كَالَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا الْمَسِيحَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ الدَّجَّالَ وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَهَوَاهُمْ وَمَنْ عَبَدَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُمْ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ إنَّمَا يَعْبُدُونَ اللهَ لَكِنَّ هَذَا الْمَعْبُودَ الَّذِي لَهُمْ لَيْسَ هُوَ اللهَ. فَإِذَا قَالَ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ كَانَ مُتَبَرِّئًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ الْعَابِدِينَ هُوَ اللهُ. الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّهُمْ إذَا وَصَفُوا اللهَ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ كَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَأَنَّهُ فَقِيرٌ أَوْ بَخِيلٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ وَعَبَدُوهُ كَذَلِكَ. فَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ الْمَعْبُودِ الَّذِي لِهَؤُلَاءِ. فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ اللهَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ﴿أَلَّا تَرَوْنَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي سَبَّ قُرَيْشٍ؟ يَسُبُّونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ﴾ ". فَهُمْ وَإِنْ قَصَدُوا عَيْنَهُ لَكِنْ لَمَّا وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ مُذَمَّمٌ كَانَ سَبُّهُمْ وَاقِعًا عَلَى مَنْ هُوَ مُذَمَّمٌ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَاكَ لَيْسَ هُوَ اللهَ. فَالْمُؤْمِنُونَ بُرَآءُ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ.

الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا وَصَفَ بِهِ الرَّسُولُ رَبَّهُ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَعْبُدْ مَا عَبَدَهُ الرَّسُولُ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ. وَقِسْ عَلَى هَذَا فَلْتَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ وَتُلَخِّصْ وَتُهَذِّبْ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. انتهى

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾:

ثم أخبر عنهم بقوله وأنتم عابدون لإلهي الذي أعبد ما دمتم على شرككم فأنا أعبد الله الواحد القهار وأنتم تعبدون المخلوقات المربوبات.

وقد قال العلماء كيف هذا؟ وبعضهم قد أسلم بعد ذلك فيقال لعله أراد ذلك الحين

وقال بعضهم أيضا: لعله أراد من لم يسلم منهم

المهم أن هذه الآية فيها وجوب إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى

فمعناه (لَا أَعْبُدُ) أنا ومن معي من الموحدين (مَا تَعْبُدُون) أي الذي أنتم تعبدونه من باطلكم وأهلتكم التي تضاهئون بها الله عز وجل

وقوله تعالى: (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)

أي وفي هذا الحال الذي أنتم عليه ومن كان منكم سيموت على الكفر لم يقع منه إفراد العبادة لله تعالى وإنما وقع منهم نقيض ذلك وهو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقوله تعالى: (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ):

فيه توكيد أنه صلى الله عليه وسلم هو من معه على الإخلاص والتوحيد وافراد الله عز وجل بما يجب له في هذا الباب من دعاء ونذر وخوف ورجاء وتوكل وانابة على ما تقدم بيانه.

وفيه بيان لما عليه أهل الحق من سلوك سبل الثبات على دين الله تعالى، وعدم التأثر بالمغريات والتزحزح عن الكتاب والسنة مهما عظمت الخطوب.

وقوله تعالى: (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد) على ما تقدم وأنه لايمكن الجمع بين الحق والباطل والهدى والضلال.

وقوله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين):

أي لكم باطلكم الذي أنتم فيه ولي الحق الذي أدعو إليه وأنصره والذي ابتليت من أجله ولكم دينكم الباطل الذي ارتضيتموه.

وهذه الآية العظيمة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين) فيها البراءة من دين الكفار من اليهود والنصارى والمشركين؛ لكن العجب أن دعاة حوار الأديان ووحدته قد اتخذوها شبهة لهم فأصبحوا يمجدون الباطل ويرضون بالباطل وإذا ما أنكرت عليهم قالوا: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين) على أن هذا إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم لهم، وهذا غير صحيح وقد أجيب عنه بوجهين:

الوجه الأول: أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وهي قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]

والوجه الثاني: أن الآية ليس فيها تقرير وإنما هي مثل قول الله عز وجل: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) [سورة الكهف: ٢٩]

فقوله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر) ليس فيه إباحة الكفر؟ ولكن فيه أن الله عز وجل بين طريق الحق والهدى وبين طريق الباطل والردى فمن استجاب فله الجنة

ومن أعرض فله النار كما قال تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا) [سورة الإنسان: ٣-٤]

فقوله: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) ليس فيها شبهة لا للقرضاوي ولا لمن إليه من دعاة الحوار والتقارب مع اليهود والنصارى وإنما فيها البراءة والتهديد من الله عز وجل كقول الله عز وجل (اعملوا ما شئتم)

فليس فيه إباحة الزور والفجور والكفر والعصيان وإنما فيها التهديد؟ فينبغي للمسلم إذا أراد أن يتعلم دينه أن يرجع إلى تفسير السلف وطريقتهم وفهمهم للقرآن والسنة.

أحسن طرق تفسير القرآن:

ثم إن أحسن الطرق لتفسير القرآن لهو:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- ثم تفسير القرآن بالسنة.

٣- ثم تفسير القرآن بآثار الصحابة والسلف رضوان الله عليهم.

٤- ثم تفسير القرآن بالغة العربية التي لم تحرف ولم تولد.

أما أن يفسر القرآن بما يسمون ب(التفسير العصري) فهذا والعياذ بالله من الباطل الذي يؤدي إلى زحزحة الأقوال والمعاني الشرعية التي نزل بها القرآن وإلى الأخذ بالفجور والباطل الذي يستخدمه المشركون ومن إليهم من العقلانيين والمبطلين

وقد انتهيت من تدريس هذه الآيات في يوم العاشر من شهر شوال لعام اثنين

وأربعين وأربعمائة وألف، وانتهيت من مراجعتها بعد تفريغها وكتابتها في الثاني عشر من ذي القعدة الحرام ١٤٤٢ هـ، بمكتبة دار الحديث بمسجد الصحابة، والحمد لله على التمام، ونسأل الله التوفيق والسداد.

وسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

المحتويات

المقدمة ٢
معنى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: ١١
سورة البقرة ١٣
آل عمران.. ٤٧
النساء.. ٦٠
المائدة.. ٨٨
الأنعام.. ١٣٥
الأعراف ١٣٧
الأنفال ١٤٤
التوبة.. ١٥٥
سورة يونس ١٧٢
سورة هود.. ١٨٠
سورة الحجر.. ١٨٤
سورة مريم ١٨٤
سورة طه ١٨٧
سورة الأنبياء ١٩٣
سورة الحج ١٩٣

سورة المؤمنون.. ٢٠٠
سورة النور ٢٠٠
سورة النمل ٢٠٥
سورة القصص ٢٠٦
سورة العنكبوت.. ٢١٢
سورة لقمان.. ٢١٣
سورة الأحزاب ٢١٥
سورة سبأ ٢٣٨
سورة فاطر ٢٣٩
سورة يس.. ٢٤٢
سورة الصافات ٢٤٤
سورة ص.. ٢٤٥
سورة الزمر ٢٤٧
سورة فصلت ٢٥٢
سورة الزخرف.. ٢٥٣
سورة محمد.. ٢٥٤

سورة الحجرات ٢٥٧
سورة الرحمن ٢٦٨
سورة الحديد ٢٦٩
سورة المجادلة ٢٧٠
سورة الحشر ٢٧٢
سورة الممتحنة ٢٧٧
سورة الصف ٢٨٦
سورة الجمعة ٢٩٥
سورة المنافقون ٢٩٨
سورة التغابن ٢٩٨
سورة الطلاق ٢٩٩
سورة التحريم ٣٠٤
سورة المزمل ٣١٠
سورة المدثر ٣١٢
سورة الانفطار ٣١٥
سورة الانشقاق ٣١٦

سورة الفجر.. ٣١٧

سورة الكافرون.. ٣١٩

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾:.................................. ٣٢١

قوله تعالى: (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون):..................................... ٣٢٢

وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: ٣٢٥

وقوله تعالى: (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ): ٣٢٦

أحسن طرق تفسير القرآن:... ٣٢٨